دعوة الحق

تراثنا وقضايانا

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية ويشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية

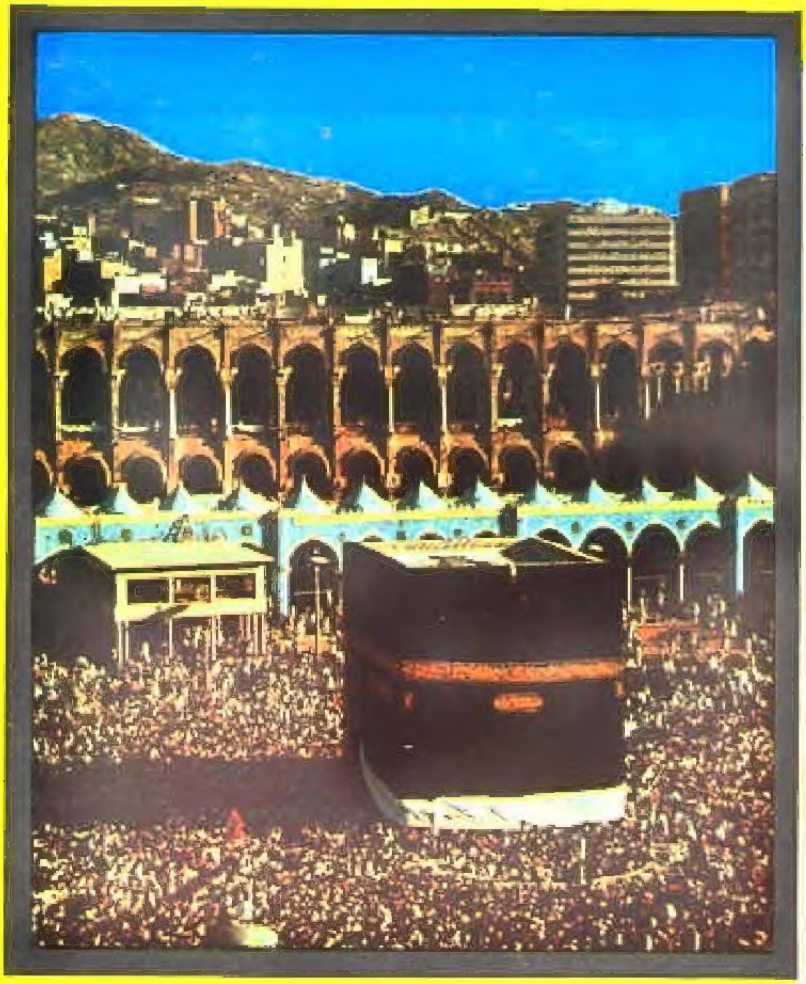

الكتاب المنزل
عن مقاصده وتوجيهاته

أدب الصحراء وآدابها

عن الظاهرة الجزائرية

أزمة فكر
أزمة نقد وشعر

العدد الثالث • السنة الثامنة عشرة • ربيع الثاني 1397 - أبريل 1977 • ثمن العدد 3 دراهم

تصدرها وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الثالث
السنة الثامنة عشرة
ربيع الثاني 1397
ابريل 1977
ثمن العدد : 3 دراهم

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » — مديرية الشؤون الاسلامية
ص ب : 375 — الرباط — المغرب
الهاتف : 235،85 — 338،30

الاشتراك العادي عن سنة 30 درهما ، والشرفي 100 درهم فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 . 485 الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485-55 à Rabat

أو تبعث رأسا في حوالة بالعنوان اعلاه :

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

فهرس العدد 3 السنة 18

صفحة

الافتتاحية

1 — قدرنا وقضيتنا
7 — خطاب عيد العرش

دراسات اسلامية :

14 — الكتاب المنزل : من مقاصده وتوجيهاته — محمد العربي الخطاب
22 — تعاليم الاسلام ومقتضيات العصر — للدكتور محمد تقي الدين الهـ
25 — مصير التيارات العقائدية وضرورة الاختيار — للدكتورة بنت الشـ
31 — أحاديث موضوعة — للدكتور عبد الله بن الصديـ
39 — حقائق ومعجزات كونية في سورة الرعد (2) — للدكتور محمد كمال شـ
44 — شمولية التشريع الاسلامي ومرونته — للاستاذ عبد الله الجر
48 — مالك ابن نبي ومشكلات الحضارة — للاستاذ عمر مسقـ
54 — رباعيات الامام البخاري (5) — للاستاذ يوسف الكتانـ
58 — كيف فهم المسلمون مبدأ التسبية — للاستاذ محمد المنتصر الريـ
61 — خلود الروح — للاستاذ محمد حمادي العزيـ

دراسات مغربية :

72 — جهاد واتحاد — للاستاذ محمد بن تاويـ
76 — عن الظاهرة الجزائرية — للاستاذ المهدي البرجالـ
80 — نماذج من أدب الصحراء المغربية — للاستاذ شبيهنا حمداني ماء العـ
92 — دفاعا عن الاسلام والمغرب والمنصور — للدكتور عثمان عثمان اسما
104 — فلسفة الاسماء في المغرب — للاستاذ عبد القادر القا
109 — الوجدانات — للاستاذ عبد القادر زمامـ
112 — عودة الى قاسية الشعر الجاهلي

ابحاث ودراسات :

114 — انها ازمة فكر لا ازمة نقد وشعر — للاستاذ احمد زيـ
118 — ابن خلدون والتربية — للدكتور احمد الشرباصـ
126 — مكتبة دعوة الحق :
146 — ديوان المجلة :
166 — قصة قصيرة
174 — من نشاط وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية — دعوة الحـ
176 — شهريات العالم الاسلامي — دعوة الحـ
180 — شهريات الفكر والثقافة — دعوة الحـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

قدرنا وقضيتنا

● من السذاجة ان يتصور المرء ان القوى الدولية المناهضة للاسلام تغفل عن الدور العظيم الذي ينهض به المغرب في سبيل تدعيم استقلاله والحفاظ على تماسكه وتوازنه وبناء كيانه الاقتصادي واستكمال تجربة الشورى والعدالة الاجتماعية . فما عهد العالم في هذه القوى الغاشمة المتمثلة في عدة معسكرات وتيارات واتجاهات الا التآمر ضد الاسلام ، والكيد لابنائه ، والتطاول على سيادة شعوبه ، وعرقلة مسيرتها، وخلق فتن واضطرابات وحروب تبدد الجهد وتبدر المال وتشتت الشمل وتورث الضغائن والاحقاد .

ان المغرب الذي يبني اقتصاده بارادته الحرة ويرسي قواعد الديمقراطية التي تتخطى الاطار الشكلي الاصطلاحي الى المضمون الاسلامي المغربي وينفتح على العالم المعاصر دون تبعية أو ولاء فكري او سياسي لهذا المعسكر او ذاك ، لجدير بأن يكون مثالا رفيعا للنظام الاسلامي في منطلقاته ومقاصده واهدافه وتطلعاته اعتبارا لجملة مميزات اساسية لا نجد لها مثيلا في دول العالم سواء من حيث الاستقرار والمناعة او من ناحية عراقة النظام وشعبيته الحقيقية غير المفتعلة ووجاهة وصحة ومرونة ومتانة العقيدة التي يستمد منها عناصر وجوده وبقائه واستمراره.

ان الاسلام في المغرب ليس ديكورا أو شعارا للاستهلاك المحلي وكسب ثقة الشعب ، ولكنه عقيدة ونظام وسعي دائم للوصول الى درجة التمثل الكامل لحقائق ومعطيات المنهج الاسلامي في جوانب الحياة المتعددة وتطلع مستمر الى الاستمداد والاقتباس والاقتداء والاهتداء ومحاولة متواصلة لاقامة حكم الله ابتغاء مرضاته والخروج من دائرة التخلف باتباع الاسلوب الملائم لمناخنا الفكري والسياسي والثقافي والمنسجم مع مقتضيات الاصالة المغربية المؤمنة .

ان الاخذ بالاتجاه الحر المستقل يثير حفيظة الفئة الضالة الطامعة في مغربنا العظيم ، فلا تلبث ان تتحرك دواليبها وبيادقها في كل مكان في اتجاه معاكس لارادة شعبنا المستمدة اساسا من ارادة الله . وما مضاعفات قضية الصحراء المستعادة وما ترتب عنها من ملابسات الا عينة من هذا المكر العالمي الحاقد ضد قيم الخير والسلام . وما الازمة المفتعلة التي يثيرها تلامذة الاستعمار في المنطقة الا شكلا من اشكال التآمر واسلوبا من أساليب التخريب الذي يراد به ألفت في عضد المغرب والنيل من هيبته التاريخية ومكانته الحضارية واقحامه في معمعة رهيبة لا يعلم مصيرها الا الله واولو العلم من المؤمنين .

والحمد لله ان جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله من هذه الصفوة المختارة التي وهبها الله تعالى العلم والفهم والادراك والقدرة الهائلة على التفكير والتحليل والاستنتاج فلا تخفي عليه ابعاد المخططات الاستعمارية ولا يغفل لحظة عن الصراع المحتدم الدائر بين القوى العالمية ولا يضعف امام التحديات الشرسة ولا يرضى بالامر الواقع المفروض بالحرب والمكيدة والاحتلال ولا يقبل التفريط في شبر واحد من الارض التي اختاره الله ـ سبحانه وتعالى ـ للذب عن حياضها والدفاع عن حوزتها والابقاء على الاسلام في ربوعها مشرقا مزدهرا موطد الاركان . فما ان استوعب طبيعة ما يبيته الاستعمار في الصحراء واحاط بتفاصيل المؤامرة التي كانت تستهدف اقامة كيان مزيف تتخذه القوى المناهضة للاسلام والعروبة قاعدة لنشر الالحاد والردة والفسوق وشتى الوان العمالة والخيانة ، حتى سارع حفظه الله الى اعلانه التعبئة الجماعية تمهيدا لتنظيم المسيرة الخضراء المظفرة .

القوى الدولية كانت ترمي الى هدفين اثنين :

- اولا : تمزيق المغرب .
- ثانيا : اقامة دولة ماركسية شيوعية في الصحراء .

1 — لماذا تمزيق المغرب ؟

2 — ولماذا دولة ماركسية شيوعية في هذه المنطقة من افريقيا؟

ان المغرب بنظامه العتيد وعراقته وحضارته ومناعته الذاتية يمثل محورا استراتيجيا من محاور العالم العربي والاسلامي . ولقد حاول الاستعمار استخدام أساليب اخرى لتمزيق المغرب فلم يفلح ولم تزده محاولاته الا اقتناعا بلا جدوى تلك الاساليب ابتداء من فرض الحماية ومرورا بالظهير الاستعماري الشهير بالظهير البربري ونفي جلالة المغفور له محمد الخامس والاسرة المالكة وانتهاء بالمؤامرات الخائنة في اوائل الستينات والسبعينات .

وهي سلسلة طويلة من التآمر والكيد والتطاول والطمع والابتزاز حركتها قوى دولية رهيبة اختلفت وجوهها وتباينت أشكالها واتفقت اهدافها وتلاقت مطامعها ؛ جربت كل وسيلة سافلة واسلوب خسيس فلما لم ينفعها ذلك في شيء ولم يسقط المغرب كما كانت تتوهم وظل ابدا الدهر عزيز الجانب وطيد الاركان شامخ البنيان وحصنا حصينا للاسلام والعروبة ، استبدلت سلاحها القديم بسلاح جديد يلائم طبيعة عصر الوفاق وتقسيم مناطق النفوذ في العالم فكانت ان القت بكل ثقلها في الصحراء المغربية لتضرب ضربتها القاصمة التي لم تتم .

وابان الصراع في المنطقة عن وجهه الحقيقي . وبدا واضحا للعيان ان محور الازمة لا يرتكز ـ كما يدعي قوم من بني جلدتنا ـ على خرافة تقرير المصير واسطورة الشعب الصحراوي واتهام المغرب ـ بطلانا وعدوانا ـ بالاحتلال دون حياء او خجل . ولكنه يقوم اساسا على قاعدة ايديولوجية عقائدية فكرية .

ومن هنا تتضح الحقائق الواحدة تلو الاخرى ...

● لقد كانت القوى الدولية الحاقدة على الشعوب العربية والاسلامية تسعى الى ضرب الاسلام في المغرب وغرب افريقيا عموما بتمزيق المملكة الى شطرين وايقاف الزحف الاسلامي المبارك المنطلق من بلادنا الى القارة الافريقية وخلق كيان عميل وخائن ومستعد لتنفيذ مخططات الاستعمار في كل حين .

لماذا ؟ ...

لان المغرب تخطى ستة آلاف كيلومتر وحارب في الجولان والسويس واعطى الدم والمال والسلاح فكان لا بد ان تنتقم الصهيونية ..

لماذا ايضا ؟ ...

لان عاهل المغرب رفع شعار البعث الاسلامي واقام في رباط الفتح مؤتمر القمة الاسلامي ، ودعا الى تغيير مناهج التعليم وتنقيتها من الالحاد والكفر والتبعية الفكرية .

لمـــــاذا ثالثـــا ؟ ...

لان جلالة الملك الحسن الثاني يعرف قدر نفسه ـ ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه ـ ويقدر ضخامة المسؤولية ويخشى الله في الســـر والعلن ويقصد وجهه ـ جل جلاله ـ في كل امر من امور الدولة صغـــر ام كبـــــر .

وقبل هذا وذاك ، فان اشد ما يخيف هذه القوى الحاقدة المتآمرة قوة النظام في المغرب واصالة الحكم ..

فنحن وحدنا نسير على وتيرة واحدة منذ ثلاثة عشر قرنا ..

وفي المغرب وحده رئيس الدولة وملك البلاد هو امير المؤمنين ..

وشعبنا وحده من بين شعوب العالم يمزج الولاء السياسي الوضعي بالبيعة الشرعية الخالدة ، التي لا تخضع لظروف الزمان والمكان وتقلبات المناخ السياسي وتغير الاجواء الاقتصادية ، ولكنها خالدة خلود الانسان المغربي ، وخلود عقيدته الاسلامية ، فلم نعرف عقيدة الا الاسلام ، ولم نعرف نظاما الا الملكية الدستورية المرتكزة على عقيدة الشعب الذائدة عن حماه المدافعة عن قيمه ومثله ومقدساته ، ولم نعرف قط عبر تاريخنـــا الطويل الا الوحدة تحت ظلال القرآن والعرش من المولى ادريس الى جلالة الحســـن الثانـــــي .

هذا الامتداد الزمني والعمق الفكري والرسوخ السياسي يكســـب المغرب مناعة قوية وحصانة شديدة وطابعا مميزا .

وحينما تحرك العاهل الكريم لتحرير الصحراء كان تحركه في الوقت ذاته موجها نحو انقاذ الاسلام ودحر الالحاد وضرب المعســـكر المعـــادي للامة الاسلامية في الصميـــم .

وحين يمضي المغرب اليوم بقيادة ملكه المؤمن في مسيرة الشورى والعدالة الاجتماعية واثقا من نفسه غير هياب فانما يقطع الطريـــق على الخصوم ومرتزقة الفكر وسماسرة المذاهب ودعاة التخريب وحملـــة مشعل التشويش والتضليل والتزييف .

وحينما يصر العاهل الكريم على ربط قضية التنميـــة في المغرب بالبعث الاسلامي ويمزج بينهما في كل خطاب وكلمة وتوجيه فمن اجل ان يؤكد للعالم اجمع ان مغرب الاسلام والعروبة لا يزال رائدا قائدا ذائـــدا صـــامـــــدا .

● ان الحاضر بمشاكله وتعقيداته وازماته وصراعاته جـــزء لا يتجزأ من الماضي باصالته وحضارته وتراثه وثقافته وتاريخه ، واذا كانت شعوب افريقية تنبش عن ماضيها وتفتعل تراثها افتعالا في الوان مـــن الفلكلور الشعبـــي لا تعبـــر في الواقع عن جوهر الامة ومعدنها الاصيل ،

فما احرانا اليوم وقد كنا بالامس القريب اساتذة العالم ورواد حضـــارة انسانية شاملة ان ناخذ بناصية اسلامنا وعروبتنا ونستمـــد منهما روح الاصرار والتحدي والمقاومة والصمود .

ان من يدعو الى بتر الصلة بماضي هذه الامة يرتكب اثما لا يغتفـــر ويبين فى ذات الوقت عن انفصاله وانسلاخه عن جذور وطنه .

ولو عرف المنكرون للحق الاسلام لآمنوا به .. ولمـــا استغلـــت اليهودية العالمية نظرياتهم لتخريب العالم .

وازمة المسلمين اليوم انهم ياخذون ولا يعطون ويتلقون الضربات والنكبات وهم قاعدون ، ولو تحركوا وانفتحوا على العالم وقدموا بضاعتهم لكان لهم شان واي شان ...

وسيكـــون باذن الله ...

ولو صدر العرب والمسلمون مع بترولهم وثرواتهم وخيرات بلادهم اسلامهم العظيم لكان لهم رصيد مزدوج : المال والنفوذ الفكري والسياسي والثقافـــــي .

ان الوقوف على جبهة الاسلام والجهاد بسلاح الاسلام يوفران علينا جهودا ضخمة واموالا طائلة .. ويشهد الله ان عبده امير المؤمنين الحسن الثاني لم يتنكب قط هذا الطريـــق ..

ومن هنا ياتي هذا التاييد والدعم والفوز المتلاحق المواكب لجميع خطواتنا ... امس واليوم وغدا ان شاء الله ...

فالاسلام ـ اذن قدرنا وقضيتنا ... فى رحابه نزداد قوة وحرية واستقلالا ونفوذا وتمكينا فى الارض ...

دعوة الحـق

جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يعين الدكتور فاروق النبهان مديراً لدار الحديث الحسنية .

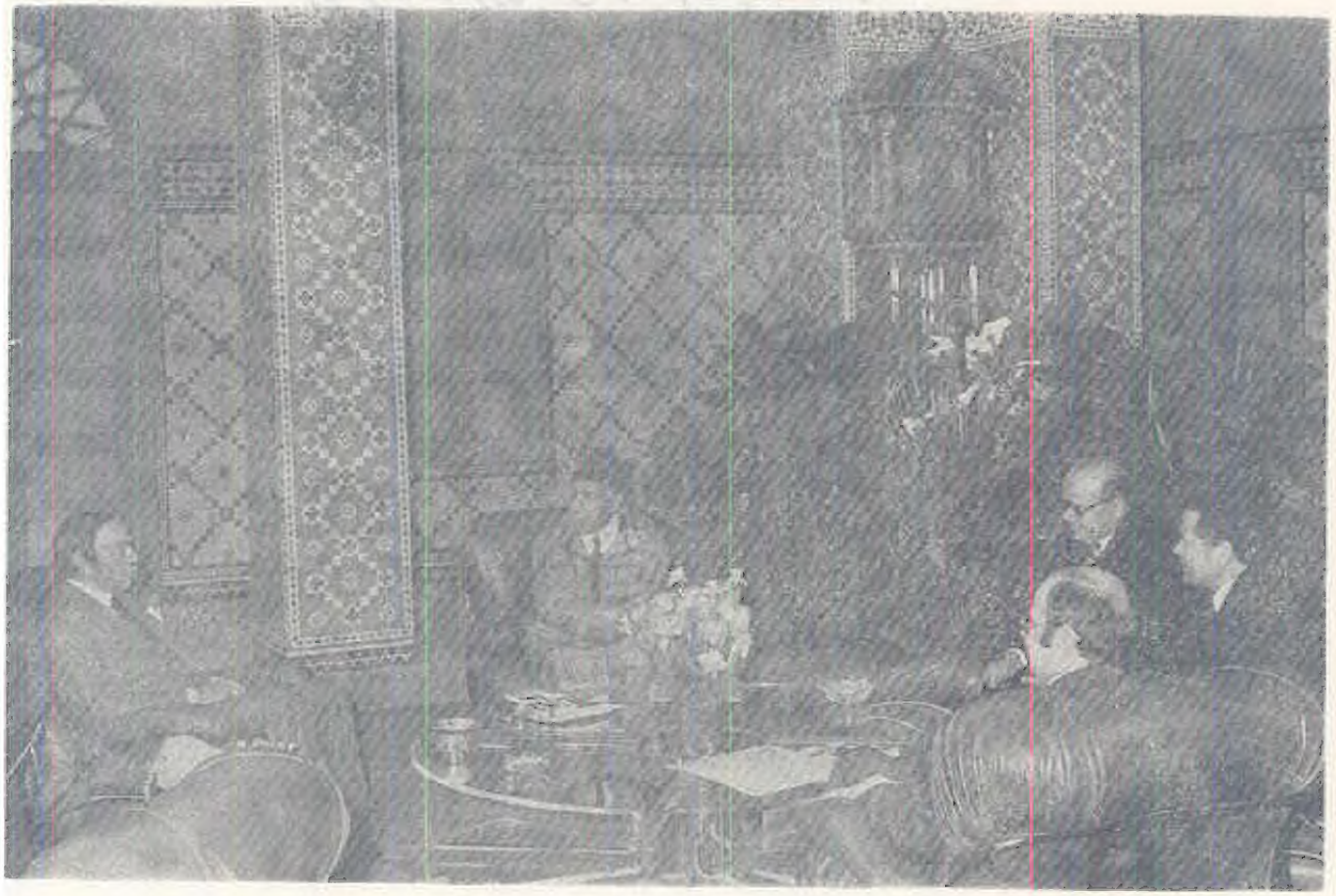

● تفضل صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله فعين الدكتور محمد فاروق النبهان مديرا لدار الحديث الحسنية خلفا للاستاذ مولاي مصطفى العلـــوي .

والدكتور النبهان مثقف اسلامي بارز واستـــاذ جامعي ممتاز ، سبق له أن عمل استاذا في جامعتي الرياض والكويت وأصدر مجموعـــة من المؤلفـــات الاسلامية المعمقة التي ابانت عن مقدرة عليا في البحث والدراسات الاسلامية المعاصرة . وهـــو من ابنـــاء مدينة حلب بسوريا الشقيقة . وقد شارك مرارا في الدروس الحسنية التي تنظم بحضرة صاحب الجلالة امير المؤمنين الحسن الثاني في شهر رمضان من كل سنة ، والقى محاضرات على جانب كبير من الاهمية العلميـــة .

ان رغبة جلالة الملك الحسن الثاني ايـده الله في النهوض بمستوى الدراسات الاسلامية العليـــا وتشجيع جلالته واهتمامه الواسع بدار الحديـــث الحسنية جزء لا يتجزأ من الرســـالـــة العظمى التـــي يضطلع بها مولانا الامام في اخلاص وتفان وصدق مع ربه ومع نفسه ومع شعبه المؤمن الوفي ●

جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يوضح معالم المغرب الجديد في خطاب العرش :

هدفنا بناء صرح المغرب لمدى أجيال وقرون

● قال جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في خطاب العرش يوم 3 مارس المنصرم : « ان الدول الاسلامية أحرى الدول وأولاها بالديمقراطية لان لفظ الجماعة في نصوص الكتاب والسنة التي تقوم عليها حياة المسلم المؤمن ، فارادة الجماعة مستمدة من ارادة الله ، ولهذا فان النظام الديمقراطي سيعلمنا الخضوع لارادة الجماعة ، وسيقي بلادنا أن يصبح امرها بين ايدي اقلية متعسفة تنفرد برايها وتفرضه على الجماعة بالاكراه والبغي » . وتعتبر هذه الفقرة من الخطاب الملكي السامي بمثابة تلخيص مركز للنظرية السياسية في الحكم التي يؤمن بها المغرب ويتحرك — بوعي كامل وحضور دائم — في اطارها . وقد أوجز جلالة الملك معضلة العصر وأوجد لها حلا من تراثنا الحضاري ، ذلك أن « فرض الامر بالاكراه والبغي » مشكلة الانظمة المتنكبة لطريق الحق والعدل والمشروعية ، باعتباره مدخلا الى الارهاب السياسي والفكري واحتقار الانسان الذي كرمه الله تعالى .

بهذا المعنى الواضح تناول جلالة العاهل شؤون البلاد وقضايا العصر في خطابه عيد العرش الذي وافق هذه السنة ذكرى ميلاد رسول الله الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم .

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وءاله وصحبه

شعبي العزيز

في مثل هذا اليوم من كل عام نلقاك ونتلقانا على عهد ألفنا تجديده وتوكيده منذ ستة عشر عاما ملانا حقيقتها بكل قصد وطيد وكل عمل مجيد ، وفي غمرة افراحنا وافراحك وبهجة احتفائنا واحتفائك بهذا اليوم الذي اردناه نحن واياك أن يكون موسوما معلوما يهدي الى أجل معاني الوفاء واكمل آيات الاخلاص وأدل دلائل الائتلاف دأبنا على عادة مخاطبتك بما ينير لك السبيل ويريك القريب والبعيد من المطامح والاهداف ويظهرك على ما هيأ الله من يانع القطاف ويفتح لأمانيك الابواب على اوسع الرحاب .

وها نحن نتوجه اليك اليوم ، بخطاب في هذه الذكرى السادسة عشرة لتلاقينا على الصدق والصفاء مستظلين بظلال عيدين تواردا مقترنين على ميعاد متملين لمسرة تواصلهما متيمنين بطالع توافقهما

احدهما عيد المولد النبوي الشريف الذي تتوهج به في نفوسنا ذكرى أقدس الدعوات وأعظم الرسالات وأقوم الهدايا ، وأعز ما نعتز به ، من انبلاج نور الشريعة ، وأشراق وجه السنة ، والآخر عيدك الوطني الذي اتخذناه موعدا للاحتفال بما وثق الله بيننا وبينك من أواصر وأنعم به علينا من فضل التآزر والتناصر ووفقنا له من مقاصد متناسقة وأعمال متكاتفة متلاحقة .

واذا كانت عناية الله قد أضفت علينا من آلاء اجتماع الكلمة والتئام الصف واتحاد العزم والمشيئة ما كفل لمساعينا المختلفة ما نشدناه بثقة مطمئنة وايمان راسخ من حميد الآثار وجميلها في متعدد ميادين التفكير والتدبير ، فان هذه العناية الموصولة قد امدتنا ، وليس العهد ببعيد بأسباب استرجاع ما كان مغصولا من اراضينا يوم اتاحت التألق الاصيل من مزايانا والمكين من فضائلنا واسمحت بحادث انسانك الاشم ملأ الدنيا وشغل الناس ورصع الغر من صفحات التاريخ كحادث مسيرتنا الخضراء ، ولم يمض على استقرارنا بارض الصحراء الا مدة قصيرة حتى بادرنا الى تنظيم أقاليمنا الجديدة وشرعنا انطلاقا من هذا التنظيم ومما اخذناه على انفسنا من عهد في بذل رعايتنا لترابنا المستعاد وارض الاباء والاجداد ورعايانا ساكني الصحراء من كل حاضر وباد .

وهكذا طفقنا بحمد الله نواصل على اتساع ساحة البلاد جهودنا التي نصرفها قياما بما علينا من واجب الرعاية لجميع اراضي ترابنا الوطني ولجميع افراد شعبنا حيث ما كانوا من انحاء مملكتنا ، لا نؤثر بالحدب اقليما على اقليم ولا نخص بالاهتمام جانبا على جانب .

لقد قر عزمنا واستحكم ، على مد الوسائل والاسباب الكفيلة بارساء ما يعتلج في طول مفربنا الجديد وعرضه من حاجات ومتطلبات حتى صار من أوجب الواجبات أن ينتظم المغرب كله من أقصاه الى أقصاه ذلك الدأب الذي التزمنا بان يؤثر احمد التاثير ويفضي احسن الافضاء الى انتشار النور والازدهار والرخاء واليسار ومضاهاة الجنوب للشمال وموازاة الشرق للغرب .

بيد ان تحقيق هذه الاهداف المتسمة بسمة الطموح والموصوفة بصفة التحدي يضع على عاتقها مزيدا من التكاليف ويضيف اعباء حديثة الى اعبائنا القديمة ، ذلك ان اقاليمنا في الصحراء يتطلب منا وطدنا العزم على انجازه بها من مشاريع أن يتوافر لدينا رصيد من مال نستطيع بفضله أن نجهز ما هو مفتقر الى تجهيز ونقيم المدارس والمستشفيات ونشق الطرق ونربط الاطراف بمختلف انواع المواصلات ونجري الماء في انابيب الري والارتواء ، ونمهد للفلاحة سبل النماء والازدهار ونعني بالتنقيب عن المعادن والاستثمار ، ولنضطلع بهذه الاعمال كلها على النحو الذي نبتغيه ونرتضيه ، اهبنا بك شعبي العزيز أن تسهم اسهاما يدل على مالك من اهتمام بالصحراء المستعادة ومالك من تضامن مع سكانها اخوتك الاشقاء ، فطلبنا منك ان تقرض الدولة حظا من مالك وقسطا من وفرك يرتفع قدره الاجمالي الى مائة مليار سنتيم تخص بها مختلف وجوه النمو في أقاليمنا بالصحراء .

ومرة اخرى سارعت الى تلبية النداء ، وابنت عن كريم طباعك وسجاياك وأدليت بالبرهان على انك واع اقوى ما يكون الوعي مدرك واسع الادراك لابعاد ما ندعوك اليه من خطوات ، مستعد لكل عمل بناء متأهب لكل مسيرة غراء فاقبلت على صناديق الايداع اقبال المؤمن الثابت الايمان ، بجميل عواقب اقباله وبادرت مبادرة الحريص على بلوغ وطنه عزيز اوطاره وآماله ، فآتت مسيرتك هذه طيب ثمراتها ونالت صناديق الدولة في ظرف وجيز ما أربى على مطلبها المنشود ويسر وسائل الشروع في الوفاء بالوعد الموعود .

وهكذا استطعنا شعبي العزيز بفضل اهتمامنا واهتمامك وجهودنا وجهودك ، أن نبث على امتداد صحرائنا المصالح اللازمة لانطلاق الاعمال في كل مجال من مجالات التجهيز والوقاية والعلاج ، والتكوين والاعداد ، والتثقيف والتنقيب والانتاج الفلاحي وتربية المواشي ، وغرس الاشجار ، فانشانا ببوجدور وحدة لاعذاب ماء البحر ، واخذت مصالحنا في استخدامها وفق ما رسمناه لها من غايات ، كما اخذت في حفر كثير من الآبار وكسح الرمال المتراكمة على محاور الطرق الكبرى واستصلاح المحطة الكهربائية في مدينة العيون ، وجهودنا الآن مصروفة الى القيام بدراسة مشاريع كبرى كتشييد الطرق واحداث ميناءين احدهما في العيون والآخر في بوجدور وتوليد الكهرباء ، وجلب المياه ، وليس بخاف عليك شعبي العزيز ، اننا قررنا تجسيدا للوحدة

المستعادة في اجزاء ترابنا الوطني مد خط للسكة الحديدية بين مدينتي مراكش والعيون ، وقد فرغت مكاتب دراسة هذا المشروع الضخم من اعمالها وقدمت عروضا تعكف عليها الآن مصالحنا المختصة بالنظر الفاحص .

وحينما كنا نولي عناية كبيرة لكل ما يتصل بهذا النمط من التجهيز كنا مهتمين بالغ الاهتمام بتوفير اسباب الوقاية والعلاج لرعايانا بالصحراء وتوطيد هذه الاسباب وتوسيع شبكتها وتكوين ممرضين من سكان اقاليمنا الجديدة ووضع المشاريع لتكثير عدد الاسرة بالمستشفيات والمستوصفات وتنظيم الطب المتنقل حتى تمتد فاعلية الوقاية وتتسع نطاق الاستفادة من العلاج .

وفي اثناء هذا كله ، كان تعليم ابنائنا وبناتنا ، في الصحراء مناط الرعاية ومعقد الاهتمام لتامين المعرفة الابتدائية والثانوية لهم ، وتيسير قاعات الدرس ، وسد الحاجة الى المعلمين ، ونشر المطاعم المدرسية في جميع الاقاليم ، وبذل المنح للمستحقين ووضع الخطط لبناء اكثر ما يمكن من المدارس واستيعاب اوفر عدد من التلاميذ وتنظيم التعليم الضروري من الداخليات .

وسنظل موالين لاهتماماتنا لمجال التثقيف والتكوين والاعداد حرصا منا على ان تزود اقاليم الصحراء نفسها ، وغيرها من اقاليم مملكتنا ، بالكفاية من الاطارات الخليقة بالاسهام في جميع ميادين الرقي الذي تتوق اليه البلاد .

ولم تنسنا هذه المجالات التي اردناها منحركة نشيطة تعج بصالح التدبير او مستهدفة ما تتطلع اليه من تغيير وتطوير مجالا آخر نعقد به واسع الآمال ، ذلك هو مجال الزراعة وتربية المواشي وغرس الاشجار ، وقد بادرنا فور استرجاعنا الصحراء الى مباشرة تجربة لانتاج القمح والشعير بذلنا لها البذور والآلات الفلاحية ، فأسفرت على محمود النتائج ، ثم واصلنا التجربة على مساحة الف هكتار ، واننا لنرجو ان تفضي هذه التجربة وشقيقتها الخاصة بالمواشي والاشجار الى ما نتوخاه من نمو للصحراء ، وثراء للافراد والجماعات وتبدل لملامح الارض ووسامة لطلعتها .

اما استغلال ثروتنا من الفوسفاط ، وتنقيبنا عن المعادن الاخرى الكامنة في بطون الارض ، فان جهودنا فيما يتصل بهما جهود دائبة مبذولة باستمرار ، وجدير بالذكر ان ثروتنا من الحديد في اقاليم صحرائنا تحتل من حيث الاهمية حسبما ادت اليه الابحاث الحالية المكانة الثانية بعد الفوسفاط ، وعلى الرغم من ان اعمال التنقيب في صحرائنا المستعادة ما زالت في اوائل عهدها فان بعض المناجم كمنجم ـ صفريات ـ لتسمح بالامل الكبير فيما يتصل بتعدينها واستغلالها .

ومن جهة اخرى فان مناجم الاحجار النفطية المكتشفة بمنطقة طرفاية ممتدة فيما يبدو الى اقليمي العيون وبوجدور .

وان الرجاء لمعقود باستخدام هذه الثروة من الاحجار كمصدر للطاقة ومنبع للغاز الصالح في صناعة الحديد عن طريق الاختزان المباشر ، وتمتاز ثرواتنا بالصحراء بميزة ذات شان كبير الا وهي وقوعها قريبا من سواحل البحر .

اننا نوزع اهتمامنا العظيم ، شعبنا العزيز ، على هذه المجالات كلها وعلى غيرها في مختلف انحاء صحرائنا تحتل من حيث الاهمية حسبما ادت اليه يقوم على طريقنا حاجز واثقين بان الله عقد الخير بناصية مسعانا وكتب الاشراق لمغربنا الجديد .

واذا كنا قد وقفنا مستثنين هذا الوقوف عند طائفة من شؤون صحرائنا فانما قصدنا الى ان نوضح ان مفهومنا للسيادة الشاملة لجميع اطراف البلاد مفهوم يمتلىء بمشاريع واهداف مرسومة ومدروسة وسياسة جلية المعالم ظاهرة القسمات تتولى عزيمة جادة وهمة طماحة تحويلها بالانجاز والتحقيق الى واقع ملموس وحقيقة بارزة وخير مستفاد .

وان من دواعي الاسف الشديد ، ان تتمادى بعض دول قارتنا منحرفة عن الطريق السوي معرضة عن الموضوعية منقادة الى حكم الشهوات والاهواء مغتنمة كل فرصة سانحة لمحاولة خلق المصاعب لبلادنا والاعتداء على حقوقنا وسيادتنا ، ولو كان في ذلك خرق سافر للمبادىء المتفق عليها ، والمواثيق المبرمة الصريحة .

وكثيرا ما واجهنا المواقف العدائية والمحاولات التعسفية التي ظهرت على مسرح العديد من المستويات بالصرامة التي احيطتها وردتها على اعقابها خاسرة ، وآخر هذه المحاولات مناورة قامت

بها خلال اجتماع مجلس وزراء الخارجية الافارقة المنعقد منذ ايام قليلة بعاصمة الطوغو ثلة ضاحلة تعمدت لسبب مكشوف الاعتداء على بلادنا والاستخفاف بسمعتنا وحرمتنا ، فلم يسعنا ازاء المخالفات المتكررة والانتهاك المتجدد لميثاق منظمة الوحدة الافريقية ، وازاء التهم الملفقة الكاذبة، الموجهة لبلادنا وبلاد صديقة ، وبعد أن طم الماء وبلغ السيل الزبى ابينا الا ان نتخذ قرارا بالكف عن المشاركة في اعمال اجهزة المنظمة ريثما تستقيم الامور ويفيء الجائرون عن القصد المنكبون عن الجادة الى محجة الصواب وسواء السبيل .

وان من بواعث الدهشة والاستغراب أن يتصدى للقيام بمثل هذه المحاولات والمناورات عدد قليل بين عدد كثير يسعى الاولون سعيهم الاثيم ويكتفي الآخرون بالمشاهدة والسماع والامساك عن الكلام .

اما موقفنا نحن حيال ما تتخذه بعض دول منظمة الوحدة الافريقية من اشنع المبادرات فاوجز واصدق ما يوصف به انه موقف تنديد واستنكار واباء ورفض لما يصم النفس ويقدح في الضمير .

اننا ـ شعبي العزيز ـ من المؤسسين الاولين لمنظمة الوحدة الافريقية المسارعين الى التفكير في احداثها والتيسير لاسباب وجودها فقد انعقد على عهد والدنا محمد الخامس رضي الله عنه وارضاه ، اول مؤتمر للدول الافريقية بالدار البيضاء سنة 1961، ويعز علينا أن يعيث العابثون ويستخف المستخفون بصرح المنظمة الذي اردناه وطيد الاركان ومحكم البنيان وتعمد اليه معاول المفسدين بالتضليل والتقويض .

فاذا اضفت الى هذا ـ شعبي العزيز ـ اننا توليا رئاسة هذه المنظمة ، بعد انشائها ، واجرينا اعمالها طيلة تسييرنا واشرافنا في مجال التفاهم والوئام منطلقين من الروح التي سادت المؤتمر المنعقد بالرباط حز في قلبك ـ ولا ريب ـ أن تفل الاحلام خلال يسيغ الاعتداء على وطنك زورا وبهتانا واستغربت ان تعلو اصوات طائفة موجهة مقتادة باخس خطام وآملنا وطيد أن يهيب اشقاؤنا رؤساء الدول الافريقية لتدارك الفساد المستشري في المنظمة بالاصلاح وينقذوا هذه المؤسسة المهددة بالاندثار والانهيار بتقويم الاعوجاج وتصحيح الاوضاع .

هذا وان بلادنا ستظل عاملة على تقوية وتعزيز اواصر المودة والتعاون ، الرابطة بينها وبين الاشقاء الافارقة الذين يقدرون عاطفة المودة ويدركون ما يعود به التعاون المخلص من عظيم الفوائد وجميلها .

وننتقل شعبي العزيز بعد هذا الاستدراك الذي كان لا بد منه الى الموضوع الثاني الذي يرتكز عليه هذا الخطاب .

شعبي العزيز :

لقد كانت الصحراء خلال العام المنصرم قطبا طافت حوله الخواطر واحدقت به الافكار ، الا انه لم يكن بالقطب الوحيد الذي اتسعت له الرعاية وانتشر على جوانبه الاهتمام،ذلك اننا عنينا بشان من شؤوننا الوطنية ، مشدود الى قلبنا بأوثق الصلة ، واخذنا بعد العدة ، ونمهد السبيل لجعله حقيقة من حقائقنا التي لا جدال فيها ولا مراء وهذا الشان هو احلال الديمقراطية ، باوسع واصح معانيها وتنظيم الملكية الدستورية ، على احسن القواعد واثبت الدعائم .

انك تعلم ـ شعبي العزيز ـ ان بلادنا ، خاضعة منذ سنة 1972 لدستور تطبق بعض مقتضياته وبعضها الآخر ، مرهون تطبيقه باقامة جميع المؤسسات ، التي تنص عليها احكام الدستور وحرصا منا على ان تكفل للمجالس البلدية والقروية وهي قاعدة الهرم اختصاصات واسعة ومسؤوليات كبيرة وجهنا الجهود الى اعداد نص جديد تسطر فيه هذه الاختصاصات والمسؤوليات فلما فرغنا من وضعه واصدرناه في الصورة التي توخينا ان تكون مطابقة لرؤيتنا اتحنا للمنتخبين ان يختاروا احرارا في اختيارهم ، اعضاء يمثلونهم في المجالس الجماعية وتم بعد هذا الاقتراع اقتراع آخر لتاليف المجالس الاقليمية وستتلو هذه الاجراءات اجراءات لاحقة بعد المراحل التي يحددها الدستور رامية الى انتخاب مجلس النواب .

وبجميع هذه الانتخابات وغيرها ، مما سيسفر عن اقامة المؤسسات الدستورية ، ستكون بلادنا ان شاء الله ، قد ارست في الايام القريبة ، دعائم المنطلق ، للعمل النيابي الذي نامل أن يعود على الوطن باجل الفوائد واحسنها .

ان التجربة التي نحن مقبلون عليها ليست بالتجربة الاولى ، فقد باشرنا قبل اليوم تجربة لم تبلغ بنا الاغراض التي كنا نتطلع بحماسة وشوق كبيرين الى ادراكها ، ولذلك ، فان حرصنا شديد على

ان تكلل التجربة التي نيسر لها أقوى الاسباب ، في ظروفنا الراهنة ، باكاليل النجاح الذي يبعث على كامل الرضى وخالص الارتياح .

ان الهدف الذي يترامى اليه طموحنا ليس بالهدف الذي نبتغي من ورائه سد حاجة عابرة مرحلية ، وارضاء مطلب جيل أو جيلين ، وانما هو هدف بناء صرح المغرب لمدى اجيال وقرون،وتثبيت اركان الاستقرار الاقتصادي والسياسي ببلادنا تثبيتا يتحدى العصور والازمان ، ولا سبيل فيما نعتقد الى بلوغ مقاصدنا من الاستقرار المنشود ، الا اذا احس كل فرد حظي باختيار المواطنين اياما كان موقعه من مستويات الثقة والاختيار ، الا اذا احس كل فرد حظي بالاختيار باعباء المسؤولية الملقاة على كاهله واخذ على نفسه النهوض بهذه الاعباء نهوضا يشيع في قلبه اليقين ، بانه يلابس مشاكل وطنه ويعيش في خضمها ، ويسعى مخلصا نزيها لايجاد اجود الحلول واجلبها لخير مواطنيه .

انك شعبي العزيز ، شعب المسيرة الخضراء وانك لتستحق كل تقدير وكل اعزاز ، وانك لصاحب الوعي الذي لفت الانظار وهز المشاعر ، ودوى ذكره في الآفاق ، فانت لهذا كله ولغيره من الاسباب جدير بان يلقى اليك زمام امرك في المجال الرحب الذي خطه وابانه دستور وطنك . ولكنك ـ شعبي العزيز ـ ستطرأ في طريقك قضايا عويصة وتتواصل امامك يتواصل الايام مشاكل لن يكون لك عن ابتكار الحلول لها مندوحة ولا محيص ، ولكنك من جهة اخرى ستلمس حاجات متعددة متباينة وتتمرس بواقع يتخذ اشكالا وألوانا وستستفيد من الممارسة وتفيد بالخبرة المكتسبة وتتناول بالتجربة المتثقفة لمجابهة قضايا ومشاكل من نمط جديد قد تدعو ضرورة بلادك الى ترشيح الصالح من افرادك ، المجلي من ابنائك الفائز بعد الابلاء والامتحان لخوض عبابها واحتمال أبعادها.

وستمارس ـ شعبي العزيز ـ عن طريق منتخبيك وممثليك طائفة من الحقوق كفلها القانون وضمنها الدستور ، وسيكون لك من النفوذ ومن الانفراد بالتسيير في الميادين المحددة ، ومن مراقبة تصريف المسؤولين عن الشؤون الموكولة الى انظارهم ، فحذار أن تزل الاقدام ، وتركب مراكب الشطط والجموح وتختل بسوء الاستعمال موازين القصد والقسط ، واخشى ما نخشاه على ديمقراطيتنا المبنية على اسس تعايش السلط وتعاونها وتفاهمها ان يحاول احد الجوانب من هذه السلط التطاول والطغيان على الجانب الآخر ويصاب بالاهمال في غمار الصراع ، على الغلبة والرجحان امثل اهدافنا وافضل اغراضنا الا وهي صيانة المصلحة العليا للبلاد وحماية المصالح المشروعة للافراد .

وان اشد واعظم استدعاء لمسرتنا ، واجتلابا لبواعث افتخارنا واعتزازنا ، ان نرى القائمين بالامر في مؤسساتنا الدستورية جارين على السنن المستقيم متمادين على نهج لا شطط فيه ولا جموح ولا اقتياد .

هذه مسيرة اخرى ، شعبي العزيز ، ستسيرها ثابت الخطى ان شاء الله ، وعليك المعول أن تشد هذه المسيرة ، بامتداد عمر وطنك الطويل ، وان يشيع بفضلك الاطمئنان في النفوس الى انك شعب المسيرات المظفرة التي يخصها التاريخ بانصع واروع الصفات ولنا اليقين بان الله سيتير لك الطريق ويلهمك الهداية ويكتب لك التوفيق .

شعبي العزيز : ان الدول الاسلامية احرى الدول واولاها بالديموقراطية لان لفظ الجماعة في نصوص الكتاب والسنة التي تقوم عليها حياة المسلم المؤمن ، فارادة الجماعة ، مستمدة من ارادة الله ، ولهذا فان النظام الديمقراطي سيعلمنا الخضوع لارادة الجماعة ، وسيقي بلادنا ان يصبح امرها بين أيدي اقلية متعسفة تنفرد برايها وتفرضه على الجماعة بالاكراه والبغي .

اقتصرنا ـ شعبي العزيز ـ على موضوعين اساسيين اولبناهما خلال السنة الفارطة ما رأيناه خليقا بهما من عناية سابقة ، وقد اكتفينا بالحديث عنهما ليقيننا بانك تعلم ان استرجاعنا للصحراء كان العامل الذي رسم معالم مغربك الجديد وان اخذنا فيما اخذنا فيه من تاسيس الملكية الدستورية ناتج عما ترتبط به مشاعرنا ويتعلق به حرصنا منذ زمن بعيد وكلا المغرب الجديد ونظام الملكية الدستورية حري بان تستفرغ من أجله الوان من جليل الجهود ويبلى في سبيله اشكال من جليل البلاء .

اما غير هذين الموضوعين الهامين فمجال متعدد الجوانب مليء بالكثير من الاعمال الايجابية ، ذات المردود الذي ينبيء بان المغرب والحمد لله يضطرد نموه وازدهاره على ما لهما من صلات بسياق اقتصادي عالمي لا يستقر على قرار .

وخليق بك أن تعلم أن توسع بلادك الاقتصادي كان توسعا ملحوظا اذ بلغ حجم الانتاج اثناء السنة الماضية نسبة عشرة في المائة وهي نسبة مرموقة نحمد الله سبحانه على نعمة ارتفاعها ، ولك ـ شعبي العزيز ـ ان اردت فضلا من ايضاح ومزيدا من التفصيل أن ترجع الى ما تنشره وزارتنا في الاعلام من احصاء لمساعي الدولة واستقصاء لما انتهت اليه من نتائج في ظرف العام المنصرم فانك واجد فيما تبسطه من وصف وتورده من تعداد ما هو كفيل بدلالتك على المبذول في مختلف القطاعات والمحصول من يانع الثمرات .

لقد تيسر ـ شعبي العزيز ـ الوصول الى اهدافنا لاننا صرفنا مخلصين الى بلوغها الهمم غير متوجسين بخيفة ولا مشفقين من نائبة نسوب او خطب يلم على ما منينا به من حسد الحاسدين ولقيناه من طمع الطامعين فطفقنا نصون سيادتنا ونحمي حمانا مستفدين لصد كل عدوان متأهبين للذود عن الكيان وبقيت قواتنا المسلحة الملكية واخواتها القوات المساعدة ، وقوات الدرك والشرطة وطيدة العزم قوية الشكيمة ثابتة الايمان ، وان ملك البلاد القائد الاعلى لجميع قوات وطنك ليغتنم فرصة هذا اليوم الاغر الاغر الميمون ، للتنويه بما تقدمه راضية مرضية من خدمات جليلة لصالح الامة وللاعراب باسمك ـ شعبي العزيز ـ عما يكنه المواطنون كافة لجميع افراد قواتنا المرابطة من مشاعر المحبة والتقدير والاكبار .

واننا لنسال الله ان يبارك باطنها ويؤيد اصرارها ويديم مآثرها ومفاخرها .

شعبي العزيز ، في هذا اليوم الذي تحتفل فيه بعيدين يرتبط كل واحد منهما بمقوماتنا كشعب توثقت عراه بالاسلام ، منذ فجر اشراقه وسار مستنيرا بنور هداية الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة الوضاحة ، وتاصل نظامه الملكي الموغل في اعماق السرائر والضمائر ، في هذا اليوم المشرق باحب الانوار الى قلوبنا وعقولنا تتجه افكارنا وذكرياتنا الى بطل التحرير والاستقلال ومؤثل المكارم والامجاد صاحب الجلالة والدنا محمد الخامس رضوان الله عليه .

وفي هذا الظرف الذي تؤكد فيه اهتمامنا بالصحراء حاضرها ومستقبلها ، وحرصنا على توثيق الملكية الدستورية في بلادنا ، نهفو بقلوب خاشعة ممتلئة بالاجلال والاكبار الى عاهلنا الراحل الذي نحقق مطمحين عظيمين من مطامحه واملين عريضين من آماله ، طيب الله ثراه ، وجعل جنات الخلد ماواه واحله مقام الصديقين والانبياء والشهداء والصالحين وابقى ذكره متألقا في العالمين ومجده وضاء للغادين والرائحين .

اسال الله ـ شعبي العزيز ـ ونحن مبتهجون باقتران العيدين واتفاق الذكريين أن يديم علينا نعمة الائتلاف والتصادق والتآزر والتناصر لما فيه سابغ رضاه وما هو جالب لواسع نعماه ويزيد الاسرة الجامعة بيننا قوة تهدينا الى خير الدارين ومتانة تقينا مكاره الزمن .

اللهم اني متمسك بكتابك المجيد وسنة نبيك الامين ، فيسر لي امري وهيىء لي رشدي في اخذي وردي ، واكلأ وطني بحفظك وبوئه بين الانام مقاما عليا ومقعدا سنيا ، واجعله على الدوام لائذا بكرمك عائذا بجاهك مسترشدا بهديك معتصما بحبلك مؤمنا بالكريم من قولك .

(ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) صدق الله العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله .

دراسات إسلامية

الرد القرآني

على كتيب : "هل يمكن الاعتقاد بالقرآن؟"

وصلتنا الحلقة التاسعة من مقال الاستاذ الكبير عبد الله كنون « الرد القرآني على كتيب : هل يمكن الاعتقاد بالقرآن » والعدد مائل للطبع وقد فرغ من تصفيف جميع مواده « بالليئوتيب » وشرع في اعمال « التيبو » . نعتذر للاستاذ العلامة عبد الله كنون عن عدم ادراج مقاله القيم في هذا العدد مقدرين فضله وجهده العلمي المتواصل في دحض الشبهات حول الاسلام .

والى العدد القادم ان شاء الله

الكتاب المنزل
عن مقاصده وتوجيهاته.

للأستاذ
محمد المعزي الوطاني

حـــدود العقـــل :

يميل الانسان ، ولا سيما في هذا العصر ، الى اخضاع كل شيء لمقاييس العلم التجريبي او النظري اي لسلطان العقل الفاحص .

وبديهي أن هذا المسلك سليم في حد ذاته ولا يمكن بحال ان يؤاخذ عليه الانسان ، كما انه ليس للاسلام ان يتخوف من محك العقل والنظر لان ذلك من مميزات رسالته كما سنرى . الا انه من حقنا ان نلاحظ في البداية ان العقـل الانسانـي له حـدود لا يتجاوزها ، وان العلم بسبب ذلك قاصر عـن ادراك كثير من امور النفس والمادة ، وانه مهما اجتهـد سيبقـى موسوما بالقصـور لا يتخطى في عديد مـن مسائل الكون والحياة حدود نظريات قابله للمراجعة والتصحيح او البطلان المجرد .

نقرأ في مقدمة كتـاب (الصـدفة والحاجـة)* لعالم البيولوجي المعاصر جاك مونو هذه الخاطرة : «ان العالم الحي لا يشكل الا جزءا تافها ومتميزا جدا من الكون المعروف حتى ان دراسة الكائنات الحيـة تبدو وكأن ليس في مقدورها قط ان تكشـف عـن نواميس عامة قابلة للتطبيق خارج عالمنا الحي» فاذا كان هذا هو الشان بالقياس الى الكـون المعـروف لدينا فالى أي حد يصل عجزنا حينما يتصل الامـر بالاكوان الاخرى التي نجهلها ؟

هنا وحينما يعجـز العلم عـن تفسيـر بعـض الظواهر ذات الصلة بالانسان والكون او يقصر عن فهم اعماق النفس البشرية وصلتها بالعقل المطلـق والتزامها، نتيجة لذلك، بالخضوع للقوة المبدعة التي تدبر شؤون الكون يعمد بعض الناس ، عن جهل أو عجز ، الى قطع الصلة بالدين بدعوى أنه يتنافى مـع العلم أو أنهما لا يتلاءمان ولا يلتقيان، ومن هنا تنفتح أبواب يلج منها كثير من المغالطات التي تفسد علـى الانسان مسالك الطمانينة الروحيـة وتمهـد للماديـة سبل العيث بالنفوس بما تبذره من شك وتبثه مـن حيـرة .

ولا يقل عن هذا الموقف تطرفا ما يتمسك به بعض «رجال الدين» من معاداة صريحة للمعرفة العلمية الكونية ومجافاة لكل تدبر أو نظر عقليين في المسائل المتصلة بالعقيدة الدينية .

ومن هنا يحدث الصراع بين العلم والدين، وهو نزاع قديم وصل في عصرنا الحـاضر الى القطيعـة لا سيما في المجتمعات العربيـة حيـث يقـوى استعداد الانسان لتقبل سلطان المادة، واتخاذ موقف ميكانيكي

---

* Jacques Monod, Le hasard et la nécessité. Edition du Seuil - Paris.

من الحياة بسبب التقدم التكنولوجي المذهل الذي نعرفه هذه المجتمعات .

الديـــن والعلـــــم :

ويمكننا ان نقول انه لا يوجد ، من وجهة نظر الاسلام ، تعارض بين الدين والعلم ، ذلك ان العلم ليس في الواقع الا جزءا من الحقيقة الكلية التي ينطوي عليها الاسلام وتقوم في جملتها على التوفيق بين المادة والروح بما تبينه للناس من مبادىء وشرائع تهديهم سبل الحياة على هذه الارض لتنتظم شؤونهم فيها بالعلم والعمل وتقوم الامور بينهم على الايمان والاستقامة وما يترتب عنهما من عدل واحسان وبر ومعروف . ولعل هذه الآية الكريمة «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض» (القصص/77) تلخص أبرع تلخيص روح الشريعة الاسلامية بما ترسمه للمسلم من نهج في السلوك يدخل فيه صحة الاعتقاد ، والقيام بالشعائر، والاستمتاع الحلال بأطايب الدنيا ، وطلب العلم ، والسعي في النفع العام .

وانطلاقا من هذا المفهوم الاسلامي يمكننا أن نقول بأن الدين نظام انساني متكامل يعنى بشؤون الروح والمادة معا ، ويقيم الامور بينهما على اساس التوازن والتعادل . وحينما أقول بأن الدين «نظام انساني» فانا أقصد انه سلوك في الحياة ونمط في التفكير والتصرف يلتزم بهما الناس في الدنيا على المنهج الذي رسمه الله لتنتظم شؤونهم في حدود الايمان بوحدانيته وقدرته المطلقة . فالدين لا ينظم شؤون الآخرة بل انه يعد لها بما شرعه الله للناس من عبادات ونظم خلقية واجتماعية واقتصادية، وما هداهم اليه من عقائد تستقيم بها احوالهم في الدنيا وتزودهم للحياة الاخرى . ومعنى هذا أن الله لم يفرض الدين لصالحه ، لانه تعالى غني عن اعمالنا وعباداتنا ، بل فرضه لصالح البشر.

والعلم شأن من شؤون الدنيا، وهو بذلك يدخل في مشمولات الدين الاسلامي، فلا محل اذن للتعارض.

والاسلام، في حقيقته، لا يقيم الحدود بين العلم والدين ، بل ان عبارة رجال الدين لم يكن لها مكان في حضارة الاسلام ، فهي من مقتبسات هذا العصر ، ومعلوم انها ترادف في البلاد المسيحية عبارة «رجال الكنيسة» .

ويبدو لي أن بعض المتعلمين المسلمين الذين تشربوا فكريا روح الثقافة الغربية تختلط في اذهانهم أحيانا مدلولات الالفاظ التي تعبر عن بعض القيم فيتعسفون في ترجمتها حرفيا وفهمها على غير حقيقتها. و«الدين» من تلك الالفاظ التي تنطوي على ابعاد نفسية وفكرية وخلقية تتصل بتراث الامة التي تستعملها ، ولا يلعب المعنى اللغوي والاشتقاقي في ذلك الا دورا ثانويا .

فاذا كان من معاني كلمة الدين في اللغة العربية الالتزام بالطاعة والانقياد ، أو الحكم والضبط ، او الحساب والجزاء ، فان مدلولها الفكري والنفسي يذهب أبعد من ذلك بكثير . فنحن ، مثلا ، حينما نتلو قول الله تعالى : «ان الدين عند الله الاسلام» ، يبعث لفظ الدين في اذهاننا معاني عميقة تشمل عقيدة التوحيد وما يتبعها من بعث وحساب ، وثواب وعقاب ، وجنة ونار ، كما تشمل جملة العبادات والمعاملات التي شرعها الاسلام بما اوحاه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واشتمل عليه القرآن الكريم والسنة الشريفة . وليس هذا بالتأكيد هو ما يفهمه الفرد المسيحي أو البوذي أو البراهمي من لفظ الدين بابعاده التي ذكرناها .

القرآن مصدر الافكار الاسلامية :

من هذا المنطلق نقول : ان القرآن الكريم هو المرجع الاول للمسلمين في شؤون العقيدة والاخلاق والتشريع والسلوك الاجتماعي والاقتصادي ، وهو بهذه الصفة كان المصدر الاول للافكار الاسلامية في ميادين الفقه والتصوف وعلم الكلام والفلسفة واللغة والبيان، كما انه كان العامل الرئيسي في تقدم العلوم الطبيعية والرياضية والطبية وغيرها ، كما انه حرك العقول وشحذ الاخيلة وأثار تيارات البحث والنظر والتأليف والترجمة في شتى ميادين العلم والفكر .

وفضلا عن هذه الميزة التي جعلت من القرآن الكريم محركا للافكار والعقول في اتجاه المعرفة والعلم، وحافزا قويا من حوافز الدرس والاطلاع والتفاعل مع ثقافات الامم المختلفة واستيعابها بشكل يتلاءم مع روح الاسلام ومنهجه ، أحدث الكتاب المنزل وعيا

خلقيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا جديدا في حياة المجتمع الاسلامي وفي سلوك افراده ومعاشهم .

ذلك أن القـــرآن جاء دعـــوة الى الاصـــلاح فرسم للناس منهجا قويما فـي العقيـدة والسلـوك والتفكير والعمل ، وخاطـب عقلهم وقلبهم وخيالهـم جميعا ببيان واضح ، ومنطق مقبول ، وحجة قائمـة ، ودعاهم الى التعامل بالحسنى وتسخير الارض لما فيـه خير البشر وفقا لمبدأ الاسلامي المعـروف : لا ضرر ولا ضـــرار .

فالقرآن اولا كتاب موعظة وارشاد ، وهذا مـا تدل عليه آيات بينات كقوله تعالى : «يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فـي الصـدور وهدى ورحمة للمؤمنين» (يونس/57) وقوله عز وجل «ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذيـن يعملـون الصالحـات أن لهـم أجـرا كبيـرا» (الاسراء / 9) .

والقرآن، مع ذلك، هو الاصل الاول من اصول التشريع الاسلامي «وما أنزلنا اليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه» (النحل/64) «انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله» (النساء / 105) «ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء» (النحل / 89) والسنة النبوية هي الاصل الثاني للتشريع الاسلامي ويليها الاجتهاد وما يتصل به مـن قيـاس ومصالح مرسلة . ومعلوم ان الاجتهاد في الاسلام من الاصول التي تفتح للعلم والعقل الانسانـي الرصيـن أبوابا واسعة من البحث والنظر والاستنباط .

هذا وقد اخطط الله للقرآن منهجا يحفز علـى التدبر والتفكر ويحث الانسان على امعان النظر في نفسه وفي سائر مخلوقات الله ليدفعه الى البحث والدرس والاستكشاف قصد بلوغ غايات منها : تصحيح الايمان بوحدانية الله، والسعي لعمارة ارضه التي استخلف فيها الانسان فحمله بذلك أمانة عظيمة الشأن جوهرها التوحيد وقوامها الكدح والعمل لاقامة العدل والمساواة بين الناس، وتنظيم شؤون معاملاتهم وعباداتهم تنظيما يضمن لهم حسن المعاش في الدنيا ، والنجـاة فـي الآخرة .

تدبـــر النص القرآنـــي :

والقرآن الذي حث على التدبر والتفكر في أمور الحياة والكون، امر المسلمين أن يتدبروا ، في المقام الاول ، نص القرآن نفسه ليفهموه ويستوعبوا معانيه، لان العلم لا يحصل الا بالفهم، وفي ذلك يقول الله تعالى: «كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياتـه » (ص/29) ويقول: «افلا يتدبرون القرآن؟» (محمد/24).

نقرأ لتقي الدين بن تيمية في كتابه (مقدمة في أصول التفسير) : «يجب ان يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم بين لاصحابه معاني القرآن كما بين لهـم الفاظه، فقول الله تعالى: «لتبين للناس ما نزل اليهم» يتناول هذا وهذا ـ أي المعنى واللفظ ـ وقد قال ابو عبد الرحمن السلمي : حدثنـا الذيـن كانـوا يقرئوننا القرآن ، كعثمان بـن عفان وعبـد الله بـن مسعود : أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا مـا فيها من العلم والعمـل ... فتعلمنـا القرآن والعلـم والعمل جميعا» .

ويعلق بن تيمية على هذه الرواية بقولـه : «فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلـم ، كالطب والحساب ولا يستشرحوه ، فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم ، وقيام دينهم ودنياهم» .

ولقد كان من أسباب تأخـر المسلمين ، بعـد النهضة الكبرى التي عرفتها دولهم ، أنهم فرطوا فـي تدبر آيات الله البينـات ، واقتصروا على الحفـظ والاستظهـار دون التعمق والفهم ، ووقفوا عند حـد التقليد الجامد ، وقصر باعهم عن الاجتهاد ، جهـلا وركونا ، فتخلفوا عن ركب العلم ، ووقفوا عن التقدم.

واننا لنحمد الله على أن الهمم انصرفت في هذا العصر ، بعد يقظة الشعوب الاسلامية ، الى الاجتهـاد في طلب العلم ، والاتجاه الى الدرس والبحث، فقامت بينهم طائفة من العلماء أتيح لهم نصيب وافر من علوم العصر فجعلوا ينظرون في القرآن نظـرة المستبصر المستنير يتدبرون آياته على ضوء السلف الصالـح وبفكر متفتح على معارف العصر ، فظهرت تفاسيـر ودراسات علمية قيمـة تكشف جوانب عديدة مـن أسرار القرآن وعلومه ، وانشئت كليات جامعية وهيآت

علمية اسلامية تخدم البحث العلمي النزيه ، وتوجهه اليه باسلوب يناسب علوم العصر وحضارته .

وجدير بنا ان ننوه هنا بحسنة من حسنات جلالة ملك المغرب الحسن الثاني تتجلى في تاسيس دار الحديث الحسنية بظهير شريف صادر عام 1385 الموافق لسنة 1965 ، وهي مؤسسة جامعية عليا للتدريس والبحث في ميادين العلوم الاسلامية ، وفي مقدمتها علوم القرآن والسنة النبوية . واننا لنتمنى بل نعتقد ان تتجه هذه الكلية العلمية – التي قطعت اشواطا هامة في ميدان التدريس – الى البحث، وان تذيع في الناس نتائج بحوثها وان تنشر الكتب والرسائل الجامعية ، فذلك هدف رئيسي من اهدافها كما جاء في ظهير تاسيسها .

منهج القرآن في الدعوة الى العلم :

لقد بينا ان القرآن الكريم قد دعا المسلمين الى تدبر آيات الله البينات الواردة في نص الكتاب مما ادى الى نشوء حركة علمية واسعة ازدهرت بها علوم التفسير والحديث والعلوم اللغوية والبلاغية والبيانية وغيرها ، ونشرت آلاف الكتب والمصنفات التي درس فيها مؤلفوها القرآن الكريم من جميع جوانبه. وينبغي ان نشير الآن بايجاز الى الجانب الآخر للدعوة القرآنية التي وجه القرآن الكريم الانظار والعقول اليها .

نعم ، يزخر كتاب الله المنزل باشارات تثير الاذهان وتوجهها الى التفكر في خلق الانسان والاكوان لغرضين حيويين : احدهما الايمان اليقيني بوحدانية الله وقدرته ، والثاني تمكين الانسان من تسخير الطبيعة بوسائل علمية لتحسين الحياة على الارض بما يتفق وروح الشريعة واهدافها .

فمن الآيات ما يدعو الانسان الى التدبر في امر نفسه كقوله تعالى : «أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين؟» (يس / 77) وقوله عز وجل: «يايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ...» (الحج /5) فالانسان خلقه الله من ماء مهين وسواه بشرا وجعل له السمع والبصر والفؤاد ، وهداه النجدين : اما شاكرا واما كفورا ، واذ جعله الله متوفرا على جميع مقومات النظر العقلي والاهتداء الشعوري فانه صار مدعوا بالضرورة الى التفكير الدائم والبحث المستمر لان الذي يبحث عن نفسه بالعقل والفؤاد ، اي بالعلم والمعرفة ، يجد الله في نهاية الامر فيطمئن قلبه ويسخر العلم الذي وصل اليه في سبيل الخير والنفع العام .

وقد احاط الانسان في هذا العصر بكثير من العلوم وحقق اكتشافات رائعة ومخترعات مدهشة فتمكن من فلق نواة المادة واطلاق الطاقة الكامنة فيها كما توصل الى اكتشاف اصغر ذرات خلاياه ووقف على عوالمها الكيماوية المذهلة حتى ان علماء البيولوجيا المعاصرين اخذوا يعتبرون الكائنات الحية – وفي مقدمتها الانسان – بمثابة الات كيماوية اذ ان نمو الاجسام وتكاثرها يتطلبان حدوث آلاف التفاعلات الكيماوية التي تتكون بفضلها مقومات الخلايا. وبالرغم من ذلك فان الانسان ما يزال في حاجة شديدة الى ان يدرس نفسه من الظاهر والباطن لمعرفة مكانته وعلاقته بالكون الواسع الذي تدبره الله بحكمته واتقان .

قال الله تعالى في كتابه العزيز : «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق» (فصلت / 53) وهو سبحانه ما يزال يرينا آياته في الاكوان وفي انفسنا منذ ظهور الانسان على الارض ، يرينا ذلك بما ييسرنا له من علم وما يهدينا اليه من معرفة ، وما اقل ما رايناه وما اكثر ما يزال محجوبا عن انظارنا ! والامر المهم هو ان توصلنا المعرفة الى اليقين الذي يثبت الايمان ، وألا تجعلنا نرى في فتوح العلم والتكنولوجيا مجرد وسيلة لارضاء الفضول او لتأكيد سلطان المادة . فهذا الاختيار القاصر ان لم يؤد في الآجل الى تدمير الحضارة الروحية والمادية المتوازنة التي بناها الانسان جيلا عن جيل فانه سيقود لا محالة الى تقويض القيم الروحية والخلقية التي اصبح الانسان بفضلها كائنا متميزا بعد ان كان في اوائل ظهوره على الارض من جملة البهائم التي تدب عليها .

واذا كان التفكير العلمي قد انتهى ببعض المفكرين الى القول بان الانسان مجرد آلة تنتج ادوات العمل بقصد التأثير في الطبيعة وتحويلها ، وان العالم مادي وانه لا وجود فيه لغير المادة وقوانين حركتها وتغيرها، فان هذا مما يدل على وجود تهافت خطير في فكر بعض الاقوام كما يدل على ان دعوة

القرآن ما تزال قائمة بكل جدتها وقوتها تنتظر رجالا ينولونها عن علم وايمان حتى يثبتوا للماديين الضالين أن الله سبحانه وتعالى يتنزه عن العبث وهو القائل عز وجل : «وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين» (الانبياء / 16) وكان الفيزيائي المعاصر أينشتين قد استلهم هذه الآية الكريمة حينما قال متحدثا عن قاعدة التأكد : «لا استطيع ان اعتقد ان الله يتصرف في الكون تصرف من يلعب بالنرد»*

ونعود لمسالة الدعوة القرآنية الى التدبر لنرى أن كتاب الله العزيز لم يقتصر على دعوة الانسان الى التفكر في نفسه بل لفت نظره كذلك الى آيات الله الكونية بكيفية تثير في نفسه حب الاستطلاع العلمي، والرغبة في البحث والكشف ليكتمل بذلك ايمانه ويطمئن قلبه ، ذلك ان المعرفة اليقينية التي يشترك فيها العقل والقلب والحواس ويعاينها البصر والبصيرة تؤدي حتما الى الايمان الثابت .

ونلاحظ أن القرآن الكريم كثيرا ما يخاطب الناس بكلام نبداه بمثل قوله : «ألم تر...» «أو لم يروا...» «أفلا ينظرون الى...» ولاشك ان هذه المخاطبة لا يقصد منها مجرد التنبيه ولفت النظر ، بل الدعوة الى التدبر الطويل والتفكر العميق وكلاهما من وظائف العقل والحواس .

يقول الله تعالى : «أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي؟» (الانبياء/30) وواضح أن في هذه الآية تقريعا للذين لا يتدبرون آيات الله الكونية فيؤدي بهم الجهل الى الكفر ، والآية بعد هذا تثير الفضول العلمي وتنبه غريزة حب الاستطلاع في الانسان . ذلك أن البشر لا يستطيعون ان يدركوا بحاسة البصر وحدها، حقيقتين تشير اليهما الآية الكريمة: 1) فتق السموات والارض بعد ان كانتا رتقا. 2) علاقة الحياة بالماء . وهما موضوعان يتطلبان دراسة طويلة وتأملا عميقا . فالناس مدعوون أولا الى الايمان والتسليم ما دام الله سبحانه وتعالى هو الذي يخبرنا بذلك بواسطة رسوله الكريم ، ثم نتابع البحث والنظر لتطمئن قلوبنا باليقين . وهذا هو منهج القرآن في تشجيع العلم والدعوة اليه .

وسنلاحظ في آيتين كريمتين أخريين كيف ربط القرآن وجدان العلماء بالتفكر في آيات الله الكونية لاستخلاص النتائج الاعتقادية والعقلية منها : يقول الله تعالى : «ألم تر أن الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء» (فاطر/27-28) فالآية الاولى زاخرة باشارات واضحة تحث على التدبر والبحث والاستكشاف ، والآية الثانية تقرر ان العلماء الذين يبحثون ويكتشفون الحقائق هم اكثر الناس خشية لله ، والخشية مرتبة سامية من مراتب الايمان الذي ينبته العلم .

وما اكثر ما يدعو القرآن الى النظر بالعقل قبل البصر : « انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ، ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون» (الانعام/99) «ألم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل» (لقمان/29) «أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج» (ق/6) «ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا» (الفرقان/45) «أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن» (الملك/19) ان كل هذه الآيات الكريمة تدعونا الى النظر بالعقل والخوارج في ظواهر بيولوجيه وطبيعية شتى تتصل بالكائنات الحية وبالافلاك .

ترى هل كان الانسان يستطيع ، لو انه لم يطل النظر في الطيور المحلقات في جو السماء ، ان يكتشف الطائرة في يوم من الايام ؟ ان التأمل البصير هو بداية العلم وهو تمام الايمان .

ويحق لنا ان نلاحظ بعد هذا ان القرآن قد استعمل لفظ «آية» للدلالة على معنيين : اولا : على الجمل القرآنية المتصلة بعضها ببعض مثل قوله : «ليدبروا آياته». ثانيا : على الدلائل الكونية مثل قوله : «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون» (يس/37) فكلمة الآية هنا معناها العلامة الظاهرة التي يتبين منها الوجه الخفي من الاشياء ، فالمسالة تتطلب الملاحظة والاستكشاف والتثبت .

---

*) ملاحظة قرأناها في بحث للدكتور ميلر بروز منشور في كتاب « الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة» جمع وتقديم محمد خلف الله .

فالقرآن ، اذن ، دعوة واضحة الى العلم واعمال النظر بقصد معرفة الظواهر وكشف الحقائق ليصح الايمان باليقين وتحصل المنفعة العامة التي فيها خير الناس في المعاش والمعاد .

العلـــــم والايمـــــان :

ويمكننا ان نستنتج من هذا المقصد الاسمى ان العلم الذي لا يؤدي الى الايمان والمنفعة العامة مما ضرب من الفساد في الارض .

قرأت في كتاب (القوة والضعف)* للاستاذ جان هامبور جير، الطبيب الباحث الفرنسي ما ترجمته: «شاهدت يوما على شاشة التلفزيون صحافيا يسأل عالما نابها من علماء الفيزياء . قال الصحافي :

ـ هل تفكر احيانا في عواقب مخترعاتك ؟ فأجاب العالم :

ـ انني لا افكر في ذلك قط ، فالمسألة ليست من شأني، وعلى الآخرين ان يفعلوا ذلك مكاني» وعلق جان هامبور جير على هذا الحوار الغريب بقوله:

«لا شك ان عددا كبيرا من النظارة قد اقشعرت ابدانهم في تلك اللحظة مثلي وهم يستمعون الى رجل بحدث الصاعقة فلا يشغل باله بما يمكن ان تتسبب فيه» .

ان الله لا يحب الفساد . والعلم الذي لا يصحبه الايمان ونفع الناس عبث لا يقبله الله وفساد يؤدي الى سوء العاقبة في الدنيا قبل الآخرة .

العقيـــدة والاخـــلاق :

اذا كان هذا هو موقف القرآن من العلم فان توجيهاته السامية في مسألة العقيدة والاخلاق تتلخص في منطوق هذه الآية الكريمة ووروحيا : «ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون» (فصلت/30) ويتكرر نفس هذا المعنى في سورة الاحقاف (الآية 13) . وفي حديث عن ابي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : قلت : يارسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه احدا غيرك ، قال : قل آمنت بالله ثم استقم .

فالايمان بالله يقتضي بداهة الايمان بوحدانيته المطلقة التي تتجلى في عدد من الحقائق التي ينبهنا اليها القرآن الكريم ومنها :

أولا : انفراد الله بالخلق والابداع «الا له الخلق والامر » (الاعراف 54) « بديع السموات والارض » واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون » (البقرة 117) «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض » (الروم/27) .

ثانيا : علمه المطلق الشامل : «وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه» (فصلت/47) «ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين» (الانعام/59) ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن اقرب اليه من حبل الوريد» (ق/16) .

ثالثا : مطلق تصرفه في الكون والخلائق : «هو الذي يسيركم في البر والبحر» (يونس/22) «انه هو يبدئ ويعيد» (البروج/13) «والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه» (الزمر/67) .

رابعا : خضوع المخلوقات والاكوان لارادته خضوعا تاما : وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون» (آل عمران/83) «وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء» (العنكبوت/22) .

خامسا : تجلي الكمال الالهي في مبدعاته : «ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور» (الملك/3) «افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج» (ق/6) «وانبتنا فيها من كل شيء موزون» (الحجر/19) .. «وصوركم فاحسن صوركم» (التغابن/2) «الذي احسن كل شيء خلقه» (السجدة/7) .

هذا ويترتب عن الايمان بوحدانية الله امور عملية تطبع خلق المؤمن وسلوكه، ومن ذلك الاحساس

* Jean Hamburger, La puissance et la fragilité - Flamarion, Paris.

بانتماء البشر الى اصل واحد وتساويهم في الحقوق والواجبات ؛ وفي هذا يقول الله تعالى : «ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة» (لقمان/28) ويقول: «يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم» (الحجرات/13) ، ومن ذلك ايضا : الالتزام بوحدة الاعتصام والصف : «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» (آل عمران/103) «ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» (الشورى/13) «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء» (الانعام/159) .

وهكذا يجب ان تتجلى وحدانية الله تعالى في وحدة البشر واجتماعهم حول عقيدة واحدة ، وسعي مشترك للخير والصلاح . ولحكمة ما عد الله سبحانه وتعالى الشرك من اكبر الكبائر فقال : «ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» (النساء/48) ، والشرك انواع منه عبادة الاصنام والظواهر الطبيعية، ومنه عبادة الاشخاص وتقديسهم من دون الله ، وهذا النوع من العبادة هو السائد في بعض المجتمعات المادية المعاصرة ، ويطلقون عليه (Le culte de la personnalité) ومن قبيل الشرك ايضا عبادة الهوى ، وفي هذا يقول الله تعالى : «أرأيت من اتخذ الهه هواه أفانت تكون عليه وكيلا» (الفرقان/43) ويقول «ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله» (القصص/50) وقد طغى هذا النوع من العبادة في عصرنا .

وننتقل الآن الى مسألة «الاستقامة» التي هي من جوامع الكلم وتعني في الدرجة الاولى طاعة الله في كل ما يأمر به ، وحسن العمل والاخلاص فيه . والطاعة تقتضي ترويض النفس وتقويم السلوك بالعبادات والتربية والتهذيب والقدوة الصالحة. وغاية الاستقامة ثبوت الايمان بالعمل ومجاهدة النفس ، وتغلب الخير لمنفعة الفرد والجماعة .

لذلك فان الاستقامة تستوجب العدل والامانة وحسن المعاملة وبذل الجهد في سبيل الصالح العام.

فالذي لا يعدل لا يمكن ان يكون مستقيما،ومثله الذي يخون الامانة او يغش في قول او عمل ، في سعي او وظيفة .

والذي يفتن الجماعة عن دينها وعقيدتها ، ويعمل لتفريق صفوفها لا يمكن ان يكون مستقيما ، ومثله الذي يسعى في الارض فسادا بترويج العقائد الضالة والمذاهب الملحدة التي تزيغ عن طريق الله وتقيم لسلطان المادة دولة ورجالا .

ومن مقومات الاستقامة: البذل والتعاون والسعي في خدمة المجموع لكي تتحقق العدالة والمساواة في الواجبات والحقوق جميعا .

فالاستقامة اذن سلوك خلقي واجتماعي متكامل يتيح للفرد حرية لا تقيدها الا الشريعة ، ويضبط علاقة الفرد بربه على اساس الطاعة والبر والتقوى كما يحدد علاقته بالجماعة في دائرة الموالاة والتعاون واقامة العدل « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» (التوبة/71) .

العـــدل قيمـــة كليـــة :

والعدل قوام التعامل في الاسلام وهو قيمة كلية لا تتجزأ ، فليس هنالك عدالة اجتماعية واخرى سياسية واقتصادية . وقد دأب مروجو بعض المذاهب في هذا العصر على تجزئة العدل بما يوافق نظام الطبقات الذي يدعون اليه ، والواقع ان الاسلام الذي لا يقر نظام الطبقات ولا يقول به لا يستسيغ ولا يقبل تجزئة العدالة وتوزيعها بحسب نظام الطبقات . فالله سبحانه وتعالى «يأمر بالعدل والاحسان» ويقول في كتابه العزيز : «وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون» والعدل قوامه الحق وبه تستقيم احوال الجماعة في الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، فهو اذن كل لا يتجزأ .

ويحق لنا بعد هذا ان نقول بأن كثيرا من المسلمين المعاصرين قد تسربت الى اذهانهم بعض المغالطات المذهبية فأوقعتهم في ضلال فكري يعيد جعلهم يتوهمون اشياء جافية عن حقيقة الاسلام ورسالته العظمى .

وهكذا اخذنا نسمع هنا وهناك مصطلحات من امثال: الايديولوجية الاسلامية، والاشتراكية الاسلامية، وجدلية الاسلام وغير ذلك من الاوهام التي ما انزل الله بها من سلطان .

ولو تأمل هؤلاء المغرورون ، ولو قليلا ، في أصول هذه المصطلحات ومقاصدها لما نسبوها الى الاسلام .

فالايديولوجية ، مثلا ، مصطلح ظهر اول ما ظهر في القرن الثامن عشر بأوربا وكان يدل في البداية على علم يعنى بدراسة الافكار وطبيعتها وقوانينها. وحينما انتشرت الفلسفة الماركسية في القرن التاسع عشر تناول مروجوها لفظ ايديولوجية فاعطوه مدلولا جديدا يفيد جملة الافكار والعقائد والمذاهب الخاصة بمجتمع او بطبقة من المجتمع . وواضح أن الاسلام بعيد كل البعد عما يؤديه لفظ الايديولوجية في اصله او تطوره. فالاسلام شريعة الله اوحى بها الى نبيه ، وهو ليس علما للافكار ولا اتجاها في تيارات المذاهب الاقتصادية والاجتماعية .

والاسلام ليس اشتراكية ولا شيوعية ولا رأسمالية ولا ليبرالية، وهو ابعد ما يكون عن الجدلية بجميع أصنافها وضروبها بما فيها المادية الجدلية التي تخالف عن امر الاسلام وتقول بأن لا شيء في العالم غير المادة وقوانين حركتها وتغيرها، فهذه كلها آراء افتراضية من وضع البشر تصلح لزمان محدود ومكان معين وطبقة مخصوصة وتقبل الدحض والتفنيد والاخذ والرد ، والاسلام شريعة الله لا يحدها زمان ولا مكان تصلح للبشرية كافة وتستمد اصولها من كتاب الله وسنة نبيه وتفسح المجال لاجتهاد علماء الاسلام بما لا يخالف القرآن واقوال الرسول الثابتة بالسند الصحيح ، وبما يتفق ومصالح الجماعة الاسلامية في كل عصر ومكان .

هذا بعض ما يسره الله على قلبي ولساني (*) من حديث عن توجيهات الكتاب المنزل ومقاصده ، هذا الكتاب الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، «هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه على جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الالسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه» .

فاللهم اهدنا بهدي القرآن ، وثبت قلوبنا وخطانا على الحق في سبيله ، واجعله امامنا ورائدنا الى العزة والتقدم والفوز بخير الدنيا ونعيم الآخرة .

محمد العربي الخطابي

(*) محاضرة القيت بدعوة من وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية يوم 12 ربيع التيوي 1397 (3 مارس 1977) .

« ان ماركس لم يبدأ في الالمام بشيء عن الاسلام الا في اواخر حياته التي قضاها في لندن وكان فيها دائم التردد على مكتبة المتحف البريطاني واطلع بها على ترجمة لكتاب « الاموال » للامام ابي عبيد وكان تعليقه على هذا الكتاب قوله « ان الاسلام دين تقدمي » وهذا من قراءة كتاب واحد » .

د. عبد المنعم النمر

« الاخبار » القاهرية

8 — 2 — 1977

تعاليم الإسلام ومقتضيات العصر

للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

تعاليم الاسلام اذا خلت من الجمود والجحود وبقيت على صفاتها لم تتلوث بالبدع المحدثة صالحة لكل زمان ومكان وكفيلة بسعادة الدارين للجنس البشري بأسره ، وهي مبنية على ثلاثة أصول : توحيد الله تعالى واتباع رسوله (ص) والخلق الحسن . فأما توحيد الله سبحانه فهو على ثلاثة أقسام : توحيد الربوبية وهو اعتقادنا أن الله هو خالق هذا العالم والمتصرف فيه والمدبر لشؤونه لا يشاركه في ذلك أحد كما قال تعالى في سورة الاعراف : « ان ربكم الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين » . معناه : ان مالككم وسيدكم الذي أنعم عليكم بنعمتي الايجاد والامداد والذي بيده مقاليد أموركم وبيده ملكوت كل شيء واليه يرجع الامر كله هو الله الذي خلق السموات والارض ، أي انشاها واوجدها من العدم على غير مثال سابق في ستة أمدد ثم استوى على العرش الذي هو أعظم المخلوقات . يغشى الليل النهار أي يغطي الليل بالنهار ، فيقصر الليل ويطول النهار ، ويغطي النهار بالليل فيقصر النهار ويطول الليل ، وسخر الشمس والقمر ، بأن جعل لهما نظاما بديعا دقيقا في مشارقهما ومغاربهما وفي انتفاع عباده بهما ، ثم قال تعالى الا له الخلق والامر ، فهو خالق كل شيء وله وحده الامر والتصرف في مخلوقاته وهي كلها خاضعة لارادته تبارك وتعالى .

وقال تعالى في سورة فاطر : « والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك » . تضمنت هذه الآيات الكريمة من دلائل ربوبية الله تعالى أمورا أولها ارسال الرياح التي تثير السحاب وتسوقه لانزال المطر حيث يشاء الله وثانيهما ان ذلك المطر يحيي الله به الارض بعد موتها فتخرج من خيراتها وبركاتها أنواعا كثيرة من المعايش والارزاق التي تقوم بها حياة الانسان والحيوان ، ثالثها أن الله الذي أحيا الارض بعد موتها قادر على احياء الموتى ببعثهم من مراقدهم لتجزى كل نفس بما عملت وذلك مقتضى عدله وحكمته ، افحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ، رابعها أن العزة بيد الله من أعزه فلا مذل له ومن أذله فلا معز له فيجب على من يريد العزة أن يطلبها بطاعة

الله وامتثال أمره واجتناب نهيه وتحكيم شرعه باتباع كتابه ورسوله فبذلك تنال وبضده تنال الذلة لا مبدل لكلمات الله ، خامسها ان كل كلمة طيبة وكل عمل صالح يقبلهما الله تعالى ويثيب عليهما وكل كلمة خبيثة وعمل سيء لا يرضاهما الله تعالى ويعاقب مرتكبيهما . سادسها أن المجرمين الذين يخادعون الله والمؤمنين ، ويمكرون السيئات ويدبرون المكايد في محاربة الحق اتباعا لاهوائهم ، لهم عذاب شديد في الدنيا والاخرة ، ووبال مكايدهم لا يعود الا عليهم: فيبور مكرهم ، اي يبطل : كما قال تعالى « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » ، ولا يحيق المكر السيء الا باهله . سابعها أن الله خلق الانسان من تراب ثم من نطفة في اطوار كثيرة حتى استوى انسانا كاملا وجعله اصنافا مختلفة في الخلق والاخلاق مع ان اصلهم واحد . فسبحان الخلاق العليم . ثامنها ان ذلك يستلزم كمال علمه بكل دقيق وجليل من احوال خلقه اذ كمال الصنعة يدل على كمال الصانع . تاسعها تفضله على عباده بان خلق نوعين من المياه احدهما عذب وبيد شرابه وثانيهما ملح مر طعمه مغاير للاول تمام المغايرة . عاشرها انه خلق لنا في كل من العاتين اسماكا طرية اللحم ،لذيذة الطعم متشابهة مع تغاير مستقرهما العذب والملح . حادي عشرها انه خلق لنا في البحر المح اللآلىء ومرجانا لزينة والتحلي . ثاني عشرها انه سخر لنا السفن والبواخر تمخر عباب البحور وتنقل الناس والبضائع من بلد الى بلد لتبادل المنافع والتوسع في المكاسب واوجب علينا الشكر ووعدنا بالمزيد . ثالث عشرها وقد تقدم ادخال الليل في النهار وادخال النهار في الليل وتسخير الشمس والقمر . ثم قال تعالى (ذلكم الله ربكم له الملك) ، فالذي فعل ذلك وامثاله هو المالك المربي وغيره عبد مملوك عاجز .

القسم الثاني توحيد العبادة : وهو التوجه الى الله وحده بالدعاء والصلاة والاستعاذة والاستغاثة وهي طلب الحفظ من الشر ، والتوكل ، وهو الاعتماد عليه في جلب الخير ودفع الشر ، والنسك وهو الذبح بقصد التعظيم ، والنذر وهو الذي يسمى بالمقربية (بالوعدة) والخوف بالقلب والخضوع بالقلب وهو الانابة والحلف والتصدق لوجهه والعبودية والتذلل له ، والتحاكم الى شرعه في كل شيء ، ونبذ كل تشريع لا يستند اليه ، والرضا بقضائه والصبر على المصائب لوجهه ، والتحاب فيه والتباغض لاجله والموالاة والمعاداة من اجله الى غير ذلك من انواع العبادات كالصوم والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك المحرمات والشبهات والاحسان الى خلقه والرحمة والشفقة عليه ، كل ذلك وما اشبهه لا يفعل الا لله ، ومن فعل شيئا منه لغيره فقد اشرك به (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من انصار) .

القسم الثالث : توحيد الاسماء والصفات وهو ان لا يوصف الله تعالى الا بما وصف به نفسه في كتابه او وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في حديثه

الاصل الثاني اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب على كل مؤمن ان يحبه اكثر من نفسه واولاده ووالديه والناس اجمعين لقوله عليه السلام : (لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين) رواه البخاري ومسلم من حديث انس ، وعلامة صدق محبته محبة ما جاء به ، واتباعه بتحليل ما احل وتحريم ما حرم ، وفعل ما امر به ، وترك ما نهى عنه ، والتخلق باخلاقه بقدر الامكان . والدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به . رواه البغوي وصححه النووي ، ومصداق ذلك في كتاب الله عز وجل ، قال تعالى في سورة النساء (65) « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » هذا قسم مؤكد من الله تعالى ، انه لا يؤمن احد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في كل نزاع يقع بينه وبين غيره ، ثم يرضى بحكمه ، ويسلم لذلك تسليما تاما ، حتى لا يقع في قلبه ادنى شيء من الاشمئزاز . ولو كان ذلك ذهاب نفسه وماله واحب الناس اليه ، وتحكيمه بعد انتقاله الى الرفيق الاعلى هو تحكيم كتاب الله وسنة رسوله. ولا يمكن تحكيمهما الا بالعناية بدراستهما ومعرفة ما فيهما ، والتعاون في هذا الامر هو سبب كل ما اصاب المسلمين . افرادا وجماعات ، من اشقاء الحسي والمعنوي ، ولا يزول عنهم هذا الشقاء الا برجوع الى ما كان عليه اسلافهم .

والاصل الثالث . الاخلاق ، وهذا الاصل هو ثمرة الايمان والاعمال الصالحة . قال تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم . والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا

بالحق وتواصوا بالصبر » . فكل اعمال وعمل صالح لا يبقيان صاحبهما على التواصي بالحق والتواصي بالصبر فهما بطلان لا خير فيهما ، والدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : (آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ، اخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وانفرد مسلم بقوله عليه الصلاة والسلام : وان صلى وصام وزعم انه مسلم

ومعناه ، أن من اجتمعت فيه هذه الخصال الثلاث منافق خالص ليس عنده شيء من الايمان ولو قال انا مسلم ونطق بالشهادتين وصلى وصام وحج وفعل كل ما امر به . ويزيد وضوحا ما رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذ اؤتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر ، ومعنى اذا خاصم فجر اذا اكد الوعد بالعهد يغدر فلا يوفي بعهده واذا خاصم احدا كذب وجحد الحق والدفع في الباطل ليغلب خصمه بذلك .

ورب قائل يقول : ان كل ما ذكرته في هذا الحديث يتطبق على تعاليم الاسلام . فاين مقتضيات العصر الحاضر التي هي من صلب الموضوع الذي تتحدث فيه فاقول في الجواب : لعلك تريد التقدم الاقتصادي ، والاجتماعي والسياسي والعلمي والحربي الى آخر ذلك . فتيقن أيها القارىء العزيز ان ذلك لم يغب عن بالي ، فاضمن لي وجود ما تقدم من الاصول الثلاثة : التوحيد ، واتباع الرسول ، والتخلق بالاخلاق التي جاء بها ، أضمن لك التقدم والتفوق في جميع الميادين حتى القنابل الذرية والهيدروجية والصعود الى الفضاء اكثر مما بلغت اليه امريكا والاتحاد السوفياتي زيادة على الرفاهية في العيش واستتباب الامن . أما اذا اهملت الاصول فالتخلف والشقاء التام والذلة والهوان كل ذلك مضمون للمسلمين والعرب ، وان سعوا بكل وسيلة من الوسائل المستوردة والعقائد المجلوبة ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

مكناس : الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

قال رجل لعمر بن عبد العزيز :

— متى اتكلم ؟

قال : اذا اشتهيت أن تصمت .

قال :

— فمتى اصمت ؟

قال : اذا اشتهيت أن تتكلم .

مصير التيارات العقائدية وضرورة الإختيار

للدكتورة عائشة عبد الرحمن
(بنت الشاطئ)

بسم الله الرحمن الرحيم

« ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ، أن أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون »
صدق الله العظيم

الموضوع يتعلق بمصير التيارات العقائدية وضرورة الاختيار .

من حيث المصير ، لا يكون حديثي عنه الا تخمينا وافتراضا ، او حدسا وتصورا وتوقعا ، ويظل المصير وراء ما يكون من حدسنا وافتراضنا ، غيب في مستقبل الغد .

وطبيعي ان الذين يفكرون منا في مصير التيارات ، يقيمون تصورهم له على تقدير لاتجاه سيرها ، وحساب لاحتمال ابعادها . لكن الاحداث بطبيعتها متغيرة فليس من شأنها الثبات ليصدق توقعنا بالضرورة . وغير مستبعد في عالمنا الذي يتغير بين لحظة وأخرى ، ان يحدث في اي وقت ما يخلف التقدير والحساب ، ويتجه بمصير هذا التيار او ذاك ، الى مصير غير الذي توقعه الحاسبون .

لا يعني هذا بطبيعة الحال ، الا نشغل بالغد ونعمل له حسابا ، لكني أوثر أن أدع هذا المصير يتكلم فيه من يقفون في مراصد التيارات يرقبون مسارها . حسبي ان اتكلم عن واقع الامس واليوم :

عن ماضينا الذي كان ، شهد فيه التاريخ امتنا تحقق وجودها الكريم الحر تحت لواء عقيدتها ، وتبدع حضارتها الرائدة التي قادت مسرى البشرية في ظلمات عصورها الوسطى ، حضارة اسلامية الجوهر والروح والفكر والمنهج ، عربية اللسان والقلم ، شاركت فيها شعوب الامة من أقصى المشرق الاسيوي الى اقصى المغرب الافريقي ، وكان القرآن دليل هذه الحضارة الاسلامية الرائدة القائدة ، ومنارها ولواءها ..

عن ذرائع الغزو الفكري الضاري الذي تسلط علينا في ليلنا الطويل ، وجعل من عقيدتنا هدفا لم يغب قط عن بصر الغزاة من كل جنس وملة ، ليشوهوا الانسان فينا ويفرغوه من جوهر ذاته ويمسخوا ملامح اصالته .

عن حاضرنا البائس التعس ، الذي استعرنا فيه ثقافات الغرب وانتحلنا شتى مذاهبه ، وتوزعنا فيما بينها طرائق قددا ذات اليمين وذات اليسار ، فما اغنى ذلك كله شيئا ، اي شيء ، فيما تعاني امتنا من هزيمة وهوان وتمزق ، ولا أعطتنا المذاهب التي انتحلناها والمدارس التي انتمينا اليها ، اي عوض عن عقيدتنا التي تفرط فيها واصالتنا التي هانت علينا

عن هذا الواقع مما كان بالامس وما هو كائن اليوم ، يمكن ان اتحدث . أما المصير في الغد فلا علم لي به ، الله يعلمه ، ولست الا كما قال شاعرنا الجاهلي الحكيم « زهير بن ابي سلمى » :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله

ولكنني عن علم ما في غد عدم

وأتلو من كلمات ربي ، ما تلا نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام :

« ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ، ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

فماذا عن التيارات العقائدية ؟

التيارات فيما أفهم ، لا تنسب الى العقائد ولا توصف بها . وانما هي مذاهب اقتصادية وسياسية واجتماعية محدثة ، انتحلت في عصرنا اسم العقيدة التي لا تتعلق بغير الدين .

وقد يبدو من عجيب المفارقات ، أن تنتحل هذه الصفة ، مذاهب معادية للدين ملحدة به منكرة له ، يبشر دعاتها في الناس باليقظة من تخدير ما سموه افيون الشعوب ، فكيف تعلقها بصفة العقيدة التي عرفها تاريخ البشرية للدين وحده ؟

لكن هذا العجب يزول ، اذا عرفنا ان التجربة الطويلة علمت قادة هذه المذاهب ان الانسان لا يمكن ان يعيش في فراغ من العقيدة ، فكان أن أعطوا المذاهب اسم العقيدة ، في محاولة لملء الفراغ الذي أرادوا عبثا أن يملئوه بتعاليم مذهب اقتصادي اجتماعي . وافضى بهم اليأس الى أن يجعلوا من قادتهم آلهة معبودة على الارض ، لعلها تلبي ما في وجدان الشعوب من نزوع فطري راسخ ، الى التعبد .

وثبت عقم المحاولة لاحلال المذهب بديلا من العقيدة ، وكانت وصية الفيلسوف « بالميرو تولياني » الزعيم الراحل للحزب الشيوعي الايطالي ، تلح على ضرورة تقدير الحزب لغلبة السلطان الديني ، وتنصح لقادة المذهب بان يتقوا أزمة عداء المذهب للدين .

ومضى « بالميرو » تاركا وصيته وثيقة تاريخية تحذر من خطر اصطدام المذهب بالعقيدة الدينية ، فبدأ محاولات المصالحة مع الاديان ، من منتصف القرن الحالي — أي بعد قرن من اعلان ماركس (المانيفستو) سنة 1848 — فسمحت روسيا لافواج من مسلمي آسيا السوفياتية بالسفر الى مكة لاداء فريضة الحج ، ودعت عددا غير قليل من علماء الاسلام ومفكريه في المشرق والمغرب ، لحوار مع اقطاب المذهب ، قصدا الى التعايش السلمي مع شعوب الامة الاسلامية .

كما استقبل البابا الراحل « بول السادس » في الفاتيكان ، عددا من اقطاب الشيوعية . وجرت مفاوضات بين ممثله « الكاردينال فرانز كوينج » — كردينال النمسا — وحكومات المجر ويوغسلافيا ثم تشيكوسلوفاكيا للاعتراف بحق الكنيسة في التوجيه الديني لرعاياها الكاثوليك ، دون المساس بسلطة الحكومة .

تلك كانت تجربة الشيوعية في مقاومتها لما سمته « افيون الشعوب » ومحاولتها ان تحرر الانسان من سلطان العقيدة ، ومضى قرن وبعض قرن ، فما استطاعت ان تعطي عن العقيدة بديلا .

وقرن كامل ليس وقتا قصيرا في امتحان وتجربة ، وبخاصة بالقياس الى عصرنا في جراة اقتحامه وسرعة تغيره وامتداد آفاقه .

ولا أدري مصير المحاولات المبذولة للمصالحة التي فرضها رسوخ التدين في فطرة الانسان .

قصارى ما ادريه ، والله أعلم ، أن بين هذه المذاهب المعاصرة والدين ، تناقضا اساسيا يصعب تلافيه والتغلب عليه .

—

واقول : المذاهب ، بصيغة الجمع ، لان الراسمالية منها كالشيوعية سواء ، في تناقضها مع العقيدة الدينية ، على ما يبدو في ظاهر الامر من غرابة الجمع بين الراسمالية والشيوعية في هذا السياق .

وبيان ذلك ، أن الدين مع بالغ تقديره لبشريتنا ، يتعامل مع انسانية الانسان التي يفترق بها عن جنسه الحيواني العام .

العقيدة والايمان ، من خصائص الانسانية . وكل تكاليف العبادات والشعائر والقيم الاخلاقية ، أمور تتعلق بانسانيتنا . فنحن بهذه الانسانية لا بالحيوانية فينا ، نؤمن ونتعبد ونتقي ونخشع ونخطىء ونتوب . وبانسانيتنا تختلف وتتفاضل ، فيكون منا المؤمن والكافر ، المهتدي والضال ، التقي والفاجر ، الكريم واللئيم ، الطيب والخبيث .

ولا شيء من هذا ومثله ، يتعلق ببشريتنا المادية التي تأكل الطعام وتمشي في الاسواق ، وتتماثل فيها جميعا لا فرق بين مؤمن تقي ، وكافر فاجر .

المذاهب الشيوعية والراسمالية تتعامل مع ماديتنا البشرية التي ننتمي بها الى عموم جنسنا الحيواني ، وليس مع انسانيتنا التي تحمل امانة عقيدتها لا تكره عليها ، ومسئولية سلوكها وسعيها ، وتبعة ارادتها الكسبية فيما هو متروك لحرية اختيارها من قول او عمل . وهي امانة صعبة انفرد الانسان بحملها دون سائر الكائنات التي تخضع للتسخير المطلق ، فيعفيها التسخير من المسئولية والحساب .

المذاهب المعاصرة ، الشيوعية منها والراسمالية ، تعطل امانة الانسان بفرضها الاكراه المذهبي . وتلغي ارادته الحرة باخضاعه لتعاليم المذهب في القول والفعل ، على وجه الالزام والتسخير المطلق . وقد تعلم ان الدول الشيوعية لا تسمح لاحد من رعاياها بان يميل الى الراسمالية ، لكنا قلما نذكر ان امريكا ، قمة الراسمالية ، لا تسمح كذلك لاحد باعتناق الشيوعية .

والنظم الشيوعية تاخذ قوتها ، ان لم تاخذ سببه وجودها ، من تامين الحاجات المادية للبشر، صادقة في ذلك مع نظريتها في التفسير المادي للتاريخ .

وفي الطرف المقابل ، تقوم الراسمالية ، على المادية ايضا ، لانها راسمالها ، وتحاول كذلك ان تؤمن بقاءها في صراع المذاهب ، بتامين الحاجات لشعوبها ، اتقاء تمردها وسدا للذرائع الدعائية الشيوعية .

فليكن ان هذه المذاهب وتلك ، استطاعت حقا بوسيلة او باخرى ان توفر للناس الغذاء والمسكن والعلاج والدواء ، هل يخرج هذا كله عن تطلع بشريتنا المادية الحيوانية ؟

ما من حيوان ، بشرا كان او بهيمة او وحشا او حشرة ، يستغني عما تقوم به حياته من ضرورات مادية . كل الحيوان ياكل ويشرب ويسكن ويتناسل، ويلتمس الدفء والراحة والسلامة من الاذى والمرض.

والانسان وحده ، هو الذي يصوم نسكا ومجاهدة ، ويطيق الجوع الاختياري والحرمان الارادي ، ولا يطيق الذل والعار ، وقد يبذل حياته فدية لشرفه وكرامته وعقيدته ووطنه .

والتدين فطرته ، لان الدين مع تقديره لبشريته، ينظر وراءها الى انسانيته التي يكابد بها معركته الابدية بين الحق والباطل ، بين الخير والشر ، بين الجمال والقبح .

ثم ان الدين يحمي الانسان فينا ، من لعنة العدم التي تجعل حياتنا الدنيا عبثا لا يطاق ، وعبثا عميقا ينتهي بضجعة في القبر ، للبلى والفناء .

وفي تقرير الدين للحساب والجزاء ، يحمي الحياة الانسانية من ضراوة المادية وفوضى العبثية.

والشيوعية صريحة الموقف من الحياة الآخرة . والراسمالية على ما تدعي من تدين ، تسلك سلوك من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، طاغوت المال يفتنها عن عبادة الله ، ولا يصح في العقول ان تقيم الراسمالية وزنا لاي حساب في الآخرة ، مع فحش الاستغلال وضراوة الاحتكار وامتصاص عرق الكادحين واستنزاف اقوات الشعوب ، بالربا والنهب والاغتصاب .

من رؤيتي لهذا التناقض بين الدين والمذاهب الشيوعية والراسمالية ، كان التفاتي الى ان هذه التيارات لا تكون عقائدية الا على وجه الانتحال او الاتهام .

فماذا عن ضرورة الاختيار ؟

في هذا ايضا فكرت اتساءل : من الذي يختار ؟ اهو جبلنا نحن الآباء الكهول ، ام جيل ابنائنا الشباب؟

بالنسبة الينا ، لا ارى الموقف يحتمل اي اختيار يضع عقيدتنا في ميزان المفاضلة تجاه التيارات المذهبية المحدثة ، اذ لسنا مخيرين بين ان ننتمي الى عقيدتنا او الى غيرها من تيارات ولو وصفت بالعقائدية . لسبب بسيط هو ان الانسان لا يختار بين ان يكون هو ذاته او غيره . بين ان ينتمي الى اصله او ينتمي الى الغرباء دعيا بغير اصل.

بل لست اتصور لمكان الاختيار في مجال العقيدة التي هي من جوهر شخصيتنا الضاربة جذورها في اعماق وجود امتنا : قانون الطبيعة

لا يسمح بالبقاء لنبت شيطاني بغير جذور ، وقانون الوراثة لا يعترف بامكان التخلي عما نحمله جبريا من حيث ندري او لا ندري ، من ميراث صنع شخصيتنا القومية بكل خصائصها المميزة وعناصرها الاصلية .

واذا كانت امم اخرى تأخذ بالتفسير المادي للتاريخ ، فان العقيدة هي التي تعطي تاريخ امتنا تفسيره ومنطقه ، في مختلف مراحله وادواره ، ما بين تألق ورقي وسيادة وقيادة ، وخمول وتخلف واستعباد وهوان ، فلننظر أين نحن ، بما فرطنا في عقيدتنا ، واين كنا حين لم نعرف غيرها دينا ، ولم ندن لغيرها بولاء ؟

ومن واقع تاريخنا ، لا أجد لمثلي مجالا لهذا الاختيار بين التيارات التي تتجاذب انسان العصر ذات اليمين وذات اليسار ، من حيث أرى أن الانسان لا يختار بين أن يكون أو لا يكون ..

فهل الاختيار متروك لابنائنا جيل الشباب بما هم اصحاب الغد ؟

ذلك ما يبدو طبيعيا .

ولكن منطق حرية الاختيار في العقيدة والفكر والمذهب ، أن يكون الانسان على بينة مما يرفض أو يقبل .

ومع الجهل بالمرفوض أو المقبول ، تتحدد زاوية الرؤية ومجال التفاضل ، فتنتفي حرية الاختيار .

ومع الجهل بكليهما ، يكون ضحية الاستهواء والانقياد الاعمى ، لا يملك من أمره شيئا ولا يدري فيم السير الى يمين او الى يسار .

وهذه هي مأساة شباب اليوم .

ضحايا الصراع المذهبي الذي استدرجهم من حيث لا يدرون ، الى الانتماء الى غير أصولهم ، وخايلهم بوهم الحرية في الفكاك من (روابط) العقيدة والتمرد على القيود والاغلال التي تنميهم الى امتهم وتشبهم الى ابنائهم .

وصراع المذاهب يعتمد أساسا على وسائل الدعاية ، تمكن لها من منافذ السيطرة على العقل والوجدان والضمير . وتتسابق قوى العصر المادية على مناطق النفوذ الاعلامي ، بخطط بالغة التعقيد ، تشعها أجهزة متفرعة بتفاوت نجاحها بمقدار ما تملك من مكر الحيلة وذكاء الدهاء ومضاء الوسيلة .

وعلى قدر ما يبدو صراع القوى والمذاهب رهيبا وضاريا ، فانه في الواقع محكوم بمنطق التواطؤ على الشعوب المستضعفة ، والتعادل في موازين القوى المسيطرة على عالم اليوم .

وقد دار علينا الزمان ، فألقى بنا في دوامة هذا الصراع ، بعد أن مكن له غزو فكري جائح ، وزع انتماءنا الثقافي على مدارس متنافرة ، ووزع ولاءنا على مذاهب متناكرة ، وحجب عن شباب الامة من ماضي تاريخها وقيام عقيدتها ما يحمي اصالتهم في مهب التيارات الغازية ، ويحصنهم بمناعة ضد الاستهواء والتغرير والتخدير .

وباسم الحرية والعصرية ، فرطوا في أصول شخصيتهم المميزة وجذور وجودهم العريق ، عن جهل بقيمتها وعطائها .

وبالجهل تفقد حرية الاختيار منطقها ، فلا يكون الاختيار الا انقيادا اعمى لما يستهوي الشباب الجاهلين بتاريخهم وعقيدتهم الغرباء في وطنهم ، من جواذب التيارات ، ولا تكون الحرية الا عبودية جبرية لما يتسلط عليهم من سحر الدعاية ومخدرات الاعلام .

في حوار لي مع بعض الماركسيين من شباب الجيل ، قالوا :

« انني والملايين أمثالي مسلمون بالجبر والالزام ، ثم بالتبعية والتقليد . يولد أحدنا فيقرر له ابواه عقيدته وتسجل في شهادة ميلاده من قبل أن يفتح عينيه . ثم يشب عن الطوق ويتفتح ادراكه ، ليجد نفسه مقيدا الى دين لم يؤخذ رأيه فيه ، ولا يملك ان يرتد عنه في مجتمع مسلم ، دون ان تطارده لعنة الردة » .

وعجبت لجبروت الالزام المذهبي ، يخيل الى هؤلاء المفتونين انهم الاحرار فيما ينتمون اليه ، وما لأحدهم فرصة اختيار او مجال تفكير ورأي . وقدرت اني ان واجهتهم بما أعلم من فتنة الاستهواء وسحر التنويم بأقيون العصر ، حملوه مني على محمل الغباء أو التعصب ، فقلت اجادلهم بالتي هي احسن :

— الذي اعمله من اصول ديني ، اننا ببلوغ سن الرشد والتكليف ، نحمل مسئولية عقيدتنا وامانة انسانيتنا ، فليس ابواى بحيث يحملان عني تبعة او جزاء : « الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى » واعوذ بعقيدتي من ان اكون ممن يعطلون عقولهم واسماعهم وابصارهم وانا اتلو من كتاب ديني : « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، اولئك كالانعام بل هم اضل ، اولئك هم الغافلون » فماذا لديكم تقدمونه الى انسانيتي من قيم مذهبكم المحدث، في مقابل ما اعطاني الاسلام ؟ هل يسمح لي مثلا بان اكون من رعايا روسيا ، ولا اعتنق الماركسية ، التي جعلت عقيدة ؟

قالوا : نعينا ، لا .

قلت : فاعلموا اذن ان الاسلام يحظر الاكراه في العقيدة . وقد عاش النصارى واليهود وغيرهم في ديار الاسلام من عصر المبعث الى يومنا هذا ، يمارسون عبادتهم احرارا ، لم يكرههم احد قط على حرمة كنائسهم ومعابدهم .

فافرضوا جدلا انني في روسيا انتحل الماركسية ازاما ، هل يسمح لي بان آخذ فيها مثلا بتفسير ماوتسي تونج ، او العكس ؟

ردوا : كلا ، بالتأكيد .

قلت : فاعلموا اذن ان حرية العقل في الاسلام ليست رخصة يجوز لنا ان نمارسها او نتخلى عنها ، بل هي فيه من جوهر انسانيتنا الناطقة ، فاذا تعطل العقل بالغفلة او المصادرة ، مسخت انسانية البشر وهبط الى دونية الدواب العجماء : « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » .

فافرضوا مثلا انني آخذ هناك او هنالك بتفسير القوم ، هل يباح لي ان ابدي رايا مخالفا لسدنة المذهب وقادة الفكر ؟

قالوا بعد تردد وحيرة : الامر يتعلق بالرأي المخالف ، هل هو في حدود المباح او غير المباح .

قلت : فاعلموا اذن ان حرية الراي والكلمة في عقيدتي الاسلامية فريضة ملزمة ، توجب علينا الامر بالمعروف والنهي عما نراه منكرا ، وتحرم علينا كتمان الجهر بما نعتقد انه الحق ، والساكت عن الحق شيطان اخرس .

فافرضوا انني تحت ضغط الالزام المذهبي ، كتمت كلمة الحق او حيل قسرا بيني وبين الجهر براي مخالف ، هل يسمح لي مثلا بان اختار لنفسي ما اقرا من كتب العقائد والمذاهب دون ان اتعرض لاتهام واضطهاد ، او التمسها من وراء الحدود ، دون مصادرة فكرية ؟

فسكتوا لا يحيرون جوابا ، وقلت : فاعلموا اذن ان الاسلام يوجب علينا الاقرار بانه مصدق لكل رسالات الدين قبله ، ويفرض علينا ان نطلب العلم ولو في الصين .

فافرضوا مثلا انني في روسيا او في الصين لا اقرا سوى ما يفرض علي من كتب المذهب وثقافته ، هل يسمح لي مثلا بحق الخطأ فيما افهم وامارس من تعاليم المذهب ؟

قالوا : يمكن من الوجهة النظرية باعتباره خطأ فرديا ، لكنه من الوجهة العملية مستحيل ، لانك لا تعيش منفردة بمعزل عن المجتمع ولو في نطاق البيت والمدرسة والعمل ، ولا بد ان تسري عدوى الخطأ الى بعض من حولك من افراد الاسرة والجيران والاصدقاء والرفاق .

قلت : ولكن جواز الخطأ على الناس جميعا أصل من اصول عقيدتي الاسلامية . التي لا تعترف بالعصمة من الخطأ لاي مخلوق ، الكمال لله وحده ، ولله سبحانه المثل الاعلى .

فافرضوا جدلا انني تحاشيت الظهور بالخطأ ، وتظاهرت بالالتزام تقية ومداراة ، هل آمن اخضع لمراقبة مرهقة تكشف عما اخفي ، واعرض على اجهزة مدربة ، تستخرج مكنون سري ومستور امري ؟

وتحيروا لا يدرون بم يجيبون .

وقلت : فاعلموا اذن ان الضمير في عقيدتي الاسلامية منطقة حرام لا يحل ان تنتهك ولا ان تستباح . الله وحده يعلم النوايا واسرار القلوب وخفايا الصدور .

وفي عصرنا تنتهك هذه المنطقة الحرام ، وتخضع افكار الانسان وهواجسه واسراره لابشع ضروب المصادرة والعبودية التي لا يقاس بها ما كان يعاني الرقيق في الدهر الغابر : يكبل بالسلاسل والاغلال في رجليه ويديه وعنقه ، ويبقى له عالمه النفسي مطلق السراح لا سبيل الى اقتحامه ، ولا سلطان لسيد على هواجسه وخواطره . وانسان العصر قد ايدل بالرق الجسدي ، استرقاق العقل والنفس والضمير .

واعود فاسال : ماذا يعرف ابناؤنا الشباب من عطاء دينهم وقيم عقيدتهم ليصح لهم اختيار حر ؟

ان الامر يتشابه عليهم فيلبسون ما هو من اصول الدين وجوهر العقيدة بما طرأ على المجتمعات الاسلامية من منكر البدع وشوائب الخرافات وزور التاويلات ، وتعييهم الوسيلة الى معرفة دينهم ووعي بتاريخهم والاتصال بتراثهم ، بعد ان عطل لسان قوميتهم بلعوى بداوة العربية ، ليظلوا في منطقة الجاذبية للثقافات الغازية والتيارات الوافدة ، تفتنهم عن عقيدتهم التي أكرمت الانسان بعزة التوحيد ، وحملته امانة انسانية ، فحررته من سلطة الكهنوتية ورفعت عنه اصرها والاغلال ، ووضعته تحت رقابة ضميره الحر ، وحساب نفسه اللوامة .

وهم يلقون اسماعهم الى ما يقال عن رجعية الدين ، لا يخطر على بالهم أن يسالوا فيم تشتد وطاة الحملة على ديننا برجعية الانتماء الى القرن السابع بعد الميلاد ، ولا يتعرض لمثل هذه الحملة ، سائر الاديان التي سبقته بسبع قرون وعشرين واكثر .

بل قلما يفكرون في مجال هذا التطور الذي يخايلهم : هل تتطور القيم والمثل العليا التي يستشرفه الدين بالانسان اليها ، في سعيه الدائب لتحقيق وجوده الكريم الحر ، وطموحه الابدي الى الحق والخير والجمال ؟

مثلا ، هل يتطور التوحيد ، وهو جوهر الدين كله ، فيدين الانسان بالعبودية لغير خالقه وحده ؟

او يتطور مقياس التفاضل بين الناس ، خلقهم الله من نفس واحدة ، واكرمهم عند الله اتقاهم ؟

او يتطور مفهوم العقيدة الاسلامية لحرية العقيدة والعقل والفكر والرأي والارادة من حيث هي تكاليف ملزمة وواجبات مفروضة وامانة صعبة ولست حقوقا يجوز أن تصادر ، او يحل للانسان ان يفرط فيها ويتخلى عنها برضاه او بالقسر والاكراه ؟

او تتطور دعوة الدين الى التقوى والعفة والصدق والامانة والتراحم والتكافل والامر بالمعروف والتواصي بالحق والخير والتناهي عن المنكر ، وتقريره تبعة القول والعمل ، وحتمية الحساب والجزاء ؟

كلا ، انما تتطور نظم الحياة ووسائل العيش ومراحل التقدم العلمي . والدين في ختام رسالاته ، قد وضع اصول العقيدة وبين مبادئها الكلية الكبرى ، تاركا ما عداها من تفصيلات لمقتضيات سير الزمن ودواعي تغير الظروف والاوضاع ، وهذا هو منطق عالميته وخلوده ، صالحا لكل مكان وزمان .

وحركة التطور مع التقدم العلمي ، سنة من السنن الكونية الثابتة ، والاصل في العقيدة الاسلامية أن علم الانسان كسبي ينمو ويتقدم . « وقل رب زدني علما » ويكشف جديدا من مجاهل الوجود وآفاق الكون ، تحقيقا لاية الله فيما سخر للانسان : ما في السماوات وما في الارض جميعا .

لقد يحق لي ان اسأل عن موقف ابنائنا منا ، حين يكشف الغطاء عن ابصارهم وبصائرهم ، فيحملوننا وزر ما عرضناهم له من ذرائع المسخ والتشويه والغربة والضياع ، ممزقين بين ما في ضميرهم من ولاء لامتهم عقيدة وقومية ولسانا ، وما يتجاذبهم من شتى التيارات الوافدة عن يمين ويسار وهم يواجهون بهذا التمزق عدو اسرائيل وتكاليف معركة وجود أمتهم ، وتحديات العصر .

وبعد وقبل فما ينبغي لي أن أنسى بعد هذا الحديث حول الموضوع أن احتاط فاقول : لعل المقصود بالتيارات العقائدية غير ما فهمته من التيارات المذهبية المحدثة المعاصرة .

أحاديث موضوعة

للدكتور
عبد الله الصديق

راج بين كثير من اهل العلم ، في المشرق والمغرب ، احاديث تنسب الى النبي صلى الله عليه وسلم ، يذكرونها في مناسبات مختلفة ، ومنهم من يوردها في معرض الاستدلال والاحتجاج ، مع انها مكذوبة لا يجوز ذكرها على الاطلاق الا لبيان حالها ، لئلا يغتر بها من لا يعرفها . ومن تلك الاحاديث ، ما ليس له اصل ، اى ليس له اسناد في كتب الحديث، وانا اورد جملة منها ، نموذجا لسائرها .

1 ــ في الموطا : وحدثني يحيى عن مالك : انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اني لأنسى او انسى ــ بالبناء للمجهول ــ لأسن». وروى كما قال عياض بلفظ «اني لا انسى ولكن انسى لأسن» قال ابن عبد البر : لا اعلم هذا الحديث ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مسندا ولا مقطوعا من غير هذا الوجه ، وهو احد الاحاديث الاربعة التي في الموطأ التي لا توجد في غيره مسندة ولا مرسلة ، ومعناه صحيح في الاصول اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ، عن هذا الحديث: لا اصل له ، فانه من بلاغات مالك التي لم توجد موصولة ، بعد البحث الشديد اهـ.

قال الزرقاني في شرح الموطأ : معنى قوله : انه لا اصل له اى ما تنتج به ، لان البلاغ من اقسام الضعيف ، وليس معناه انه موضوع معاذ الله ، اذ ليس البلاغ بموضوع عند اهل الفن ، لا سيما من مالك، كيف وقد قال سفيان : اذا قال مالك : بلغني، فهو اسناد صحيح اهـ.

وبلاغ مالك تعليق ، والتعليق لا يحكم عليه بشيء حتى ينظر هل له اسناد اولا ؟ فان وجد له سناد ، حكم عليه بمقتضى حال رجاله ، من ثقة او ضعف وان لم يكن له اسناد، كهذا البلاغ الذي تتكلم عليه ، اعتبر من قبيل ما لا اصل له يضاف الى ذلك مخالفة لما ثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني» .

نعم ترتب على نسيانه صلى الله عليه وسلم ، احكام سجود السهو في الصلاة . والى هذا يشير ابن عبد البر بقوله : ومعناه صحيح في الاصول .

2 ــ في الموطا ايضا عن مالك : انه بلغه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : «اذا نشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة» .قال ابن عبد البر: هذا الحديث لا اعرفه بوجه من الوجوه في غير الموطأ الا ما ذكره الشافعي في الام عن ابراهيم بن محمد بن ابي يحيى عن اسحاق بن عبد الله : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «اذا أنشأت بحرية ثم استحالت شامية فهو امطر لها» اهـ.

وروى الطبراني في الاوسط عن عائشة قالت «اذ انشأت بحرية ثم تشاءمت فهي عين غديقة». قال الطبراني : تفرد به الواقدي .

غديقة بالمصغير ، وهي التي يقال لها بالمغرب: الغديكة .

3 ــ اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لاخرتك كأنك تموت غدا ، لا اصل له . وروى ابن ابي الدنيا باسناد ضعيف مجهول عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا . وروى البيهقي في السنن باسناد ضعيف عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «اعمل عمل امرىء يظن ان لن يموت ابدا واحذر حذر امرىء يخشى ان يموت غدا» .

وهذا الحديث أخرجه البيهقي في الحض على الاقتصاد في العبادة ، والبعد عن قربان المعاصي ، خوف مفاجأة الموت .

ومعنى اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا : أنك تعمل لدنياك في مهل وتؤدة ، من غير حرص ولا استعجال . لان من يعيش ابدا لا يفوته شيء ، ان لم يدركه اليوم ، يدركه غدا او بعد غد ، بخلاف عمل الآخرة ، فانه يستعجل به ، خوف الفوات بموت قريب .

ولشقيقنا الحافظ ابي الفيض رحمه الله جزء اسمه «اياك من الاغترار بحديث اعمل لدنياك» .

4 ــ اذا وقفتم في الصلاة فلا تقبضوا ايديكم فان ذلك تكفير اليهود. ذكره القاضي النعمان الشيعي الامامي في كتاب دعائم الاسلام. وهذا حديث مكذوب، لوجوه :

منها : ما رواه الطبراني باسناد صحيح عن ابن عباس قال : سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انا معشر الانبياء امرنا بتعجيل فطرنا وتاخير سحورنا وأن نضع ايماننا على شمائلنا في الصلاة » وروى في الاوسط والصغير نحوه من حديث ابن عمر.

ومنها : ما رواه الطبراني في الاوسط باسناد ضعيف عن يعلى بن مرة الثقفي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاث يحبها الله ، تعجيل الفطر وتاخير السحور وضرب اليدين احداهما على الاخرى في الصلاة» ومنها : تواتر وضع احدى اليدين على الاخرى في الصلاة عن النبي صلى الله عليه وسلم من فعله وقوله .

ومنها ان الصلاة فرضت على اليهود ، وهي تكفير ان تعظيم لله تعالى، والتكفير بالركوع والسجود فيها أعظم . فلم خص هذا الحديث التكفير بالقبض فقط ؟ لان الإمامية لا يقبضون في الصلاة ، فاخترع احدهم هذا الحديث لتاييد مذهبه .

وهذا كما اخترع بعض المالكية حديثا عزاه لكتاب اليدور الملتمعة في ادلة الائمة الاربعة ، نقلا عن مسند الاوزاعي عن ابن مسعود ، قال : ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم القبض في صلاة الفريضة قبل ان يفارق الدنيا بستة وثلاثين يوما .

وهذا كذب مضاعف ، فكتاب اليدور الملتمعة لا وجود له في كتب الحافظ العراقي ، ولا في كتب غيره ، والاوزاعي لا مسند له ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يترك القبض في الصلاة قط .

فالامامي اخترع حديثا ينهى عن القبض في الصلاة ، فرضها ونفلها ؛ لان مذهبه كذلك .

والمالكي اخترع حديثا يفيد ترك القبض في الفريضة ، لان مذهبه يفرق بين الفريضة والنافلة .

ولو صح حديث المالكي ، لافاد عدم وجوب القبض ، لا نسخه كما هو مقصود واضعه ، لانه مندوب ، والمندوب فضيله ، والفضائل لا تنسخ وانما ينسخ الواجب ، والمحرم ، والمباح . فقيام الليل وصوم عاشوراء ، كانا واجبين ، ثم نسخا الى الندب . وزيارة القبور كانت محرمة ، ثم نسخت الى الندب ايضا .

ونكاح المتعة كان مباحا ، ثم حرم .

ولا تجد مندوبا ، نسخه الشارع ، في آية او حديث ابدا .

ودعوى بعض العلماء ، نسخ بعض المندوبات ، غفلة منهم عن هذه القاعدة .

وسبب غفلتهم انهم رأوا الشارع امر ببعض المندوبات او فعلها ، ثم تركها ، فظنوا الترك نسخا لها وليس كذلك ، بل هو بيان لعدم وجوبها . فقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بصلاة الضحى، وحض

عليها وفعلها ، ثم تركها ، اشعارا بانها لاتجب وأمر بركعتين قبل المغرب ، وصلاهما ، ثم تركهما ، ورأى الصحابة يصلونهما ، فلم ينههم عنها . وما ذاك الا لان ترك المندوب ، لا يقتضي نسخه .

5 ـ اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا . كنت اسمع هذا الحديث من بعض شيوخنا بفاس ، ايام قراءتي بها .

ووجدت الطحاوي ، عقد بابا في مشكل الآثار ، لكلام الريح ، ماذا يراد بها في القرآن مفردة او او مجموعة ؟ وروى عن ابي عبيد، قال: القراءة التي سمعتها في الريح والرياح ، ان ما كان منها من الرحمة، فانه جمع، وما كان منها من العذاب فانه على واحدة . والاصل الذي اخترنا به هذه القراءة : حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا هاجت الريح قال: «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا» وتعقبه الطحاوي بقوله : فكان ما حكاه ابو عبيد من هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،مما لا اصل له . وقد كان الاولى به ، لجلالة قدره ، ولصدقه في روايته غير هذا الحديث ! الا يضيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما لايعرفه اهل الحديث عنه . وذكر قول الله تعالى (حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف) وقال :

فكانت الريح الطيبة من رحمة الله ، والريح العاصف منه عز وجل عذابا ، ففي ذلك ما قد دل على انتفاء ما رواه ابو عبيد .

ثم اسند احاديث تفيد بطلان ذلك الحديث :

منها: حديث الصحيحين عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : «نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور» .

ثم قال : فكان في هذا الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم نصر بالصبا وهي ريح واحدة ، وان عادا اهلكت بالدبور ، وهي ريح واحدة .

ومنها حديث مسلم عن عائشة قالت : كا ن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا عصفت الريح قال : «اللهم اني اسالك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به» وذكر احاديث اخرى في هذا المعنى .

لكن قال الشافعي في الام : اخبرني من لا اتهم، قال : حدثنا العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس قال : ما هبت الريح الا جثا النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ، وقال «اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا ، اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا» قال : قال ابن عباس : في كتاب الله عز وجل (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا .. اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم.. وأرسلنا الرياح لواقح.. وأرسلنا الرياح مبشرات) .

ورواه البيهقي في المعرفة من طريق الشافعي.

قال الحافظ ابن حجر : هذا حديث حسن ، وشيخ الشافعي ما عرفته ، وكنت اظنه ابن ابي يحيى، لكن لم يذكروه في الرواة عن العلاء بن راشد، والعلاء موثق . كذا قال في أمالي الاذكار ، وخالف ذلك في تعجيل المنفعة حيث قال : العلاء بن راشد عن عكرمة وعنه ابراهيم ابن ابي يحيى ، لا تقوم باسناده حجة، قاله الحسيني ، كذا قال . وعكرمة مشهور ، وحال ابراهيم معروف اهـ. ورمز لهذه الترجمة بحرف (ق) وهو رمز الامام الشافعي . وهذا يعين المبهم في اسناد الام بأنه ابن ابي يحيى ، وحاله معروف بالضعف .ولذلك استبعد تحسين الحافظ للحديث . لكنه استند الى اعتضاده بما رواه مسدد في مسنده الكبير، ومن طريقه الطبراني في كتاب الدعاء عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هاجت الريح ، استقبلها وجثا على ركبتيه وقال : «اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا ، اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا . اللهم اني اسالك من خير ما ترسل به واعوذ بك من شرها وشر ما ترسل به» واسناده ضعيف، لضعف جبر بن عبد الله حفيد عبيد الله بن عباس ، وفي نسخه من مسند مسدد : عن حسين بن قيس الرحبي عن عكرمة عن ابن عباس ، وحسين ضعيف متروك . وروى البخاري في الادب المفرد وابن حبان في صحيحه عن سلمة بن الاكوع، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا اشتدت يقول «اللهم لقحا لا عقيما» لقحا ، بفتح اللام، والقاف تفتح وتسكن : حاملة للسحاب فيه الماء .

6 ـ جاءكم الطهور ، يعني رمضان ، لا اصل له بهذا اللفظ .

وروى الديلمي في مسند الفردوس، ومن طريقه ابن عساكر في التاريخ عن عائشة مرفوعا « شهر

رمضان شهر الله وشهر شعبان شهرى شعبان المطهر ورمضان المكفر» واسناده تالف ، والمتن موضوع . اما حديث «رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر امتى» فمصرح بوضعه فى كتب الموضوعات .

والثابت فى هذا الباب ما رواه مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكبائر»

7 ــ لكل بلد رؤيته ، ليس بحديث . ولكنه متداول بين الشافعية ، بناء على مذهبهم .

وقال الترمذى فى سننه : باب ما جاء لكل اهل بلد رؤيتهم ، وهذه الجملة قالها استنباطا من حديث ابن عباس الذى رواه فى هذه الترجمة عن كريب ــ بالتصغير ــ انه قدم الشام ، واستهل رمضان، فسأله هناك ، ثم رجع الى المدينة فى آخر رمضان ، فسأله ابن عباس : متى رأيتم الهلال ؟ قال كريب : رأيناه ليلة الجمعة ، قال : أنت رأيته ؟ قلت : رآه الناس فصاموا وصام معاوية . فقال : لكن رأيناه ليلة السبت ، فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين يوما او نراه . فقلت الا تكتفى برؤية معاوية وصيامه ؟ قال : لا ، هكذا امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال المباركفورى فى تحفة الاحوذى: هذا بظاهره يدل على ان لكل اهل بلد رؤيتهم .

قلت : ترجم النووى فى شرح مسلم بهذه الجملة ايضا ، فظنها بعض اهل العلم حديثا ، وليس كذلك.

واهل الحديث لا يستدلون ، ولا يقرون الاستدلال على ورود حديث او ثبوته ، بان حافظا جعله عنوانا لباب من ابواب كتابه .

وقد ناقش الشوكانى فى نيل الاوطار، استدلال الشافعية بحديث ابن عباس على ان لكل اهل بلد رؤيتهم ، ورجح مذهب المالكية انه اذا رأى الهلال اهل بلد ، لزم اهل البلاد كلها .

8 ــ لا تكرهوا الفتن فان فيها حصاد المنافقين.

روى ابو الشيخ فى الفتن ،ومن طريقه الديلمى فى مسند الفردوس عن على عليه السلام مرفوعا « لا تكرهوا الفتن فانها تبير المنافقين» اسناد ضعيف جدا.

وذكره الحافظ ابن حجر فى الفتح بلفظ « لا تستعيذوا بالله من الفتن فان فيها حصاد المنافقين . وقال : قد سئل ابن وهب قديما عنه ؟ فقال :انه باطل .

قلت : قد صح فى احاديث كثيرة : التعوذ من الفتن ، من قول النبى صلى الله عليه وسلم وأمره.

9 ــ اذا اراد الله عذاب امة اعقم نساءهم خمس عشرة سنة قبل ان يصابوا لئلا يصاب الولدان الذين لم يجر عليهم القلم .

قال الحافظ فى الفتح : ليس له اصل ، وعموم حديث عائشة يرده ، يعنى ما رواه مسلم فى صحيحه عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «العجب ان ناسا من امتى يؤمون هذا البيت حتى اذا كانوا بالبيداء خسف بهم» فقلنا : يارسول الله ان الطريق قد تجمع الناس ، قال «نعم فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم».

وفى القرآن الكريم (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) .

10 ــ الدين المعاملة ، ليس بحديث . والواقع ان الدين يتألف من ثلاثة اشياء :

عبادة ، ومعاملة ، وسلوك فيهما . فالصلاة عبادة، والسلوك فيها الا يلتفت المصلى يمنة ويسرة ، ولا يعبث بيده.

والتجارة معاملة ، والسلوك فيها : ان يكون التاجر سمحا فى شرائه ، سمحا فى قضاء ما عليه ، سمحا فى اقتضاء ماله .

وعلى هذا القياس .

11 ــ لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة ــ يعنى النساء ــ وعلموهن المغزل وسورة النور ، رواه البيهقى فى الشعب عن الحاكم فى المستدرك من طريق عبد الوهاب بن الضحاك عن شعيب بن اسحق عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة به مرفوعا.

وهذا الحديث موضوع ، كما قال الذهبى ، عبد الوهاب بن الضحاك هو الحمصى ، كذاب ، يسرق الحديث .

نعم روى سعيد بن منصور في سننه عن مجاهد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «علموا رجالكم سورة المائدة وعلموا نساءكم سورة النور» . اما سورة المائدة فانها تشتمل على ثمانية عشر حكما لا توجد في سائر السور . وأما سورة النور ، فانها تشتمل على ادب السلوك بجانب ما فيها من الاحكام.

12 ـ من قال لا اله الا الله ومد بها صوته غفرت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر . رواه الديلمي، وهو حديث موضوع .

13 ـ اختلاف امتي رحمة ، ذكره السيوطي في الجامع الصغير ، وقال ما نصه . نصر المقدسي في الحجة ، والبيهقي في الرسالة الاشعرية ، بغير سند. وأورده الديلمي والقاضي حسين وامام الحرمين، ولعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل الينا اهـ.

قلت : سلك السيوطي طريقة الفقهاء الذين يكتفون في ثبوت الحديث ، بكونه مذكورا في كتاب فلان وفلان من العلماء .

وأهل الحديث لا يعترفون بهذه الطريقة ، ولا يعولون عليها ، وانما يعتمدون على البحث عن سند الحديث ، والكشف عن حال رجاله . فان لم يجدوا له اسنادا كهذا الحديث ، حكموا بأنه لا صل له .

ويؤيد حكمهم هذا ما رواه احمد في المسند باسناد لا بأس به عن النعمان ابن بشير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب» ، الفرقة هي الاختلاف.

وروى الطبراني في الاوسط باسناد ضعيف عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما اختلفت امة بعد نبيها الا ظهر اهل باطلها على اهل حقها» .

وتأول بعض العلماء حديث اختلاف امتي رحمة، على فرض ثبوته ، باختلافهم في الفروع الفقهية. لكن هذا معنى مستحدث ، لا ينبغي حمل كلام الشارع عليه .

14 ـ اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم.

رواه نعيم بن حماد عن عبد الرحيم بن زيد عن ابيه عن سعيد بن المسيب عن عمر ، وربما رواه عبد الرحيم عن ابيه عن ابن عمر .

وعبد الرحيم بن زيد ، هو العمي ـ بفتح العين وتشديد الميم ـ البصري كذاب . ورواه حمزة بن ابي حمزة الجزري عن نافع عن ابن عمر ، وحمزة ، قال ابن معين : لا يساوي فلسا ، وقال ابن عدي : عامة ما يرويه موضوع .

ورواه الحارث بن غصين عن الاعمش عن ابي سفيان عن جابر . والحارث ، قال ابن عبد البر : مجهول . وقال الحافظ : ذكره الطوسي في رجال الشيعة ، وقال : روى عن جعفر الصادق ، وذكره ابن حبان في الثقات. وروى البيهقي في المدخل باسناد ضعيف منقطع عن ابن عباس مرفوعا «مهما اوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لاحد في تركه فان لم يكن كتاب الله فسنة مني ماضية ، فان لم تكن سنة مني فما قال اصحابي ان اصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأيما اخذتم به اهتديتم واختلاف اصحابي لكم رحمة» .

ورواه آدم بن ابي اياس في كتاب العلم عن الحسن مرسلا .

قال البزار : هذا الكلام لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو منكر عنه . وقد روى عنه باسناد صحيح «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ» وهو يعارض هذا الكلام ، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يبيح الاختلاف بعده من اصحابه اهـ.

وقال المزني : ان صح هذا الخبر ، فمعناه فيما نقلوا عنه ، وشهدوا به عليه ، فكلهم ثقة مؤتمن على ما جاء به ، لا يجوز عندي غير هذا . وأما ما قالوا فيه برأيهم ، فلو كان عند انفسهم كذلك ، ما خطأ بعضهم بعضا ، ولا انكر بعضهم على بعض ، ولا رجع احد منهم الى قول صاحبه اهـ.

وقال ابن عبد البر : الاقتداء بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منفردين ، انما هو لمن جهل ما يسأل عنه. ومن كان هذا حاله، فالتقليد لازم له. ولم يأمر أصحابه أن يقتدي بعضهم ببعض ، اذا تأولوا تأويلا سائغا جائزا ممكنا في الاصول ، وانما كل

واحد منهم نجم جائز ان يقتدى به العامى الجاهل بمعنى ما يحتاج اليه من دينه ، وكذلك سائر العلماء مع العامة . وللحديث طرق اخرى واهية ، ذكرتها فى كتاب «الابتهاج بتخريج احاديث المنهاج» للبيضاوى فى علم الاصول .

15 ــ توسلوا بجاهى فان جاهى عند الله عظيم. لا اصل له ، وقد عزاه بعض العلماء بمصر ، الى حلية ابى النعيم ، وهو خطأ . بل لا وجود له فى الحلية ، ولا فى غيرها من كتب الحديث .

ويغنى عنه حديث توسل الضرير، وهو حديث صحيح .

ولفظه : اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد انى اتوجه بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى اللهم فشفعه فى . وهذا التوسل وما فى معناه جائز، لا ينبغى ان يختلف فيه.

لكن العوام توسعوا فيه، حتى صاروا يستغيثون بالاولياء والصالحين ، ويذبحون على قبورهم الهدايا والعار ، وذلك كله حرام لا تقره الشريعة ، فالاستغاثة لا تكون الا بالله، والهدايا لا تكون الا لبيت الحرام، ولا تذبح الا عنده . وكان مولانا الامام الوالد رحمه الله ينهى عن الاكل من الذبائح التى تذبح عند قبور الاولياء .

16 ــ من قصد عالما لقى الله سالما ، ليس بحديث . وليس معناه بصحيح على الاطلاق . فان من عرف الحكم بدليله ، لا يجوز له العدل عنه الى التقليد . فان ما تفقد مع علمه بمخالفته للدليل، كان آثما غير سالم .

17 ــ الجمعة لمن سبق ، ليس بحديث ، وان ذكره كثير من الشافعية ، بناء على قاعدة مذهبهم . ذلك ان الجمعة لا يجوز تعددها عندهم ، كسائر المذاهب الاربعة . لكن حدث تعددها ببغداد فى اواخر المائة الثانية للهجرة ، والناس فى المشرق يصلون الجمعة فى جميع المساجد وقتة واحدة ، عند اذان الظهر ، على خلاف ما عندنا بالمغرب . وقرر الشافعية ان الجمعة الصحيحة هى التى يسبق امامها بتكبيرة الاحرام ، وما عداها باطل . ولم يعتبروا الجامع العتيق ، كما اعتبره المالكية ، فلهذا قالوا : الجمعة لمن سبق اى بتكبيرة الاحرام . ومع ان تعدد الجمعة بدعة ، دعت اليه الحاجة ، او الضرورة. اضيف اليها بالمغرب بدع اخرى .

منها : صلاتها بالمساجد مرة بعد مرة ، على التعاقب والموالى .

ومنها : الاذان ثلاث مرات ، عند صعود الخطيب على المنبر . وهذه البدعة أنشأها ابن حبيب ، بسبب غلطه فى فهم الحديث ، كما قال ابن العربى .

ومنها : قراءة القرآن او دلائل الخيرات فى المساجد جهرا ، وفيه تشويش .

ومنها : رواية الحديث ، بين يدى الخطيب .

ومنها : الشخص الذى يمشى امام الخطيب ، ويناوله العصا بعد الاذان .

ومنها : قعود الخطيب فى المقصورة ، ويحرم نفسه من ثواب المكث فى المسجد ، وهو ثواب كبير.

ومنها : أن بعض الائمة ، يخطب الجمعة ، ويصليها مرتين ، فى مسجدين . وهذه البدع لاتوجد فى البلاد الاسلامية غير المغرب .

18 ــ من تعلم لغة قوم امن مكرهم ، ليس بحديث. لكن ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم امر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود ، لانه لا يأمنهم على كتبه .

وتعلم اللغات الاجنبية ، واجب كفاية ، لانه وسيلة الى واجبات كفاية ، وما ادى الى الواجب ، فهو واجب :

ومنها : تبليغ الدعوة الاسلامية الى غير المسلمين .

ومنها : معرفة ما يكتبه المستشرقون من مطاعن فى الاسلام ، والرد عليهم .

ومنها : معرفة ما استحدث عند الاجانب من علوم وصناعات نافعة فى شؤون الحياة المختلفة ، لكن مع المحافظة على اللغة العربية ، والتمكن منها ، وجعلها لغة رسمية لكل بلد اسلامى ، لانها لغة القرآن ، وكان عمر اذا سمع شخصيا يرطن ، اخذ بعضده ، وقال له : ابتغ الى العربية سبيلا ، واحيانا كان يعلوه بالدرة . ذلك ان الرطانة بين مسلمين ، فى بلد اسلامى ، لا معنى لها الا الاستخفاف باللغة العربية ، ونقص قدرها ، وتلك خطة سوء ، يستحق صاحبها التاديب .

19 ــ الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها ، رواه الرافعي في تاريخ قزوين عن انس ، وهو حديث موضوع .

20 ــ من عرف نفسه فقد عرف ربه ، كلام يحيى بن معاذ الرازي ، وليس بحديث . وللحافظ السيوطي ، جزء اسمه «القول الاشبه في حديث من عرف نفسه عرف ربه» بين فيه انه ليس بحديث ، وذكر في معناه اقوالا .

21 ــ الناس هلكى الا العالمون والعالمون هلكى الا العاملون والعاملون هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم . ذكره الكفراوي في شرح الآجرومية، وهو كلام سهل بن عبد الله التستري، وليس بحديث ونصب المستثنى بعد الكلام التام الموجب ، واجب في اللغة الفصحى ، ويجوز رفعه على الاتباع كما هنا. ومنه قراءة ابن مسعود وابي والاعمش (فشربوا منه الا قليل منهم) بالرفع ، وهي قراءة شاذة .

22 ــ علماء امتي كانبياء بني اسرائيل ، حديث موضوع ، وان ذكره ابن العربي الحاتمي ، في الفتوحات المكية .

23 ــ ذكر الصالحين كفارة ، ذكره الديلمي في الفردوس ، وهو موضوع .

24 ــ من قرأ القرآن منكوسا ألقي في النار منكوسا ، لا اصل له . لكن لا يجوز قراءة آيات القرآن ، على عكس ترتيبها في المصحف ، كما يفعل كثير من القراء ، فان احدهم اذا أراد ان تقضي حاجته فورا، يقرأ سورة يس من آخرها بان يقول: فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون ، انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ، ويستمر في تنكيسه حتى يختم بقوله تعالى (انك لمن المرسلين على صراط مستقيم ، يس والقرآن الحكيم).

يزعمون ان قراءة يس بهذا التنكيس ، تسرع باهلاك العدو وبقضاء الحاجات ، وكذبوا فيما زعموا. ويظهر ان الشيطان اوحى اليهم بهذه الفكرة الخبيثة، ليحرفوا كلام الله ، ويفسدوا نظمه ومعناه . ومن المقرر باجماع المسلمين : ان ترتيب الآيات في كل سورة ، بامر من الله تعالى ، لنبيه صلى الله عليه وسلم .

فمن نكس سورة يس او غيرها ، اتى كبيرة من الكبائر، لانه حرف ما امر الله بترتيبه، وافسد معنى السورة ، وتقرب الى الله بعبادة باطلة ، وأوهم من لا يعلم ان السورة انزلت منكسة .

وحديث يس لما قرئت له ، ليس له اصل ، وان اشتهر بين الناس .

25 ــ المومن حلو يحب الحلاوة ، ليس بحديث.

هذا ومن الكتب التي تكثر فيها الاحاديث الموضوعة :

كتاب احياء علوم الدين للامام الغزالي ، لان بضاعته في الحديث مزجاة ، كما قال عن نفسه .

ولقد خرج احاديث الحافظ العراقي ، غير انه كثيرا ما يضاف التضعيف الموضوع ، باعتباره نوعا منه فيشتبه الامر على من لا يعرف ذلك . وعقد التاج السبكي في طبقات الشافعية ، فصلا اورد فيه الاحاديث التي لم يجد لها اسنادا ، وهي في الاحياء.

وكتاب الكنز المدفون والفلك المشحون، للشيخ يونس السيوطي المالكي ، من تلامذة الذهبي، ونسبته للحافظ السيوطي غلط ، كما نسب اليه كتاب الرحمة في الطب والحكمة غلطا . وليس هو له ، بل هو تاليف الحكيم المقرئ مهدي الصبري .

وكتاب نزهة المجالس للصفوري ، وقد انكر المحدث برهان الدين الناجي ، على مؤلفه ايراد تلك الاحاديث الموضوعة في كتابه ، وبعث بها الى الحافظ السيوطي يسأله عنها ؟ فخرج واحد واربعين منها ، وهي ما بين واه وموضوع ، ثم قال :

وما عدا ذلك من الاحاديث المسؤول عنها ، فمقطوع ببطلانه .

وكتاب الروض الفائق في المواعظ والرقائق . للشيخ شعيب الحريفيش .

وكتاب نور الانصار ، للشبلنجي نسبة الى شبلنجة بكسر الشين ، وسكون الموحدة وفتح اللام وسكون النون ، قرية بمحافظة القليوبية بمصر ، وفي هذا الكتاب مما يجب التنبيه عليه :

الحكاية المنقولة عن الشيخ احمد الرفاعي انه لما حج وزار الروضة الشريفة ، وأنشد البيتين المشهورين

في حالة البعد روحي كنت ارسلها .. الخ

خرجت اليد الشريفة من القبر ، فقبلها والناس ينظرون .

وحكى صاحب الكتاب رواية تقول ان هذه الحكاية وقعت للشيخ علي الرفاعي دفين القاهرة، وهو مشهور بين العامة بأبي شباك استنادا الى هذه الحكاية، وهي حكاية باطلة مكذوبة ، لا يجوز ذكرها الا مع التنبيه عليها ، وهي مندرجة في الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم. ورأيت رسالة منسوبة للسيوطي في تأييد وقوع هذه الحكاية الباطلة ، وكتاب التحفة المرضية ، وقد خرج احاديثه شقيقنا ابو الفيض رحمه الله .

وكتاب قصة الاسراء المنسوبة لابن عباس ، وهي مكذوبة عليه ، وكذلك التفسير المنسوب اليه ، لانه من رواية محمد بن مروان السدي عن الكلبي، وكلاهما كذاب .

والكتب المؤلفة في قصة المولد النبوي ، جلها يشتمل على روايات مكذوبة، وفيها مع ذلك مجازفات، يجل مقام النبي صلى الله عليه وسلم عنها ، وقراءتها في ليلة المولد لا تجوز، لان فيها مدح الجناب النبوي بالكذب ، وهو حرام .

وكتاب دقائق الاخبار في ذكر الجنة والنار ، ليس فيه صحيح ، الا البسملة في اوله .

وكتاب ينابيع المودة ، في فضل اهل البيت ، مملوء بالموضوعات ، وكتاب خزينة الاسرار ، كذلك.

وبقيت كتب اخرى ، نبه عليها ، في مناسبة تالية ، بحول الله تعالى .

عبد الله بن الصديق
طنجة

من كان قرة عينه في الصلاة ، فلا شيء أحب اليه ولا انعم عنده منها ، ويود ان لو قطع عمره بها غير مشتغل بغيرها ، وانما يسلي نفسه اذا فارقها ، بانه سيعود اليها عن قرب ، فهو دائما يثوب اليها ، ولا يقضي منها وطرا ، فلا يزن العبد ايمانه ومحبته لله ، بمثل ميزان الصلاة ، فانها الميزان العادل الذي وزنه غير عائل .

ابن القيم

حقائق ومعجزات كونية

في سورة الرعد

2

للدكتور محمد كمال شعبانة

وأما الوجه الثاني الذي يختاره بعض المفسرين أن المراد من الزوجين الذكر والانثى من كل صنف ، أي أنه في كل ثمرة من الثمرات زوجان متقابلان ، أزواجهما تتولد ثمرة أخرى ، وهذا الوجه أسلم من الوجه الاول ، وان كان اكثر المفسرين يرجحون الاول ، والمعنى على هذا الوجه : أن الله مد الارض ، ومهدها ، وجعل فيها جبالا راسيات ، وجعل فيها أنهارا ، منها يسقى الزرع والشجر ، ومنها يكون الثمر ، وجعل في كل ثمرة من الثمرات حياة ، ومن هذه الحياة تتولد حياة أخرى . لأن كل ثمرة فيها ذكر وانثى . ومن أزدواجهما تتولد ثمرة أخرى جديدة . فيها خواص الثمرة الاولى « **يغشي الليل النهار** » بعد أن ذكر سبحانه وتعالى ما وجه به الانظار الى السموات وما فيها من أجرام وأفلاك ، والارض وما فيها من جبال ووهاد وأنهار وثمرات واشجار — بعد أن ذكر كل هذا ، ذكر امرا يتولد عن علاقة الارض بالسماء، وهو الليل والنهار فقال : يغشى الليل النهار ، يغشي ، يتعدى الى مفعولين الاول فيهما أيهما ؟ الليل أم النهار ؟ فلو جعلنا المفعول الاول هو « الليل » لكان هو الذي يغشى النهار . ولو جعلنا المفعول الاول هو : « النهار » لكان هو الذي يغشي الليل ، وعلى كل يجوز تقديم المفعول الاول وتاخيره. وما الانسب هنا ؟ الانسب جعل الليل مفعولا أول ، ويكون في الكلام استعارة تمثيلية ؛ **والمعنى** : شبه الله سبحانه وتعالى حال الليل مع النهار . من حيث ان الليل ظلمة تستر نور النهار بالثوب يغشى الشيء ويستره من حيث أن كليهما ساتر لما وراءه ، وهذه الاستعانة تصوير للحالة الظاهرة التي يراها الحي ويدركها الانسان ببصره ، وليس فيه تعرض لطريقة التكوين ولا لأصله « **ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » الآيات معناها العلامات ، ومعنى التفكر ترديد الفكرة في النفس ، والفكرة كما يقول الراغب الاصفهاني قوة تطرف العلم في النفس ، فمن التفكرة ترديد الفكرة واعمالها ، وكلمة آيات جمع آية وهي العلامة ، وتعبير القرآن بـ « في » يدل بظاهرة على أن الآيات في هذه الاكوان ، لا أن الاكوان هي الآيات ، ولذلك قال بعض العلماء ان « في » هنا في معنى الزائدة والواقع أن « في » على اصل معناها . ثم نعم أن هذه الاكوان آيات ولكن لا يظهر كونها آيات الا بأعمال الفكر فيها فالتعبير بـ « في » للدلالة على أن كونها امارات وعلامات والتي على قدرة الخالق وعلى عظمة لا تستبين لكل انسان بل تستبين لكل من يتفكر فقط ، ولذلك كانت ظرفا باعتبار أنها لو تكون الا للمتفكرين ، وأما الذين لا يفكرون ولا يفهمون فيها شيئا ، والتعبير بـ « **قوم** » مع هذا التنكير فيه توبيخ للعرب الذين خوطبوا أولا بالقرآن وهم قريش ، وكأن الله يشير اليهم بايمان القول بأنهم لم يفهموا هذه الآيات ولم يدركوها ، وهناك قوم آخرون يتفكرون فيها ويدركوها فهذا فيه توبيخ وتحريض للعرب . « **وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان**

وغير صنوان يسقى بماء واحد » وفى الارض قطع متجاورات قطع جمع قطعة وهذا الجمع مع اقترانه بوصف متجاورات يدل على المغايرة بين هذه القطع اى ان غير طيب وبعضها صحراء مقفرة وبعضها جنات مثمرة الخ . ذلك الاختلاف مع التجاور يدل على ان هناك له منشىء اول انشأ بإرادته واختياره، وانه انشاء غير انشاء المعلول على العلة « **جنات من اعناب وزرع ونخيل** » بعد أن بين اله اختلاف الارض مع تجاورها حيث أن بعضها خصب وبعضها غير خصب وبعضها فيه ؟ وبعضها خلو منه الخ . بين اختلاف ثمراتها ثم ذكر من هذه الثمرات ثلاثة انواع كانت كثيرة عند العرب وهي الاعناب . والزرع والنخيل ، والمراد من الاعناب او جنات اعناب هى هذه الكروم والمراد من الزرع الحبوب التى كان العرب يقتاتون منها ، واخص الله سبحانه هذه الانواع الثلاثة بالذكر لسببين : **السبب الاول** : انها هى التى كانت كثيرة عند العرب الذين كانوا اول من خوطبوا بالقرآن ؛ **السبب الثاني** : لانها تشير الى انواع ما تخرجه الارض من ثمرات ونبات ، فهى تشير الى ان فى الارض فاكهة ، والى ان مما تخرجه حبوب ومواد غذائية تجمع بين خواص الفاكهة « **حبوب** » — صنوان وغير صنوان — الصنوان جمع صنو كفنوات جمع فنو ، والنخيل قسمان : قسم يقال له صنوان وقسم غير ذلك ، والنخيل التى يقال لها صنوان هى النخل التى تثمر فى اصلها ثم تتفرع ، وهذا يدل على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى « **يسقى بماء واحد** » اى ان هذا الذى ساقه الله وذكره اى ان هذا الخلق العظيم من الثمرات المختلفة والجنات من الاعناب والزرع والنخيل كل هذا يسقى بماء واحد ، والهواء والماء والثمر غذاؤه ، ومع ذلك تتعدد الثمار بين حلو ومر وغير ذلك ، وهذا يدل على ان الخلق كله كان بارادة مستقلة قادرة ولم ينشأ كما يقول الطبيعيون نشر والعلة مع المعلول و لا لا تحدث الثمرات اذا اتخذ نوع الغذاء ، فقد بين بالتفصيل بعض اختلافها اللامحسوس مثل « تفضل بعضها على بعض فى الاكل » الاكل هى الثمرات التى تؤكل فمعنى الآية الكريمة ان هذه الثمرات التى تأكلونها وتفضلون بعضها على بعض وتختلف حالاتها من حيث القبول والرغبة كلها يسقى بماء واحد ، ويتغذى غذاءا واحدا وتنتج مختلفا من هذا الغذاء ، وهذا يدل على عظم قدرة الله تعالى ثم قال : « **ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون** » ذكر هنا النظر فيه للمعنى الذى ذكرناه ، وذكر كلمة قوم متكن لهذا المعنى ايضا ، ومعنى الجملة ان فى هذه الآيات التى ذكرها ان فى هذا الكون الذى خلقه من اختلاف طبيعة الارض مع مجاورها ، وتنوع الجنات والزرع والنخيل اى تنوع ما تنتجه الارض واختلاف الثمرات بحيث يفضل بعضها على بعض ، كل هذا فيه معلنة لقدرة الله . ولكن لقوم لهم عقول تدرك ويعلمون بمقتضى هذه العقول .

وهنا ملاحظة وهى انه ختم الآية الاولى بقوله « **لعلكم بلقاء ربكم توقنون** » وختم الآية الثانية بقوله « **ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » وختم الثالثة بقوله : « **ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون** » اما الاولى فلانها ابتدئت باسم الله وذكر لفظ الجلالة فناسب ان يذكر الايمان ويختم الكلام باليقين والايمان ، لانه المناسب للذات العلية ، ان الآية الثانية لما كان اساسها ربط المحسوس بالمعقول او ربط الحاضر بالغائب ناسبها ان تختم بالتفكير ، اما الآية الثالثة فقد كان اكثرها محسوسا كان يغلب عليها توجيه النظر الى المحسوس « **وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد** » قلنا ان الله سبحانه وتعالى صدر الكلام فى الآيات الكونية التى ساقها ببيان قدرته التى كان مظهرها رفع السموات بغير عمد وتسخير الشمس والقمر ، وان كلا منهما يجرى بحسبان وان تصريف هذه الآيات وبيانها وتفصيلها لكى يوقنوا بلقاء ربهم ، ثم ساق المولى الآيات الدالة على كمال قدرته ، وكمال القدرة يقتضى لا محالة ان الذى انشأ هذه الاشياء اولا ليستطيع اعادتها بعد فنائها ، نحن معشر الانسان يستطيع ان يعيدنا بعد موتنا « **كما بدأكم تعودون** » ثم بعد هذا ساق ما يدل على ايغال المشركين فى الكفر وطمس بصائرهم فيما يتعلق بالبعث والنشور **نقول : وان تعجب فعجب قولهم** الآية ان تعجب انهم كذبوك وجحدوا بآيات الله ولم يستيقنوا به فالعجب الحقيقى العظيم فى انظارهم أن يعودوا خلقا جديدا بعد أن يكونوا ترابا - او نقول ان تعجب من تكذيبهم للبعث وانكارهم له . فالعجب فى الحجة التى يسوقونها دليلا على ذلك الانكار ، وكان الكلام : أن تعجب من انكارهم البعث والنشور وعدم ايمانهم بلقاء ربهم فالعجب العظيم فى الحجة التى يسوقونها وعند الانسان ان المراد ان كان من شأنه ان تعجب ما يفاجئونه به من أول باطل ، فالعجب كل العجب فى هذا الذى يقولون فى البعث فلا حاجة اذن الى

تقدير مفعول محذوف وكان معنى الآية على ذلك التخريج ان كان من شأنه أن تعجب لشيء فالعجب هو انكارهم للبعث والنشور واستبعادهم له بسبب صيرورتهم ترابا . ويرشح لذلك المعنى التعبير « بان » اى انه ليس من شانه أن تعجب لذى امر يأتي منهم وان كان هناك فالعجب له هو انكارهم للبعث والنشور لهذا الزعم الذى يزعمونه .

وابتداء الآية بهذا العجب لانهم يسوقون قولهم هذا سياق الاستبعاد والاستغراب فبين الله لهم انه ليس بالغريب الاعادة ، لان الذى يعيد هو الذى بدا انما الغرابة والعجب هو أن تستغربوا هذا والتفكير فى قوله : فعجب للتعظيم . اى فعجب عظيم ، وهذا الذى سوغ الابتداء بالنكرة ان جعلت كلمة « عجب » مبتدأ لانه تضم التنوين لمعنى العظم . جعل هذه النكرة فى معنى الموصوفة ، واذا كانت موصوفة فانها تصح مبتدأة بالاجماع « اذا كنا ترابا » قالوا ان « اذا » فى موضوع النصب بفعل محذوف دل عليه قوله تعالى بعد ذلك « أئنا لفى خلق جديد » وتقدير الفعل على هذا المعنى أنبعث اذا كنا ترابا ؟ وهذا الكلام يتقيم مع ما تقرن النفوس أن « اذا » الشرطية خافضة شرطها منصوبة بجوابها ، ولما كان قوله تعالى فى موضع الجواب ، وان لم يكن الجواب قدر الناصب لا اذا فى معناه وانما جعل الجواب فى موضع الاستفهام كالشرط تكرارا للاستفهام **وللنص على موضع الاستعجاب والاستغراب** وهو الخلق الجديد بعد التراب ، والذى زيد قوله : هو أن اداة الاستفهام قد دخلت على اداة الشرط وكان يكفى هذا الدلالة على استعجاب او استغراق ما بين الشرط والجواب . اى كان يكفى هذا لاستغرابهم واستعجابهم . ولكنهم كرروا ذكر الاستفهام ، فادخلها على الشرط وعلى ما هو فى معنى الجواب . للدلالة على كمال استغرابهم واستيلاء العجب عليهم والاستفهام المكرر للتعجب وابداء الاستغراب لا حقيقة الاستفهام « لفي خلق جديد » والتعبير **بفي خلق جديد** يدل **أنخلق خلقا جديدا** هذا التعبير بالجملة الاسمية يكون لتاكيد النسبة كانه فى مواضع استغرابهم ان محمدا يؤكد هذه الحالة . وهو انهم يعودون فى خلق جديد ، فهنا ثلاث تعجبات : 1 — من مطلق العود بعد ان كان ترابا 2 — من انهم يعودون شبابا 3 — من تاكيد هذه الشبة ، « **أولئك الذين كفروا بربهم** » أولئك الذين قالوا هذا القول وتحملوا اكبرهم الذين كفروا بربهم ، والاشارة البيم اشارة الى قولهم الذى قالوه متعجبين مستنكرين لقدره الله ، ويجعلون قدرة الله فى موضع التعجب والاستغراب اولئك الذين اتصفوا بهذا هم الذين كفروا بربهم ، والتعبير بالوصول **لبيان سبب التعجب والاستنكار** ، انكروا عظمة ربهم وهو الذي ذراهم وكونهم ، ومن هذا نرى سر التعبير بـ « ربهم » اذ فى ذلك نوع من التوبيخ لهم على كفرهم بآياته وعظمته « **أولئك الاغلال فى اعناقهم** » الفعل هو ما يحبس الجسم والايدى عن الحركة ، وليس المراد أن هناك اغلالا وضعت فى أعناقهم . بل المراد تشبيه حالهم فى استغراق الضلال فى نفوسهم ، واستيلاء الاهواء والشهوات على عقولهم وقلوبهم فتمنعها من الادراك اسليم الصحيح ، تشبيه هذه الحال بحال من غلت يده فى عنقه فاصبح لا يستطيع تحركا ولا تصرفا كذلك هؤلاء لا يستطيعون التصرف فلم يدركوا شيئا ، « وأولئك » الثانية فيها اشارة الى استعجابهم الاول وانكارهم الثانى وأولئك الذين اتصفوا بالاوصاف الثلاثة السابقة وهى :

1 — استنكارهم للبعث

2 — ثم كفرهم بآيات الله

3 — ثم استغراق الضلال فى نفوسهم .

اى اولئك الذين يدخلون النار ويلازمونها ملازمة الصاحب لصاحبه . بعد ذلك بين الله أمره المشركين العجب من انهم يعودون خلقا جديدا بعد ان يكونوا ترابا . مع أن الذى يعيدهم هو الذى انشأهم من العدم ، ثم بين أن الذين يكفرون به انما هو ربهم .

بعد هذا بين حالهم من النبى وذكر بعض ما يطلبونه منه فقال « **ويتعجلونك بالسيئة قبل الحسنة** » السيئة فى أصل اطلاقها تطلق على ما يسوء الانسان ، والحسنة فى اصل اطلاقها تطلق على ما يستحسنه الانسان ويستطيبه ، ثم اطلقت السيئة على المعاصى . لانها تسوء النفس فى مجموعهم ثم تسيء لصاحبها فى المال فى الدنيا والآخرة ، واطلق على الطاعات حسنات من حيث أن فيها احسانا للناس واحسانا الى صاحبها وما المراد بها هنا ؟ المراد الاصل اللغوى للفظهما أم المعنى الصرفى الاخير ؟

اجمع المفسرون على ان المراد بالسيئة هنا ما يسيء ويؤلم . وهو المعنى اللغوي ، يعني يستعجلونك العذاب الذى هددتهم به ، من مثل قولهم « اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم » — ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة — اى يتعجلونك بالامر الذى يسيء قبل الامر الذى يحسن . اى يطلبون ان تنزل عليهم الانذار الشديد بدل الوعد والثواب . « وقد خلت من قبلهم المثلات » المثلات جمع مثله . والمراد بها العقوبات الشديدة التى نزلت بالامم السابقة بسبب عصيانهم النبيين وتكذيبهم لهم ، كالذى انزله الله بعاد وثمود ومن قبل ذلك بقوم نوح الخ ، وانما عبر عن هذه العقوبات « بالمثلات » :

1 — لانها كانت عقوبات مماثلة للجرائم

2 — او لانها كانت من الشدة بحيث يضرب بها المثل

3 — او لانها كانت قصاصا لما اقترفوا ، والقصاص يقال له « المثال » يقال امثلت من فلان اى اقتصصت منه ، والمعنى فى التخريجات الثلاثة متقارب ، وتوجيه الكلام على ذلك : ان اولئك المشركين يتعجلون السيئة قبل الحسنة لا لانهم يرغبون فيما يسيء اليهم . بل مبالغة فى الجحود والايغال فى عدم الايمان بوعد الله ووعيده .

وتوجيه الكلام على هذا : ان اولئك المشركين ما كانوا يطلبون الامر المسيء ، ولكنهم لفرط جحودهم ينكرون وعيد الله ووعده ، فكان ذلك الاستعجال منهم نوع من المحادة .

يحادون بها الله ورسوله ، مع انهم لو نظروا نظرة اعتبار لوجدوا عن ايمانهم وعن شمائلهم من عقوبات الله فى الامم السابقة وقد نزلت بهم لتكذيبهم النبيين .

ثم بين بعد ذلك انه ان امهلهم ولم يعجل بالشر كما يطلبون او كما يتحشون ليس ذلك لانه غير قادر على انزال العقوبات الملائمة لجرائمهم . بل لانه ذو مغفرة ، ولماذا كان كون الله ذو مغفرة سببا فى تأجيل او امهال عقوباتهم ؟

ان ذا المغفرة الرحيم الذى يكون شأنه التجاوز عن السيئات يعجل المسيء حتى تكون لديه الفرصة المواتية الكاملة فيتوب او يخرج الله من صلبه من يصيب حق عبادته فالله لم يرسل انبياءه ليكونوا ذرائع تعذيب للناس بل ارسلهم مبشرين ومنذرين ، او يكون من اصلاب المشركين به والكافرين من يجيب دعوة الله ، ويؤمن به ، وقد قلت لكم انه يجب علينا ان نعتبر بحال مشركي مكة والعرب ندن امهال الله لهم وعدم اجابة لاستعجالهم العذاب ان

كان من هؤلاء الجاحدين المنكرين الذين كانوا يتحدون الله ورسوله كانوا منهم من تاب وآمن وعمل عملا صالحا . وكانوا سيوف الاسلام والدعاة اليه ، وكان من اصلابهم التابعون المهتدون . فكان من صلب ابى جهل « عكرمة » الصحابى ابن ابى جهل . وقال « على ظلمهم » التعبير بظلمهم فيه نوع من المقابلة . بين عفو الله ورحمته وغفرانه وظلم الناس لانفسهم ، فهؤلاء يؤذون انفسهم ويظلمونها ، والله الغفور الرحيم يغفر سيئاتهم ان تابوا وانابوا .

والغفران درجتان : الاولى ستر الذنب وتمهيد للتوبة ومظهر ذلك امر الله لا يأخذ الظالمين بما كسبوا ، ولو اخذهم بظلمهم وقت ان وقع الظلم منهم ما بقي عليها من احد « ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة » والدرجة الثانية للغفران وهي العالية قبول التوبة من الذنب حتى ان الله ليفرح بتوبة التائب اكثر منه لانه غفور رحيم ، ثم بعد ذلك وصف نفسه بانه شديد العقاب حتى لا يظن الظالمون انه اهمل ظلمهم ، فالغفران عند رجاء التوبة والرجوع اليه ، والعقاب الشديد عند عدم التوبة وعند عدم الرجوع اليه والاصرار على المعصية .

وبعد ان ذكر الله سبحانه وتعالى ما كانوا يتحدون به الله ورسوله من استعجال العذاب قبل الثواب ذكر أمرا آخر لا يقل اعنانا عن الجحود وهو انهم كانوا يطلبون آية دالة على النبوة غير القرآن « ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه » .

كانوا يطلبون ان يأتيهم النبى بآيات كآيات موسى او عيسى ، او ينزل عليهم ملكا من السماء . كما حكى عنهم فى آيات اخرى « وقالوا لولا انزل عليه ملك . ولو انزلنا ملكا لقضى الامر . ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا . وللبسنا عليهم ما يلبسون » .

وما كانوا يطلبون ذلك لانهم طلاب ايمان يريد الحجة والبرهان . بل كانوا يريدون ان يستروا سبب كفرهم . فيدعوا أن النبى لم يجىء بحجة ولا برهان ، وانما يريدون برهانا من نوع يختارونه هم ، فالجحود هو الذى دفعهم الى طلب الآية لاشك ولا نقص الدليل . ومن كان شأنه كذلك لا يجدى معه البرهان ولا الدليل ، ولذا قال الله فى شأنهم « ولو انزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين » فهؤلاء لا يطلبون الدليل ليستندوا به ، ولكنهم يطلبونه ليعجزوا النبى ولا يعجزوه ، ولهذا قال الله للنبى فى الرد عليهم : « انما انت منذر ولكل قوم هاد » اى ان هؤلاء الذين كفروا وجحدوا بآيات الله ثم جحدوا بها لنقص فى الدليل ولا لعدم وضوح الآيات ولكن الله طمس على قلوبهم ، فلا تحبهم . فلكل قوم معجزة تناسبهم ، فقومك من ارباب الله والبيان ، فكانت معجزتك تتفق معهم ، وبما انك ايضا مرسل للناس اجمعين ، ورسالتك نوع من العقل فكانت منفقة على الناس جميعا .

« انتهى »

د محمد كمال شيانة

عن مالك عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الله ابن عوف ان رجلا اتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يا رسول الله علمني كلمات اعيش بهن ولا تكثر علي فانسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تغضب . وحدثني عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن مسلم المسيب عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » .

شمولية التشريع الإسلامي ومرونته

للأستاذ
عبدالله الجراري

مضى القرن الاول الهجري ولم يكن للدولة الاسلامية قانون سوى القرآن والسنة ، فاذا وجد اهل الفتيا من الصحابة والتابعين وغيرهم نصا اتبعوه . والا اجتهدوا برايهم ، وما كانت تدون هذه الآراء الاجتهادية ، ولا تعتبر قانونا ولا شرعا الا باعتبارات مستندها ومرجعها الى القرآن والسنة ، ولكن لما اتسعت دائرة الفتح الاسلامي وانتشر الاسلام في الممالك القاصية ، وتفرق حفاظ الشريعة ورواتها في مختلف الانحاء خيف من تشتت احكام الشريعة ودخول الفوضى في التشريع . فكان هذا باعثا على امرين : الاول تدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثاني تدوين المجتهدين اجتهاداتهم واصولهم التي استندوا اليها في الاستنباط مثل الائمة المجتهدين كابي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، واحمد بن حنبل وسواهم من مجتهدي الامة ، ومن هذا المنطلق صار رجال التشريع يرجعون الى القرآن والسنة والاجتهادات وما كان في هذا من حرج لان الرجوع الى اجتهادات الائمة ما كان الا للاهتداء الى فهم القرآن والسنة ، والاستعانة على الاستنباط . فان من درس الاحكام الشرعية التي اشتمل عليها القرآن في مختلف نصوصه من عقائد وعبادات ومعاملات وعقوبات تبين له ان الحكمة في تشريع القرآن والسنة هي تحقيق مصالح الناس والعدل بينهم ، لهذا يقول الله تعالى في وصف القرآن « ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم » الآية رقم 9 الاسراء .

ويقول سبحانه في وصف رسالة محمد صلوات الله عليه (يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) الآية 157 الاعراف .

وقد ادرك العلماء في الشريعة الاسلامية هذه الحقيقة ، فهذا الامام الشاطبي يقول في كتابه الموافقات : (ان احكام الشريعة ما شرعت الا لمصالح الناس وحيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله) ؛ ويقول الامام ابن القيم في كتابه الطرق الحكمية : (ان الله سبحانه ارسل رسله ، وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به الارض والسماوات ، فاذا ظهرت امارات العدل واسفر وجهه باي طريق كان فثم شرع الله ودينه) .

وعلى ضوء هذا نرى علماء الشرع الاسلامي استمدوا من القرآن والسنة مبادىء تشريعية عامة تعتبر الدستور التشريعي الذي يبني عليه المشرع تشريعه ، والقاضي قضاءه ، وكل مبدأ من المبادىء التي تذكر ولا نراها تمت بسبب صحيح الى تحقيق مصالح الناس واقامة العدل بينهم ، وتصلح للتطبيق في كل زمان ومكان . من هذا المبدأ المبادىء الخاصة بدفع الضرر التي استمدها العلماء من قول الرسول الاعظم عليه السلام : « لا ضرر ولا ضرار » وهي :

1) الضرر يزال شرعا من فروعه ـ ثبوت حق الشفعة للشريك ، ووجوب الضمان على من اتلف مال غيره ، ووجوب الوقاية والتداوي من الامراض .

2) الضرر لا يزال بالضرر من مشمولاته ـ لا يجوز للانسان ان يدفع الغرق عن ارضه باغراق ارض غيره وان يحفظ ماله باتلاف مال غيره .

3) يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام ـ منه ، يقتل القاتل لتامين الناس على نفوسهم ، يهدم الجدار الآيل للسقوط في الطريق العام .

4) يرتكب أخف الضررين لاتقاء اشدهما ـ من امثلته تطلق الزوجة من زوجها للضرر والاضرار .

5) دفع المضار مقدم على جلب المنافع ـ من ذلك يمنع ان يتصرف المالك في ملكه اذا كان تصرفه يضر غيره .

وهناك المبادىء الخاصة بسد ذرائع الفساد . وهي من القواعد الهامة في التشريع الاسلامي كما يقول فقهاء النفس :

(وعندهم سد الذرائع احتم
كمثل الامتناع من سبب الحتم)

تلكم المبادىء التي استمدها العلماء من قوله تعالى : (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) الآية رقم 108 الانعام ، حرم الله تعالى سب آلهة المشركين مع كون السب غيظا وحمية لله واهانة لآلهتهم ، لان ذلك ذريعة الى سب المشركين الله تعالى ، ويقول عليه السلام في سد ذرائع الفساد (كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه ، الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه) (1) ، وعلى هذا النموذج استمد العلماء تلك المبادىء التي صاروا في التشريع على ضوئها وهي ما يفضي الى المحظور فهو محظور ـ ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ـ ما ضر كثيره حرم قليله.

وقد تنزل لشرح مبادىء سد ذرائع الفساد العلامة ابن القيم في الجزء الثالث من كتابه (اعلام الموقعين) وذكر 99 مثالا على ذلك ، مما امرت به الشريعة ونهت عنه ، من ذلك انه صلى الله عليه وسلم حرم الجمع بين المراة وعمتها ، والمراة وخالتها في الزواج ، وقال : انكم اذا فعلتم ذلك قطعتم ارحامكم حتى لو رضيت المراة بذلك لم يجز ، لان ذلك ذريعة الى القطيعة المحرمة ، ومن ذلك ان الشريعة منعت قبول شهادة العدو على عدوه ليلا يتخذ ذلك ذريعة الى بلوغ غرضه من عدوه بالشهادة الباطلة ، ومنها ان النبي نهى ان يبيت الرجل عند امراة الا ان يكون زوجا او ذا رحم محرم عليه زواجها، فالمبيت عند الاجنبية ذريعة الى الزنى ، ومن ذلك ان النبي نهى ان يخطب الرجل على خطبة اخيه الانسان ، او يبيع على بيع اخيه ، وما ذلك الا انه ذريعة الى التباغض والتعادي بينه وبين اخيه الانسان.

ومن المبادىء الخاصة في التشريع الاسلامي ـ رفع الحرج والمشقة وجلب التيسير المستمدة من قول الله تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج) الآية 78 الحج ، وقوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) الآية 185 البقرة ، وقوله جلت قدرته (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) الآية 186 البقرة . ويتفرع عن هذا ما ياتي :

1) المشقة تجلب التيسير من ذلك ان الشريعة اباحت للصائم ان يفطر في السفر وعند المرض وقصر الصلاة في السفر ، واسقطت فريضة الحج عن العاجز والمريض .

2) الحرج شرعا مرفوع ، منه قبول شهادة النساء وحدهن فيما لا يطلع عليه الرجال من عيوب النساء وشؤونهن :

« وفي اثنتين حيث لا يطلع
الا النساء كالمحيض مقنع» (2)

3) الحاجات تنزل منزلة الضرورة في اباحة المحظورات ، ويتفرع عن هذا المبدأ كثير من عقود المعاملات وضروب الشركات التي تحدث بين الناس وتقتضيها ادارتهم . فاذا قام البرهان الصحيح على ان نوعا من هذه العقود والتصرفات صار ضروريا للناس بحيث ينالهم الحرج اذا حرم عليهم هذا النوع

---

(1) في البخاري ومسلم عن ابي عبد الله النعمان بن بشير .
(2) ابن عاصم في تحفته .

من التعامل أبيح لهم ما يرفع الحرج منه ولو كان محظورا .

4) الضرورات تبيح المحظورات استمده العلماء من قول الله تعالى : (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) الآية 173 البقرة ، وذكر سبحانه الذين يتجاوز عنهم اذا تلفظوا بالكفر بقوله : (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) الآية 106 النحل . وقد ابيح للمكره أن يتلفظ بالكفر وقلبه مطمئن بالايمان ، وابيح اكل الميتة المحرمة ، وشرب الخمر المحرم عند الضرورة ، وأحل أكل مال الغير دفعا للهلاك عند شدة الجوع بقدر ما يدفع الضرر ، وعلى هذا المبدأ بنى كثير من الاحكام ، وهناك البراءة الاصلية التي تعد في صف المبادىء الخاصة في التشريع الاسلامي وقد استنبطها العلماء من قول الله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) الآية 29 البقرة . وقوله عليه السلام (كل مولود يولد على فطرة) والمبادىء المستنبطة في هذا الباب تجعل الاصل في الاشياء الاباحة ، والاصل في الانسان البراءة .

تلكم نبذة من المبادىء التي قام عليها التشريع الاسلامي التي لا يرتاب منصف في انها مبادىء عادلة لا تتناقى مع اى مبدأ تشريعي عادل . هذا وان مبنى الفقه الاسلامي وجماعه يدور على أصول اربعة كما يقول القاضي الحسين : اليقين لا يرفع بالشك ، والضرر يزال ، والمشقة تجلب التيسير ، والعادة محكمة ، قيل والامور بمقاصدها . ومن بين هذه السطور يتضح لك أن القوانين الشرعية الاسلامية لم تشق عن حاجة ، ولا وقفت عقبة في سبيل مصلحة او عدالة بل وسعت مصالح الناس على اختلافهم ، فقد كانت الدولة الاسلامية في عصورها الذهبية ممتدة رقعتها من بلاد الصين شرقا الى المحيط الغربي ، وكان البحر المتوسط بحيرة اسلامية تخفق الراية الاسلامية على ممالكه ، وكانت هذه الولايات المختلفة تضم امما مباينة الاجناس والعادات والاديان والمصالح من عرب وفرس وروم وغيرهم ، وقد دبرت الدولة الاسلامية شؤون هذه الامم والشعوب بقوانين من شريعتها ، وما حدثنا التاريخ ان المسلمين في عصر من تلك العصور استمدوا قانونا من تشريع غيرهم او استقدموا مشرعا اجنبيا لتشريع قوانينهم ، بل كلما فتح الله لقواد الجيوش ولايات فتح العلماء للتشريع أبوابا من الاجتهاد والاستنباط حتى كانت حركتهم التشريعية مسايرة حركة الفتح ، وما ضاقت القوانين التشريعية عن حاجة ، ولا قصرت عن مصلحة ، ولا تنافت مع مصالح مسلم او يهودي او نصراني او وثني ، بل عاشوا في ظل عدالتها وتسامحها عيشة راضية .

والتشريعات الاسلامية التي كانت تطبق آنذاك سبقت المدنية الحاضرة بكثير من اصول العدل ، واحتوت كل ما يدعو اليه كل مجتمع كامل صحيح ، وقد اعترف بهذا علماء القانون ممن لا يدينون بالاسلام وها بعض شهاداتهم ناطقة بهذه الحقيقة يقول العلامة ـ سانتيلانة ـ (3) (ان في الفقه الاسلامي ما يكفي المسلمين في تشريعهم المدني ان لم نقل ان فيه ما يكفي للانسانية كلها) .

ولقد عقد البحاثة الامريكي (هكنج) استاذ الفلسفة بجامعة هارفورد ، فصلا مستفيضا عن (مصير الثقافة الاسلامية) في كتابه (روح السياسة العالمية) المطبوع سنة 1932 ، فبعد ان تكلم باسهاب عن اصول الفقه الاسلامي ، وعن المذاهب الاربعة قال (ان سبيل تقدم الممالك الاسلامية ليس في اتخاذ الاساليب الغربية التي تدعي أن الدين ليس له ان يقول شيئا في حياة الفرد اليومية وعن القانون والنظم السماوية وانما أن يجد المسرء في الدين مصدرا للنمو والتقدم ، واحيانا ينسحل البعض عما اذا كان نظام الاسلام يستطيع توليد افكار جديده ، واصدار احكام مستقلة تتفق وما تتطلبه الحياة العصرية ؟ فالجواب عن هذه الاسئلة هو أن في نظام الاسلام كل استعداد داخلي للنمو ، بل هو من حيث قابليته للتطور يفضل كثيرا من النظم المماثلة) .

والصعوبة لم تكن في انعدام وسائل النمو والنهضة في الشرع الاسلامي ، وانما في انعدام الميل الى استخدامها ، واننا نشعر بكوننا على حق حين نقدر أن الشريعة الاسلامية تحتوي بوفرة على جميع المبادىء اللازمة للنهوض .

---

(3) سانتيلانة (Santillana) 1845 ـ 1931 ولد في تونس ، مستشرق ايطالي ، درس في روما ووضع القانونين المدني والتجاري اعتمادا على قواعد الشريعة الاسلامية وتسقيمها على تنسيق القوانين الاوربية .

وهذا ما حفز لتكوين هيئة علمية من خيرة العلماء ورجال القانون(بظهير شريف رقم 1.57.190 مؤرخ بـ 22 محرم 1377هـ موافق 19 غشت 1957 م مما كانت نتيجته وضع المدونة) تكون مهمتها وضع قانون وفق ما جاء به القرآن والسنة الصحيحة ، وأن ترجع الى أقوال المجتهدين فى ما يوافق مصلحة الامة ؛ وما لا يوجد نص فيه من القرآن والسنة من معاملات الناس : يوزن بميزان المصلحة ، وينظر فيما يجلبه من نفع للأفراد والجماعات . وبعد هذا الوضع الذي كان حسنة من حسنات المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه لا مانع من اعادة النظر مرة اخرى وتجديده فيما يكون حدث من نوازل وقضايا فى هذه الحقبة تستدعي بطبيعتها الاندماج فى نظائرها واشباهها للكشف عما يمكن أن يطرحها من غموض يقفها موقف الحيرة والاضطراب ، ولس هذا بعزيز على رجال القانون طالما التشريع الاسلامي منشرح الصدر ، واسع الافق يضم اليه ما يبدو بعيدا (فى نظر القاصر) عن مبادئه السمحة الطيعة لكل تطوير وتجديد .

وما هذا على همة جلالة الحسن الثاني بغريب وهو الملك المثقف المتفتح ايده الله وحفظه فى سمو ولى عهده سيدي محمد وباقي الاسرة .

فى محاضرة القاها المؤرخ الشهير « ارنولد توينبي » سنة 1948 بعنوان : « الاسلام والغرب والمستقبل » قال : وهنا ، وعلى عتبة المستقبل نلحظ تاثيرين قيمين يستطيع الاسلام أن يمارسهما على البروليتاريا العالمية للمجتمع الغربي الذي الغى شباكه حول العالم وضم البشرية جمعاء » .

وقد كان يشير بذلك الى مشكلتين اثنتين قال ان الاسلام قادر على حلهما ، هما ، مشكلة التفرقة العنصرية ومشكلة الخمر .

ثم اردف يقول : « اما فى المستقبل البعيد فيمكن التكهن باحتمال قيام الاسلام باسهام فى أوجه جديده للحضاره ، وهناك من يفترض مقدما ان الخيط المتشافر الذي نتج عن غزو الغرب للعالم سيطور تدريجيا وسلميا الى تركيب متجانس وسيتشكل هذا التركيب بدوره تدريجيا وسلميا ايضاء نوعا من الابداع الجديد .

وهذا الافتراض المسبق ، على كل حال يقوم على نظرية لا يمكن التحقق منها ، قد تبررها الاحداث فى المستقبل وقد لا تبررها ابدا ، وقد ينتهي الخيط الى تركيب متجانس وقد ينتهي ايضا الى انفجار مدمر .

وفى حالة وقوع مثل هذه الكارثة سيكون للاسلام دور فعال مختلف تماما وهو دور العنصر الفاعل فى ردة فعل عنيفة تقوم بها البروليتاريا العالمية للشعوب المسحوقة ضد اسيادها الغربيين .

مالك بن نبي
ومشكلات الحضارة

الدكتاذ الفاضل عمر مسقاوي
عضو المجلس الاسلامي الأعلى بلبنان

في ازمتنا الحاضرة يبدو الحديث عن فكر ابن نبي كذلك الشيء المدل في الكلمة .

فلقد شاء الله لابن نبي ان يصاحب القرن العشرين في بدايته فيشهد ذروة الاتصال بين الشرق والغرب ويرقب انبلاج النهضة العربية الاسلامية وهي تواجه التحدي الاستعماري في وجهيه السياسي والثقافي .

فلقد تفاعل ابن نبي بفضل منهجه العلمي مع مشكلة التحدي هذه فاذا عين له في مقتبل الشباب على كتاب يقراه في تعليمه المدرسي وعين له اخرى على ركود المجتمع الرازح تحت الاستعمار الفرنسي ووسائله المدمرة .

فلقد ولد مالك بن نبي في قسطنطينة الجزائر عام 1905 واجتاز مراحله الثانوية فيها ثم انتقل الى باريس يدرس الهندسة حتى تخرج عام 1936 مهندسا في الكهرباء .

لكن القضية جذبته الى حلبتها فاذا هو يبحث عن سبيل في الفعالية تنتظم في اطاره الوسائل والامكانيات . فالجزائر والعالم الاسلامي في عمومه لا يحتاج الى مهندس يمنح خبرته في اطار الاشياء بل الى حركة في اطار الفكر تبدل المجتمع غير المجتمع.

كانت هذه منطلقات ابن نبي يطرح المشكلة في اعماقها ، ولقد صرفته من تخصصه الهندسي الى التعمق في القضية يبحث عن وسائل تهوض العالم الاسلامي من كبوته وقد تسورته الامم كما تداعى الاكلة الى قصعتها .

انطلقت افكار ابن نبي تعيد الثقة بتراث هذه الامة بعدما كادت الحضارة الغربية تاتي على جذوته في النفوس .

فقد استطاع الفكر المهني ان يكبل المبادرات الفكرية لمسلمي القرن العشرين وان يضع النظرات الاصلاحية في قوالب التجربة الغربية فاذا المسلم امام فيض هذه الحضارة بين رجلين اما متهم منها او متهم لها كما يقول ابن نبي .

وفي اطار الازمة النفسية هذه دارت التجربة الاصلاحية في فراغ عقيم ملأ مكتبتنا الحديثة بالمؤلفات لكن المشكلة ما تزال تراوح مكانها وفي كل يوم تتفقد الحلول فتضع جيلنا الصاعد امام استحالات الخروج من الازمة .

بدأ ابن نبي اذن يبحث في الجذور .

فهذه الحضارة الحديثة ما كان لها ان تحتوي مسيرة العالم لولا ما تآلف بين ابنائنا من روح مسيحية أوقدت حماس شارلمان . واستقطبت التعاون الاجتماعي في سائر الحقول والذين ينعمون النظر في ذلك العهد يرون ما كان للكنيسة من دور في توحيد المبادرات الفردية اذ سلكتها في مسيرة واحدة ثم بعثت الطاقات الروحية لتطبع وجودها على سائر مظاهر الحياة فنية كانت او اجتماعية .

لقد بدأ المجتمع منذ ذلك العهد يعتد خارج حدوده بما توفر له من روابط نفسية تطبع ثقافته على صفحة الارض وتلزمه بتطور يعيد التوازن الى مسيرته فاذا الانتاج الادبي والعلمي والفني يرقد طاقاته بما يصحح مسيرته في كل طور . وما منهجية

ديكارت ولا الثوره الفرنسية ولا العلمانية ولا الماركسية الا مراجعة جذرية لذلك النسق الاجتماعي المترابط وقد امتلك العالم بثقافته .

ولقد تبدو هذه المراجعات يناقض بعضها بعض في اطار التحليل الا انها تظل وليدة النمو المتطرف لذلك النسق الاجتماعي المسيحي تمنحه زخم المسيرة بوسائل جديدة .

من هنا لم تكن مشكلتنا فيما تبعد بيننا وبين التجربة الغربية عبر القرون . ولا هي كذلك فيما اورثنا الاجيال من عقيدة .

فهذه عقيدتنا ما تزال حديث التاريخ تفاخر بحضارتها في كل حين .

انها في ذلك الانبعاث يصلح الامة بما صلح به اولها ، ويمنح روابط المجتمع فعالية الارادة الانسانيه وهي تتقد بحرارة العقيدة .

مشكلتنا اذن مشكلة حضارة تمارس وظيفتها .

« فهي مجموع الشروط الاخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين ان يقدم لكل فرد من افراده في كل طور من اطوار وجوده منذ الطفولة الى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور او ذاك من اطوار نموه » .

آفاق جزائرية ص 38 .

على اننا اذا حددنا الحضارة في صورتها الوظيفية تحتم علينا ان ندخل الى اعماق تجربتها فنبحث ، مكوناتها الاساسية والتي تبدو سنة ثابتة لا تتبدل في سائر المجتمعات .

فالمشكلة ليست في استيراد الرفاهية ولا هي في نمو اقتصادي بعيد عن دور الانسان وفعاليته فهذه دول البترول تكتظ بمنتجات الحضارة الغربية بينما الانسان فيها منعزل عن كل دور يمنح لهذا الازدهار دوامه .

« ولهذا فنحن عندما نريد ان نضع اصل النمو الاقتصادي للحضارة موضعه لا يتعين علينا ان نضع هذا الاختراع او ذاك من مثل الآلة البخارية ونول « جيكار » والبوصلة وآلة الطباعة باعتباره مصدرا لذلك الاصل ، ولكن جميع الظروف التاريخية التي تخلقت فيها بذور كل الافكار وكل ضروب الخلق والانشاء وكل انتاجات هذه الحضارة .

لا بد اذن ان نفرق بين تكديس المنتجات الحضارية وبناء الوظيفة الحضارية في مجتمعنا . فالتفكير في مشكلة الانسان هو في النهاية تفكير في مشكلة الحضارة .

ولقد رفعت الحركة الاصلاحية الحديثة في منزلق السهولة حينما اهملت عمق البناء الاجتماعي فانخدعت لها مستحدثات الحضارة الغربية وسيلة تعبير عن حاجاتها فاذا هي « زبون مقلد دون اصالة لحضارة غريبة تفتح ابواب متاجرها اكثر مما تفتح ابواب مدارسها » .

فالحركة الاسلامية الحديثة ليس لها في الواقع نظرية محددة لا في وسائلها ولا في اهدافها ، فقد انطلقت من عقدة الاتهام تسوغ الاسلام في العالم الحديث بينما كانت القضية تحتاج الى خطة في بناء الانسان المسلم تسوغ دوره في مصير العالم .

« قبل ان تترجم الجهود الذهنية عن نفسها في صورة مذهب دقيق للنهضة ومنهاج منسجم كانت تنطلق في صورة شعلات دفعية او جدالية وكان المؤلف المنهجي الوحيد الذي خلفه جمال الدين يتمثل في مجادلة ضد المادية او الناشورية حسب تعبير كاتبه — وهو الكتاب الذي يتعين علينا ان نقرن به المجادلة المدوية لتلميذه « محمد عبده » ضد رينان ولكي نتمثل ما ينقص جميع هذه الجهود يجب ان نتصور احد اعمال ماركس او انغلز او لينين في اقتصاره على مجرد نقد المجتمع الراسمالي دون ما نظر الى نواقص الطبقة العمالية او انفتاح على بناء الاشتراكية » .

لقد كانت الحركة الاصلاحية اذن بحاجة الى منهج يطرح العوامل السلبية التي كبلت المجتمع الاسلامي عبر القرون واسلمته الى قابلية اجتماعية للاستعمار ، الا انها عالجت بصور جزئية ومتفرقة دون ان تمس الثوابت النفسية والاجتماعية التي اورثت الميل تخلفه .

« قبل تناول الموضوع بطريقة « جبريلة » تمكن من الاشارة الى حل قابل للتطبيق على مستوى مجتمع تقوم فيه المشكلة نفسها كالمجتمع الغربي

طوال عصر النهضة ثم تبني طريقة سير حسابية تعالج كل حالة على حدة : فعوض معالجة وضعية تاريخية عامة ، تمت معالجة قضايا سياسية مختلفة بينما العوامل التي اثرت منذ قرون على وضعية البلدان الاسلامية لم تتشكل داخل الحدود الوطنية لبلاد معينة ولكن داخل المجال الذي تكتنفه رقعة الحضارة الاسلامية اي الرقعة التي يطلق عليها توينبي « حقل الدراسة » .

لقد انزلقت نهضتنا في متاهات صوفية فاذا اولئك الذين انحرفوا نحو الفكر « التقدمي » قد وجدوا انفسهم يحملون ثقافة متنزلة عن المجتمع لانها لم تكن نابعة من ضرورات المجتمع بل من انتقال قبض الحضارة الغربية الى الشرق .

ولقد كانت السلفية منطلقا ثوريا في نظرة الرواد الاول للنهضة الا انها جمدت في خطوتها الاولى فلم تمنح المسلمين رخم المبادرة في العصر الحديث

وهذا قرن من الزمان يطوي صيحة جمال الدين كما تكون في وادي سحيق ، فقد مست النهضة سطح المجتمع دون ان تبعث منهجا فاعلا في بناء الانسان .

لقد انطلق ابن نبي من هذه الزاوية يطرح المشكلة فيدخل الى اعماق السنين الاجتماعية وهي قد خلت من قبل وهي ايضا سبيل الغد المتطور في كل امة .

ولقد كان احتجابنا عن صنع التاريخ الحديث يرجع الى ارادة الحضارة في موقف الانسان . وهي ارادة تشحذها عقيدة فاعلة تتصل بالفكر والروح معا .

فلو شئنا ان نعبر عن تلك الارادة الحضارية بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، لقلنا انه ذلك المؤمن « الكيس الفطن » ! .

وهذا يعني ارتباط النشاط الاجتماعي بالفكر المنهجي المتسق يمنح الانسان قدرة السعي في مناكب الارض ليبني هنالك تاريخه .

« فلكل نشاط عملي علاقة مباشرة بالفكر فمتى انعدمت هذه العلاقة عمي النشاط واضطرب واصبح جهدا بلا دافع . وكذلك الامر حين يصاب الفكر او ينعدم ، فان النشاط يصبح مختلا او مستحيلا وعندئذ يكون تقديرنا للاشياء تقديرا ذاتيا ، هو في عرف الحقيقة خيانة لطبيعتها ، وغمط لاهميتها سواء كان غلوا في تقويمها أم خطأ من قيمتها . وهذان الشكلان من اشكال الخيانة يتمثلان في العالم الاسلامي الحديث في صورة نوعين من الذهان فاما ان يتمثل في صورة النظر الى الاشياء على انها سهلة وهو قائد ولا شك الى نشاط اعمى (كما كانت الحال في قضية فلسطين) واما ان يأخذ صورة النظر اليها على انها مستحيلة فيصاب بالشلل » .

وجهة العالم الاسلامي

ذلك شلل اورث الركود الاجتماعي في سائر الحقول . فقد وجد المسلم نفسه امام استفحالات نفسية عزلته عن التصرف بامكانياته ، فاذا هو قابل لاحتلال كل امة ولاجتياح كل قوة والقابلية للاستعمار هذه قد وطأت للاجتياح الاستعماري في تاريخنا الحديث .

« ان هنالك نتيجة منطقية علمية تفرض نفسها هي انه لكي نتحرر من « اثر » هو الاستعمار يجب ان نتحرر أولا من سببه وهو القابلية للاستعمار .

فكون المسلم غير حائز جميع الوسائل التي يريدها لتنمية شخصيته ، وتحقيق مواهبه : ذلك هو الاستعمار ، واما الا يفكر في استخدام ما تحت يده من وسائل استخداما مؤثرا وفي بذل اقصى الجهد ليرفع من مستوى حياته حتى بالوسائل العارضة ، واما الا يستخدم وقته في هذا السبيل فيستسلم على العكس لحظة افكاره وتحويله كما مهملا يكفل نجاح الغزية الاستعمارية فتلك هي القابلية للاستعمار » .

وجهة العالم الاسلامي

فالقابلية للاستعمار وجه آخر للتخلف والامر يتطلب انتصارا على تلك المعوقات لنواجه المستقبل بقوة ذاتية من انفسنا .

فالمجتمع تواجد بين الاشخاص يربط بينهم قيم مشتركة وهذه القيم المشتركة لا بد ان تؤدي الى نشاط مشترك في عالم الاشياء المحيط به . ولكي يكون النشاط المشترك فاعلا في عالم الاشياء لا بد ان يمر في عالم من الافكار تعطي لهذا النشاط فاعلية خلاقة .

ذلك تبسيط لمفهوم الحضارة يطرحه ابن نبي انها صنعة انسان احسن استخدام الارض من حوله

في اطار الوقت الضروري ولذا فهي في عناصرهـــا الاوليـــة .

الانســـان + التـــراب + الوقـــت .

هذا المفهوم الاولي للحضارة يضع الانسان في المنطلق الاساسي نحوها بعد ان تكون قد تجـــردت امامه عن كل بناء ماثل يأخذ بالابصار كذلك البنـــاء الغربي للحضارة الذي ادهش الشرق واوقعـــه في عقـــدة النقص .

واذا كان الانسان هو الذي يصنـــع العلاقـــة الفاعلة بين العناصر الاساسية لكل حضارة فلا بد ان يكون صاحب قدرة على ذلك كلـــه .

وهذه القدرة ليست قدرة ذاتية شخصية بل هي قدرة الجماعة حين تدفعها يد الله .

فلا بد اذن من عالم للاشخاص يحسن الترابط بينه والتآلف الذي يتجاوز المصلحة الذاتيـــة الى المصلحة الاجتماعية .

ولا بد اذن من عالم للافكار يحسن استخـــدام الوسائـــل .

ولا بد اخيرا من عالم للاشياء يمنح الافكـــار ابداع ما تصنع والانسان امنه ورفاهيته .

والانسان في عالم الاشخاص المترابـــط وفي عالم الافكار القائم على المنهج وفي عالـــم الاشيـــاء المنقاد الى حاجته هو ذلك الانسان المتحضر وهي الحضارة تنتسب اليه وينتسب اليها .

وما امرنا في مشرق الدعوة الاسلامية الا تآلف في عالم الاشخاص ومناقب تمنح الانسان حـــرارة الايمان وما فكرنا الا ذلك الذي استخدم عالم الاشياء من حوله فأحســن النتيجة حين قدم لها اسبابها وكانت لديه مقاييـــس النقد والتصحيح .

فاذا حضارة دمشق وبغداد والاندلس تطبـــع قيمها وروحها على صفحة الحضارة الانسانية .

وما امرنا في مغرب حضارتنا الا اختلال في عالم الاشخاص اورث التفسخ في المجتمع وانغلاقا في عالم الافكار اجدب من خلاله عالم الاشياء وتلك الايـــام تداولها بين الناس .

هذه السنة الاجتماعية تلزمنا بنظرة ثاقبـــة في عمقنا الاجتماعي . هذا الذي ما يزال مختل العلاقة في عالم اشخاصه تقوم فيه الفوضى على كل صعيد وتأخذ افراده الاثرة فلا يستتم فهم امر .

وهو الذي اختل فيه عالم الافكار فجنـــح الى تبديد امكانياته وثروته وعجزت نظراته عن كل تحليل ذاتي فاذا هو الفكر الناقل في سائر الميادين العلمية وقد تخلى عن كل جهد مشترك يمتاز به ويؤهله في صنع العالم الحديث .

وهو الذي اختل فيه عالم الاشياء فلا انسجام بينه وبين عالم اشخاصه واذا نحن غرباء عن احتواء ثروتنـــا .

ولا انسجام بينه وبين عالم افكاره لان الفكـــر عاجز في سائر الميادين .

فلا بد اذن ان نعيد بنيتنا في هـــذه العوالـــم الثلاثة لترتفع عليها حضارتنا .

ولكي تعيد هذه البنية لا بد ان تتوفر فيه ارادة حضاريـــــة .

والارادة الحضارية هذه نقلة بالانسان الى مرتبة متقدمة . انها تربية . ولذلك فهي علاقة اجتماعيـــة سليمة . وهي مثل اعلى تشد الانسان الى بلوغه فهي اذن عقدة في اطار المجتمع . وهي صلة مستمرة في عالم الاشخاص والافكار والاشياء فهي اذن تعطي لهذه الصلة اسلوبها الفاعل المتسق والمنظـــم فتأخـــذ العوالم هذه صورتها المتقدمة المتطورة وتمنح جوها رلونه ودوقها وجمالها على رقعتها .

ولئن شئنا ان نميز مجتمعا عن سواه لامتاز في اسلوب ثقافته فهذه غربية وتلك صينية . وهـــذه يونانية واخرى رومانية وثالثة اسلامية قد تميزت في الاسلوب والذوق والقيم الموجبـــة الا ان عوالمهـــا الثلاثة تفاعلت فيما بينها تفاعلا منح العبقرية للعالم والفنان والمبدع ولولا ذلك الاطار العام من الصلات لما وجد هؤلاء شروط تأثيرهم في منعطفات العلم .

فثقافة كل مجتمع تشتمل على فصول اساسية لا بـــد منهـــا .

انها المبدأ ــ الاخلاق ــ الذوق الجمالـــي ــ المنطق العملي ــ التقنية .

فهذه العوالم الثلاثة الاشخاص ــ والافكـــار ــ والاشياء تجد تفاعلها في العناصر الاربعة هذه .

وحين تختل او تنسحب واحدة من هذه العناصر تنسحب الثقافة عن دورها الفاعل في بناء الحضارة .

فبدون المبدأ الاخلاقي تتفجر الصلات في عالم الاشخاص ويفقد التعاون في كل صعيد اساسه .

وبدون الذوق الجمالي تفقد الصلات دورها الفاعل المنظم وتنسحب من كل تاثير في صفاء المجتمع واحتواء العبقرية واندفاع الثقافة في صنع الحضارة.

وبدون المنطق العملي تتعقد الصلات وقد تتعارض نشاطاتها فتصبح حينئذ عمياء غير هادفة .

وبدون التقنية لا سبيل لاحتواء عالم الاشياء .

« فليست الثقافة سوى تعلم الحضارة اعني استخدام جميع ملكاتنا الضميرية والفعلية في عالم الاشخاص . وليس العلم سوى بعض نتائج الحضارة اي انه مجرد جهد تبذله عقولنا حين تستخدم في عالم الاشياء . فالاولى تحركنا وتقحمنا كلية في موضوعها . واما الثاني فانه يقحمنا في مجاله جزئيا.

والاولى تخلق علاقات بيننا وبين النظام الانساني والآخر يخلق علاقات بيننا وبين نظام الاشياء.

ميلاد مجتمع

من هنا لا بد من تفريق جوهري بين الثقافة والعلم .

فالاولى تقحم الانسان في مجالها على اختلاف درجات تحصيله العلمي . انها تمس العالم والفلاح والعامل على سواء لانها تطبع وجودها على هؤلاء جميعا لتسلكهم في اطار واحد من الصلات الاجتماعية القائمة على المبدأ الاخلاقي والذوق الجمالي الذي يضبط السلوك العام للافراد .

ولربما كان العالم اكثر ادراكا لطبيعة المجتمع وحركته .

ولربما كان العامل والفلاح ابعد ما يكون عن فهم دقائق هذه الحركة ، لكنهما بالرغم من الثقافة الاجتماعية العامة يختار هذا وذاك نمطا واحدا من السلوك يمنح العمل اليومي فعاليته المؤثرة في التاريخ .

ولقد كان الاسلام من قبل ثقافة المجتمع في صورتها الباعثة تطبع روحها وذوقها في آثار تراثنا الينا عبر القرون . وحينما انسحب المسلمون عن وظيفتهم الاجتماعية اوت حقائق التربية الاسلامية الى متون متوارثة محفوظة بينما فقد المجتمع الاسلامي كل اشعاع خارجي .

فقد شيدنا في فتراف الاجتياح الصليبي للحضارة الاسلامية كثيرا من العلماء ولكن الارادة الحضارية كانت قد انسحبت في ظلمة ليل .

وحينما افاقت نهضتنا الحديثة على وقع اقدام الاحتلال الاستعماري وجد الرواد انفسهم امام حضارة ماثلة في بنائها مترفة برفاهيتها فانزلقوا الى غرام بتلك المستحدثات يستوردون سيارة هنا وبرلمانا هناك وديمقراطية في تنظيم سياسي وماركسية في ثورة اجتماعية دونما ادراك لطبيعة العوامل التي شلت مجتمعنا عن كل تحرك .

وبعد قرن من الزمان تبدو الانتهازية هي المنتصر الاكبر .

بينما قضايا التنمية تدور في فراغ عقيم ، اذ الانسان العالم هو الانسان منذ اقول النهضة يتحدث بلغة العجز على كل صعيد .

فالحقائق السياسية والاجتماعية لا قيمة لها اذا لم تؤثر على الثالوث الاجتماعي : الاشخاص والافكار والاشياء .

« فكل حقيقة لا تؤثر على الثالوث الاجتماعي للاشخاص والافكار والاشياء هي حقيقة ميتة .

وكل تربية « اجتماعية » تشترك في هذا المصير العام فهي لا تعني شيئا اذا لم تكن في الواقع وبما تحمل من معنى وسيلة فعالة لتغيير الانسان وتعليمه كيف يعيش مع اقرانه وكيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الاحسن دائما وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع ان يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ.

وكذلك كلمة « ثقافة » ليست كلمة فارغة رنانة لو لم تحلح على التربية الاجتماعية المضمون الضروري الذي يتيح لها الاضطلاع بوظيفتها المغيرة.ومن الواجب ان نفكر عليا في هذه المصطلحات لا من طريق الاستعانة بقاموس نمسك به البد بل من طريق الاستعانة برأس مستنير بين اليدين . فليس الامر اذن ان نقول ان الثقافة تحتوي بصفة عامة عددا من الفصول هي .

الاخلاق والجمال والمنطق العملي والصناعة الفنيه ولكن الامر يقتضينا ان نتساءل : كيف يتيسى ان نفركيا في صورة برنامج تربوي يصلح لتغيير الانسان الذي لم يحضر بعد في ظروف نفسية زمنية معينة ، او لابقاء الانسان المتحضر في مستوى وظيفته الاجتماعية وفي مستوى اهداف الانسانية . »

هذا اذن برنامج تربوي يتناول البنية التحتية للمجتمع يرتكز عليه بناء الحضارة . فمشكلتنا في عمومها مشكلة حضارة .

فمالك بن نبي تناول في كتبه المتعددة تناول قضية اعادة البناء الاجتماعي للانسان المتخلف . وهو من هذه الزاوية لا يرى القضية في استيراد نمط ثوري او ديمقراطي صنعته تجربة بعيدة عن عمقنا الاجتماعي والهامنا النفسي .

فهذه المستوردات بلبلت ولا تزال تبلبل التحرك الاجتماعي بما تفقل من معطيات الواقع التاريخي الذي يعيش فيه انساننا المتخلف .

واذا صمتت الافواه عن التحدث بما تعتقد وجدنا سلوكا من القوضى والتشتت ينتظم اصحاب الشعار التقدمي « والرجعي على سواء » وما ذلك الا لان التحولات الاجتماعية في نطاق العالم المتخلف قد انحشرت في قوالب بعيدة من تجربتنا الخاصة .

تلك صورة نشهدها في كل يوم ، وقد اضاء فكر ابن نبي جوانبها بما اعطى في مؤلفاته من تحليل دقيق لحركة المجتمع وتطوره .

وابن نبي يطرح الاسلام كقيمة قادرة على استعادة دورها في صنع الانسان .

وهو من هذه الزاوية يضع الحلول في اطار من الفعالية الاسلامية القادرة على التغيير .

هذه الفعالية هي الاوثق في ضمير المسلم المتخلف لانها تبعث في نفسه مسوغات لسلوكه ذات اتصال علوي . وهي ترهف حسه الاجتماعي بقدرة فاعلة تمنحه صلابة الارادة وحكمة العلاقة الاجتماعية وعمق النظرة في اسرار الكون .

وهو من هذا الجانب يمنح الفكر الاسلامي نظرة في عمق التجربة الحضارية تقيله عثرات التقليد والتوقع في معطيات الحضارة الغربية .

وابن نبي من هذا الجانب يمتاز عن سائر ما ادلى الينا القرن العشرين من كتاب ومفكرين عربا و مسلمين ، اذ انطلق من سيبات الحضارة الغربية المسيحية ولم ينطلق من نتائجها وقد اعطته ثقافته المنهجية وعقله الرياضي قدرة على التحليل والتقعيد.

وابن نبي اذ يختار الاسلام لا يجعل اختيارا آخر غير قابل للتطبيق اذا ما توفرت شروط الانبعاث الاجتماعي كما اوضحناه في هذا المقال .

فهذه شروط موضوعية تمس التفاعل الاجتماعي في كل بقعة من الارض . انها شروط التفاعل الاجتماعي في امريكا وروسيا واوروبا . واليابان وهي تبدو في الصين اكثر وضوحا حين يحتدم الجدل حول الثورة الثقافية .

ومن هذه الزاوية نرى في كتب ابن نبي قيمة عالمية لانها تضيف الى الدراسات الانمائية في البلاد المتخلفة آفاقا فاعلة في حل مشكلة الانسان التي هي اولا وقبل كل شيء مشكلة الحضارة .

طرابلس ـ لبنان

رباعيات الامام البخاري : 2

رُباعيّات البخاري في المتن

أو المتون الرباعية

للأستاذ يوسف الكتاني

تكلمنا في البحث السابق عن الاسناد العالي وقيمته ثم فصلنا الكلام عن القسم الاول من رباعيات البخاري وهي رباعيات السند ، ونتابع في القسم الثاني الكلام عن رباعيات المتن.

المقصود برباعيات البخاري في المتن او المتون الرباعية هي الاحاديث التي تضمنت متونهـا اي قول النبي صلى الله عليه وسلم اربعة امور سواء كانـت اوامر او نواهي او حالات او اوصافا او اشراطـا او خلالا او تعوذا او دعوات او غيرها وذلك بأن كل متن على اربعة امور منها مما يجعله حديثا رباعيا من حيث المتن من دون التفات الى سنده او عدد رواته وانما المدار في اعتباره رباعيا على متنه .

وللتوضيح نورد امثلة منها :

حديث البخاري (1) (كتاب الايمان) باب علامة المنافق . قـال :

حدثنا قبيصة عن عقبة : قال حدثنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله ابن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتـى يدعهـا » .

1) اذا ائتمـن خـان

2) واذا حـدث كـذب

3) واذا عاهـد غـدر

4) واذا خاصـم فجـر .

فهذا الحديث الشريف تضمن متنه : اي قول النبي صلى الله عليه وسلم صفات المنافق وقد جعلها النبي صلى الله عليه وسلم اربعة خصال وهي : خيانة الامانة والكذب والغدر والفجور وان من كانت فيـه واحدة من تلك الخصال كان منافقا واتصف بصفات النفاق حتى يتركها .

ونجد في « كتاب العلم » (باب رفـع العلـم وظهور الجهل) ، حديثا رباعيا في متنه قال البخاري، حدثنا عمران بن ميسرة قال حدثنا عبد الوارث عن ابي التياح عن انس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من اشراط الساعة :

1 ـ أن يرفـع العلـم

2 ـ ويثبـت الجهـل

3 ـ ويشـرب الخمـر

4 ـ ويظهـر الزنـا

(1) الحديث الثالث والثلاثون ، ج : 1 ص : 147 و 150 و 152 .

فهذا الحديث الشريف (2) أوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن ذكر اشراط الساعة وهي اربعة كما بينها وعددهـــا رسول لله صلى الله عليه وسلم : رفع العلم وثبوت الجهل ، وشرب الخمر، وظهـــور الزنـــا .

ثم نجد مثلا آخر لهذه الرباعيات في (كتـــاب مواقيت الصلاة) (باب منيبين اليه) .

قال البخـــــاري (3)

حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا عباد هو ابن عباد ، عن ابي جمرة ، عن ابن عباس ، قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلـــم فقالوا : انا من هذا الحي من ربيعة ولـــنا نصل اليك الا في الشهر الحرام فمرنا بشيء نأخذه عنك وندعو اليه من ورائنا فقال :

آمركم باربع وانهاكم عن اربع :

1 ــ الايمان بالله ثم فسرها لهم شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله .

2 ــ واقامـــة الصـــلاة .

3 ــ وايتـــاء الزكـــاة .

4 ــ وان تؤدوا الي خمس ما غنمتم .

وانهـــى عـــن :

1 ــ الدبـــاء

2 ــ والحنتـــم

3 ــ والمقيـــر

4 ــ والنقيـــر .

فهذا الحديث اشتمل متنه على أوامر أربعـــة ونواهي اربع وهي : الايمان واقامة الصلاة وايتـــاء الزكاة واداء خمس الغنائم ، أمر رسول الله الله صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيـــس أن يؤتوها ونهاهم عن امور اربعة عليهم ان يتجنبوها .

ومن مزايا هذا الحديث أن التصريح وارد فيه بلفظ اربع مما يؤكد رباعيته .

ونورد مثالا رابعا لهذه الرباعيات وهو حديث(4) (في كتاب فضل الصلاة) (باب مسجد بيت المقدس).

قـــال البخـــــاري :

« حدثنا ابو الوليد حدثنا شعبة عن عبد الملك، سمعت قزعة مولى زياد ، قال :

سمعت ابا سعيد الخدري رضي الله عنه يحدث باربع عن النبي صلى الله عليه وسلـــم فاعجبننـــي واتقننـــي قـــال :

1 ــ لا تسافر المراة يومين الا معها زوجها او ذو محـــــرم

3 ــ ولا صوم في يومين : الفطر والاضحـــى

3 ــ ولا صلاة بعد صلاتين ، بعد الصبح حتى تطلع الشمس ، وبعد العصر ، حتى تغرب .

4 ــ ولا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ، ومسجد الاقصى ومسجدي .

فهذا الحديث تضمن أربعة أمور حدث بها ابـو سعيد الخدري سمعها من شفتـــي رسول الله صلى الله عليه وسلم اعجبته واقرحته فحفظها ورواها عن النبي صلى الله عليه وسلم .

فهذه امثلة أربعة لاحاديث متونها رباعية تضمن الاول منها أربعة خصال للمنافقين واشتمل الثاني على اشراط الساعة الاربعة وتضمن الثالث أربعة أوامـــر ونواهي وجهها النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس جوابا عن سؤالهم . وتضمن المثل الرابـــع امورا اربعة سمعها ابو سعيد الخدري من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذها عنه ونقلها الى الامة .

هذا ولا تجد فيما نعلم من الكتب التي الفت في رباعيات الامام البخاري والتي لا نعرف عنها شيئا عدا اسمائها واسماء مؤلفيها لا تجد فيها هذا النـــوع من

---

(2) الحديث الثامن والسبعون ج 2 ص 59 و 60 ومن لطائفه انه جمع بين النوعين فهو رباعي السنـــد والمتـــــن .

(3) الحديث الخمسمائة وواحد ج 4 ص 176 و177 .

(4) الحديث الالف ومائة وسبعة وعشرين ج 7 ص 17 .

(5) الرسالـــــة المستطرفـــــة ص 97 .

الرباعيات المتعلقة بمتون الحديث » فكتاب رباعيات ابي عبد الله البخاري » الذي شرحه أحمد بن محمد الشامي الشافعي في كتابه « درر الدراري في شرح رباعيات البخاري » (6)

هذا الكتاب ليس بين ايدينا وليس بموجود حتى نطلع عليه ولكننا نستطيع ان نستكشف ما جاء فيه وانه يتعلق برباعيات السند من جهتين :

أ ـ ان الذي ذكره واثبته هو الحافظ محمد ابن جعفر الكتاني في الرسالة المستطرفة وقد نص عليه في كتب عوالي المحدثين واثر كتب الثلاثيات وهي تتعلق بالسند مما يؤكد أن كتاب رباعيات البخاري يتعلق بالنوع الاول من الرباعيات وهي الاسانيد الرباعية .

ب ـ ويفهم ذلك مما نقله حاجي خليفة في كشف الظنون عن كتاب شرح الرباعيات درر الدراري بأن اوله هو « الحمد لله الذي نزل احسن الحديث استخرجها أي الرباعيات .

ـ من الجامع الصحيح مستمدا من شروح الكرماني وتنقيح الزركشي مع زيادات . (7)

كذلك الامر بالنسبة للكتاب الثاني من الرباعيات وهو « جناح الجناح في العوالي الصحاح » للبرهان ابراهيم الكوراني والذي ذكره صاحب فهرس الفهارس (8) وترجم له ما نص عليه علي بن سليمان الدمناتي البجمعوي في فهرسته .

تجد هذا الكتاب أيضا يتعلق برباعيات البخاري في السند بدليل عنوانه وتسميته « جناح الجناح في العوالي الصحاح » اوفي عنوانه الآخر « لوامع اللآلي في الاربعين العوالي » يؤكد ذلك التعليق الذي كتبه الدمناتي المذكور عن الكتاب في سياق كلامه على عوالي البخاري حيث ذكره اثر الكلام على ثلاثيات البخاري وهي تتعلق بالسند ثم اتى بكلام الحافظ ابن حجر عن عوالي البخاري ودرجاتها الى التساعيات .

قال الدمناتي في فهرسه (9) .

« ثم برسالة الشيخ الامير قال :

اطول اسانيده التساعيات ، قال محمد بن عبد الرحمان الكزبري اعلى ما للبخاري بصحيحه الثلاثيات كما سبق جمعها ابن حجر فبلغت اثنين وعشرين حديثا ، ثم الرباعيات جمعها الشيخ ابراهيم الملا فبلغت اربعين حديثا ضمها للثلاثيات سماه : « لوامع اللآلي في الاربعين العوالي » ثم التساعيات وهي انزل ما عنده ... ووضح كلام الدمناتي البجمعوي أن كتاب الكوراني يتعلق برباعيات السند خاصة وقد أورد كلامه عن الكوراني بذلك آخر الثلاثيات بسنده الى العلا ابراهيم الى البخاري ثم ذكر حديثا رباعيا للكوراني وهو حديث أنس (10) وبذلك يتأكد اننا أول من كتب عن رباعيات البخاري من حيث المتن او ما سميناه بالمتون الرباعية في صحيح البخاري واول من استخرجها من احاديث الجامع الصحيح من دون ان نرجع الى كتاب فيها اعتمادا على جهودنا .

ومن لطائف هذا النوع من الرباعيات نجد احاديث جمعت بين النوعين أي رباعية السند والمتن في آن واحد منها حديث البخاري (11) في كتاب بدء الخلق « باب وفد عبد القيس » :

حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد، عن ابي جمرة قال :

سمعت ابن عباس يقول : قدم وفد عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ان هذا الحي من ربيعة وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر فلسنا نخلص اليك الا في شهر حرام فمرنا باشياء ناخذ بها وندعو اليها من وراءنا ، قال :

---

(6) كشف الظنون ج 1 ص 832 .
(7) كشف الظنون ج 1 ص 832 .
(8) فهرس الفهارس ج 1 ص 229 و 368 و 372 .
(9) اجلى مساند علي الرحمان في اعلى اسانيد علي بن سليمان للدمناتي البجمعوي ص 20 .
(10) الحديث 4070 ج 16 ص 189 .
(11) الحديث 4070 ج 16 ص 189 .

آمركم بأربع وانهاكم عن أربع :

الايمان بالله ، شهادة أن لا اله الا الله وعقد واحدة ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة وان تؤدوا لله خمس ما غنمتم .

وانهاكم عن : الدباء والنقير والحنتم والمزفت .

فهذا الحديث الشريف رواه اربعة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما هو واضح من سند الحديث كما ان متن الحديث تضمن اربعة أوامر واربع نواهي صادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس عندما سألوه ان يأمرهم باشياء يأخذونها عنه ويدعون اليها عشيرتهم ، فهو حديث رباعي السند والمتن .

عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها : علم لا يعمل به ، وعمل لا اخلاص فيه ولا اقتداء ، ومال لا ينفق منه فلا يستمتع به جامعه في الدنيا ولا يقدمه أمامه الى الآخرة ، وقلب فارغ من محبة الله والشوق اليه والانس به ، وبدن معطل من طاعته وخدمته ، ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب وامتثال أوامره ، ووقت معطل عن استدراك فارط او اغتنام بر وقربه ، وفكر يجول فيما لا ينفع ، وخدمة من لا تقربك خدمته الى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك ، وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير في قبضته ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

واعظم هذه الاضاعات اضاعتان : اضاعة القلب واضاعة الوقت ، فاضاعة القلب من ايثار الدنيا على الآخرة ، واضاعة الوقت من طول الامل - فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الامل . والصلاح كله في اتباع الهدى والاستعداد لقاء .

كيف فهم المسلمون

مبدأ السببية

للأستاذ
محمد المنتصر الزيسوفي

من مضحكات (جولد تسهير) زعمه ان العقيدة السنية تنفي فكرة (السببية) في كل صورة من صورها يقول بالحرف الواحد : (هكذا العقيدة السنية المؤسسة على المبدأ الاشعري ، تبعد فكرة السببية في كل صورة من صورها ...) (1) .

هذه بطبيعة الحال مغالطة سافرة وتمحك جلي على عادة (جولد تسهير) في كل ما تناوله عن شريعة الاسلام مدفوعا بحقده المعروف ، ومدفوعا في الوقت نفسه من جهات استعمارية معينة أقول هذا — وانا اعلم ما أقول — لان الرجل جرد الاسلام من كل فضيلة ومزية في كتابه (العقيده والشريعة في الاسلام) (2) كما لو كانت هذه الشريعة لم تتضمن حسنة من الحسنات ، لذا قررت غير ما مرة بأن يحوته تخلو بتاتا من روح الانصاف وصدق العالم .

وهو بهذا الحكم الصارم ينفي عن عقول المسلمين قدرة الملاحظة للظواهر ، وعملها فيما بينها على روابط محكمة ، ولاجل هذا سابين بجلاء موقف المسلمين من قوانين الاسباب والمسببات دون الدخول في التعقيدات حول (مبدأ السببية) وفلسفتها ، لانه متعالم مشهور لا يحتاج الى البسط والشرح وساقتصر على ما فهمه بحق اجدادنا الاوائل عن الترابط بين الاشياء دون ما التركيز على الاشاعرة بالضبط لان (جولد تسهير) اتخذهم مطلقا — كما هي حيله دائما في التآمر على الاسلام — للطعن والتجريح .

ان المسلمين عبر عصورهم قد لاحظوا في الظواهر الطبيعية معجزات الله تعالى المتعددة ، وفهموا تناسقها واعمالها من خلال الاسباب والمسببات ، ومن خلال التلازم المطرد بين العلة والمعلول ، لذلك قالوا . ان النار تحرق ، والماء يروي والارض تنبت ، وغير ذلك وتوصلوا بملاحظاتهم الى أن هذه القوانين لا تتخلف بل تسير على نسق معين محكم ، لكنهم لم يغفلوا امرا اهم من هذا هو ان التلازم بين الاسباب والمسببات تهيمن عليها المشيئة الربانية والقدرة الالهية المطلقة ، واعترافهم بهذه الهيمنة دفع (جولد تسهير) الى ان يختلق اكذوبة ابعاد فكرة السببية من اجل الوصول الى حكم ميتسر هو ان الاسلام يرفض المقررات العقلية الاولى .

---

(1) العقيدة والشريعة في الاسلام ص 132 — 133 — ترجمة د. محمد يوسف موسى ط. 2 .
(2) انظر حديثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتطور الفقه ، ونمو العقيدة .

اذا استعرضنا القرآن الكريم وجدناه يحفل بالحديث عن هذا المبدأ ويقدم لنا صورا شتى عنه قال تعالى (وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا) (3) . وقال تعالى (وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتنا من كل زوج بهيج) (4) .

فآيات عديدة تتضافر فيما بينها لفت الانظار الى عجائب الكون ، وتثير اهتمامنا الى ما أودعه الله تعالى في الكائنات من نظام بديع جميل يعتمد في ظاهره على مبدأ السببية .

فكيف يغيب عن علم المسلمين الاوائل منذ عصر النبوة المضواع تلازم الاسباب والمسببات ؟ لكن (جولد تسهير) غاظه أن يومن المسلمون بأن الظواهر الكونية منقادة الى الله تعالى تسير وفق مشيئته لا تتخلف ، وانه اذا اراد أن يخرق العادة فليس هناك من سيعوقه عن ان يفعل ما يريد تصديقا لقوله تعالى (افرايتم الماء الذي تشربون . أانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون) (5) وتصديقا لقوله تعالى (ان ربك فعال لما يريد) (6) .

فهم المسلمون — ونفهم نحن اليوم — بدون فلسفات فارغة ، ان الاسباب هي في ظاهرها مفاتيح منحها الله الانسان يتوسل بها الى ما يريد وليقوم النظام الكوني على قاعدة محكمة ، غير ان في داخلها السر الالهي المعجز به تترابط وتعمل عملها .

في الحقيقة ان المسلمين فهموا هذه الحكمة المدبرة للكون في وقت لم تكن فيه العلوم الفلسفية والتجريبية قد انتشرت ، وادركوا ما فيها من أسرار ، فكتاب الله تعالى بينهم يتلونه ويتمثلونه في وجداتهم وحياتهم العلمية ، والرسول عليه الصلاة والسلام بينهم يزودهم بالمعارف ، ويبين لهم سنن الله في الكون ، لذلك عملوا في الحياة ورفضوا التوكل بالمفهوم الذي عرفه بعض المتأخرين حين اصطلحت عليهم الظروف العصيبة من الجهل بحقائق الدين ، فاعتقدوا ان التوكل هو الانزواء عن الحياة ظنا منهم ان ربهم كفل لهم الرزق دون ان يجدوا في اكتسابه مما ساعد على تخلف المجتمعات الاسلامية ، وجعلها تخلد الى الكسل ، فقل حب العمل والرغبة في التعمير وتجمدت الطاقة العقلية ولم تعد ترتاد الآفاق العلمية الرحبة وتستشرف مشارف المعرفة الوسيعة .

اقول ان المسلمين الاوائل علمهم كتاب الله ومعه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخذ بالاسباب وجعلهم يقتنعون بانه أمر ضروري حتى لا تتوقف عجلة الحياة وحتى يتبعوا المسيرة المباركة في معترك الحياة ، لذلك عملوا بجد وكد وبروح حافلة بالحيوية والنشاط تشد من ازرهم كلمات الله المضيئة ، وتنفخ في عزمهم ارشادات الصادق المصدوق كلما اصبحوا ، وكلما جنهم الليل ليحققوا ارادة الله في الحياة ، تلك الارادة التي لا يمكن أن تتحقق الا اذا صحبها التوسل بالاسباب ، قال تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)(7) وقال تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون (8) ، لذا كان مفهوم التوكل عندهم هو ترك النتائج لله بعد القيام بالواجب والتهيؤ لمواجهة كل الصعوبات والسعي لانجاز المطلوب ، ثم تاتي مرحلة التوكل على الله ، قال تعالى (فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) (9) .

هذا هو الفهم الجيد الحق الذي ادرك به المسلمون سر الحياة وعلاقات الاشياء في الترابط بين الاسباب والمسببات ، فعملوا وتوكلوا ، لان التوكل لا يتنافى ابدا مع الايمان بالسنن المطردة في الكون ، وساروا في مشارق الارض ومغاربها يزرعون النور في كل بقعة ، ويبذرون الخير في كل ارض

---

(3) سورة الانعام ، الآية 99 .
(4) سورة الحج ، الآية 5 .
(5) سورة الواقعة ، الآيات 68 — 69 — 70 .
(6) سورة هود الآية 107 .
(7) سورة الانفال الآية 60 .
(8) سورة التوبة الآية 105 .
(9) سورة آل عمران الآية 159 .

متخذين في ذلك الاسباب مطية لما يريدون تحقيقه من آمال من اجل رفعة الدين وسيادة منهج الله تعالى.

فكيف ـ بالله ـ يتوقع (جولد تسهير) ويزعم هذا الزعم الصبياني مع ان المسألة واضحة ؟ أم أن (جولد تسهير) بما جبل عليه من تعصب يريد أن يجردنا حتى من معرفة قانون الاسباب والمسببات ، لكن الرجل يجهل او يتجاهل لالحاده أن المسلمين هم الذين ادركوا فهم العلاقات الترابطية بين السنن الكونية بفضل كتابهم وبفضل رسولهم حين آمنوا ايمانا راسخا بان وراء الظواهر الكونية قوة مطلقة ـ هي قوة الله تعالى ـ تتصرف بحكمة عجيبة معجزة وتسير الوجود احسن تسيير (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) (10) .

وقصارى الكلام أن ما افتراه (جولد تسهير) على الاشاعرة انما هو لاجل أن يجرح المسلمين ليس الا ، ذلك أن الاشاعرة حين جنحوا الى اثبات المدخل الالهي في كل امر قصدوا من ذلك الرد على الخصوم الذين تطرفوا في مجادلاتهم عن الارادة الالهية فكادوا يؤلهوا مبدأ السببية ويعزلوا عنها القدرة الالهية (11)

فتبين اخيرا أن (جولد تسهير) أراد ان يثير كعادته زوبعة ولكن التوفيق خانه ـ كما خانه في كل ما تناوله عن قضايا الاسلام ، فلم تنطل هذه الحيلة على من له المام بشريعة الله .

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

---

(10) سورة الملك الآية 3 .

(11) لا يتصور عقلا أن الاشياء قائمة بذاتها تنمو وتتولد ، كما يقول دعاة المادية من ماركسيين وغيرهم لأجل اثبات قدم المادة ونفي الخالق تعالى ، وهذه النظرية تدل على قصور في العقل لا محالة ، ففي سنة 1959 اذاعت وكالة الانباء السوفييتية (تاس) أن الكسندر أوبا رين رئيس معهد الكيمياء في روسيا بعد بحث 37 عاما قال ان اصل الحياة لا يمكن ان يبدأ من العدم او بالتفاعل الكيميائي أو التوالد الذاتي ، كما ان ايجاد الخلية الاولى عن طريق تفاعل كيميائي غير ممكن ابدا ، لذلك فالعلم لا يمكن أن يخوض فيما وراء المادة ، انظر كتاب كبرى اليقينيات للدكتور اليوطي ص 103 ط. 2 .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« هل من المعصية أن يحب الرجل قومه ؟ قال : لا

ولكن من المعصية أن يعين الرجل قومه على الظلم .

خلود الروح

للدكتور
محمد هادي العزيز

عندما يريد الله الخالق الرحيم أن يخلق انسانا يمتعه بنعمة الوجود والحياة فانما يخلقه لوجود الابدي ، ويمتعه بالخلود الدائم منذ بدئه كفكرة خلقية ايجادية في فكره الالهي ، واثناء مروره بالحياة الدنيا على الكوكب الارضي وانتقاله الى الحياة الاخرى بعد الموت .

هكذا يبدأ وجود الانسان فكرة خلقية في فكر الله سبحانه وتعالى يقدرها بارادته وقدرته تقديرا ربانيا ، ويسطرها في اللوح المحفوظ (1) .

وهو وجود يبدأ ، كما نرى ، في فكر الله الخالق ذي العلم المطلق !

وفكر الله الخالق الرحيم أقدس حيز واشرفه واسماه في الوجود اللا نهائي اللا محدود !

وانه لشرف عظيم ان يبدأ الانسان وجوده في فكر الله الخالق الرحيم ، وبارادته ، وتقديره ..

ومن واجبه ان يتبادل في كل حين هذه الهبة الالهية ، ويقدرها قدرها ، ويوفيها حقها المستحق من الشكر والحمد .

ويمكن القول ، حسب هذا ، بأن الانسان مخلوق (او موجود) ابدي دائم ذو ابدية وديمومة جزئيتين مطلقتين بازلية الله الخالق الرحيم وسرمديته المطلقتين .

والكلام عن الخلود مقترن بالكلام عن البعث (2).

واذا كنا نؤمن بالبعث فلا بد أن نؤمن بالخلود .

واذا كنا نؤمن بالخلود فلا بد أن نؤمن ايضا بالبعث .

ولهذا كان الايمان بالخلود مرتبطا ارتباطا وثيقا بالايمان بالبعث بعد الموت وما يتبعه من حساب وجزاء .

والروح (او النفس) تحيا الحياتين الدنيا والآخرة معا بوعي دائم تفاوت درجات المسؤوليات فيه ايمانيا ، ودينيا ، وثقافيا ، واخلاقيا ، وسلوكيا ، ووجدانيا .

واذا كانت الروح (او النفس) واعية بوجودها في هذه الحياة الدنيا فهي بعد الموت اعظم وعيا بها وبالحياة الاخرى اثناء مواجهتها للحقيقة الازلية السرمدية الخالدة وقد زالت عنها غفلتها وغشاوتها وخاصة عندما تقف بين يدي الله الخالق تحاسب (3) على ما قدمت في دنياها ، وبيمينها (4) او بشمالها (5) كتابها الذي سجلت فيه جميع اعمالها وافوالها ،

---

(1) مجموعة الرسائل الفرائد : الفصل السادس من « رسالة روضة الطالبين وعمدة السالكين » لحجة الاسلام الامام ابي حامد محمد الغزالي (طوس – خراسان – شمالي شرقي ايران . 45 هـ (1050 م) – 505 هـ (1111) .

(2) يؤمن المسلم بالبعث بعد الموت ، وقد جمع العلامة المغربي سيدي عبد الواحد بن عاشر رحمه الله في ارجوزته الشهيرة « المرشد المعين » جميع ما يؤمن به المسلم في البيتين التاليين :

الايمان جزم بالاله ، والكتب والرسل ، والاملاك ، مع بعث قرب
وقدر ، كذا صراط ، ميزان حوض النبي ، جنة ، ونيران

(3) الآية 18 من سورة الحاقة يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية » .

(4) الآيات 7 ، 8 ، 9 من سورة الانشقاق : « فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا » .

(5) الآية 19 من سورة الحاقة : « فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه » ، والآيات 10 ، 11 ، و 12 من سورة الانشقاق : « واما من اوتي كتابه وراء ظهره ، فسوف يدعو ثبورا ، ويصلى سعيرا » .

وحتى نواياها ، واسرارها ، واخفى من اسرارها ، شاهد عليها ينطق بالحق (6) .

وينمو هذا الوعي ويتطور من وعي أبسط والطفولة الى وعي الشباب فوعي الكهولة ثم وعي الشيخوخة .

فالصبي مثلا يولد على الفطرة (7) وأسرته هي التي توجهه دينيا منذ نعومة اظفاره بصورة شعورية (مباشرة) وبصورة لا شعورية (غير مباشرة) وتسميه باسماء المسلمين ، وتربيه تربية اسلامية ، وتلقنه الوعي الاسلامي في كل حين ومناسبة ، فينشأ ويترعرع مسلما حنيفا على ملة الاسلام ان كانت اسرته مسلمة وفي بيئة مجتمعية مسلمة .

اما اذا كانت اسرته على ملة او عقيدة اخرى وتنتمي الى بيئة مجتمعيه تسودها هذه الملة او العقيدة الاخرى فانه يسمى بالاسماء التي تناسبها ويربى بتربيتها ، ويلقن وعيها الديني او العقيدي في كل حين ومناسبة وينشأ متدينا بها ومعتقدا فيها .

ويتاثر هذا الوعي بعد ذلك بالمعطيات والمؤثرات البيئوية والمجتمعية ، وبالمعرفة وبالالتزامات المذهبية والتجارب الحياتية ، وبالتجاوبات العديده الاخرى مع تيارات الوعي الانسانية المعاصرة في العالم وخاصة في عصر كعصرنا تتجاوب فيه تيارات الوعي ، وتتداخل ، وتتفاعل بسهولة مدهشة وبسرعة عجيبة

وقد وجد هذا التداخل في تيارات الوعي ، وهذا التجاوب بينها ايضا منذ القدم ، منذ بداية الوجود الانساني ، وقد بدا بصور بدائية واخذ يتطور تدريجيا ، وهو يسع في كل حين باتساع آفاق المعرفة وابعادها وامتدادها اللانهائية اللامحدودية .

وسيستمر هكذا حتى تثوب الانسانية الى رشدها ، وتهتدي الى وجود الله ، والايمان به ، وتعاون تعاونا انسانيا واعيا على عمران الارض ، واكتشاف الكون ، ومحاولة تعميره ، وتكف عن التعارضات الخطيرة والحروب العدوانية ، وتخرج من جاهليتها التي تتجدد دائما وترتدي في كل عهد رداء يلائم روح عصرها ، وتتوحد على هدى وعي انساني راق في مفاهيمه ومثله ، سام في غائته ، عال في قيمه واخلاقه وآرائه ومعاييره ومقاييسه .

ومنذ بداية الوجود الانساني بدأ الايمان بالله ، وبدأ دينه الحنيف (8) ، وبدأ معه ، بطبيعة الحال ،

---

(6) الآية 29 من سورة الجاثية : « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » .
والآية 30 من سورة آل عمران : « يوم تجد كل نفس ما عملت محضرا » .

(7) اشارة الى الحديث الشريف « كل انسان تلده امه على الفطرة ، وابواه بعد ، يهودانه ، وينصرانه ويمجسانه ، فان كانا مسلمين فمسلم » — صحيح مسلم .

(8) دين الله الحنيف هو الاسلام .
يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في الآية 67 من سورة آل عمران : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ، وما كان من المشركين » . وفي الآية 78 من سورة الحج : « ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ، وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس » . ودين الله الحنيف بدأ مع سيدنا آدم ابي البشر ، واستمر مع الانبياء والرسل : شيث ، وادريس ، ونوح وغيرهم ، وعززه سيدنا ابراهيم الخليل عليهم جميعا ازكى السلام ، وختمه ودعمه سيدنا محمد (ص) .
ويقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في الآية 19 من سورة آل عمران : « ان الدين عند الله الاسلام » « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » سورة آل عمران الآية 85 .
وهو سبحانه وتعالى يرضى لنا الاسلام دينا فيقول في الآية 3 من سورة المائدة : « اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا » .
واليهودية والمسيحية في اصالتهما الاولى قبل ان يلحقهما التحريف تعتبران من دين الله الحنيف الاسلام ، وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في الآية 13 من سورة الشورى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب » .
وشاءت ارادة الله الرحمن ان تصطفي سيدنا محمدا ص. ليرث عن جده الاعلى سيدنا ابراهيم الخليل دين الله الحنيف الاسلام ويتممه ويكمله .
والاسلام دين الله الحنيف دين المحبة ، والاخوة ، والسلام ، والتعاون ، واليسر .

الايمان بالبعث بعد الموت وبخلود الروح (او النفس).

وعند ما بدات الفلسفة واخذت تتابع بجراة مسيرتها الطويلة التي تتقدم دائما في طريق المعرفة الانسانية شرع الفلاسفة يقولون بخلود الروح (او النفس) .

ولقد تقدم دين الله الحنيف الفلسفة وسبقها ، ولا بد ان يتقدمها ويسبقها لان الدين دين الله،ومنزل من عنده وبامره ، وتشهد على ذلك الكتب الالهية (السماوية) كلها ، و « الفضل للتقدم » كما يقول القول العربي المشهور .

وفي بداية الوجود الانساني تجلى الله الخالق للانسان الاول سيدنا آدم ابي البشر ، وعلمه دينه الحنيف فكان اول انسان مؤمن مسلم واول نبي رسول (9) .

وابناء الانسان المؤمنون بالله ، وبدينه الحنيف يؤمنون بسيدنا آدم ، ويصدقون قصته ، اما الذين لا يؤمنون منهم فانهم ، دون شك ، يعرفون اشياء كثيرة من الحقائق والاخبار المتعلقة بسيدنا آدم ، ويقصونها كحقائق ، او كاخبار ، او كمجرد قصص ، وهذا في حد ذاته يعتبر تصديقا به ، وبقصته ان لم يمكن اعتباره ايمانا به .

وبعد هذا كافيا لتاكيد تقدم دين الله الحنيف للفلسفة وسبقه لها (10) .

وهو يدل دلالة واضحة على ان فكرة خلود الروح (او النفس) في الفلسفة استمدها الفلاسفة واخذوها من دين الله الحنيف ، وشرعوا بعد ذلك يبحثونها ، ويجتهدون في فهمها ، وسبر اغوارها ودراستها كل حسب مداركه ومبلغه من المعرفة ، وحسب التاثيرات البيئوية او المجتمعية او السياسية (العقائدية والايديولوجية والمذهبية) التي يخضع لها .

ولكل فيلسوف ، بطبيعة الحال ، فيها اراؤه التي قد توافق آراء الاخرين ، او قد تختلف معها اختلافا صغيرا او كبيرا .

وخلود الروح (او النفس) في الفلسفة عند الفلاسفة الذين يؤمنون به يختلف عن خلودها كما ورد في دين الله الحنيف .

فخلود الروح (او النفس) عند بعضهم لا يقترن بالبعث والحساب والجزاء باستثناء المتدينين منهم ، وبخاصة فلاسفة المسلمين .

والخلود عند بعضهم الاخر يختلف عن هذا ، فهم يرون انه يكون هنا في هذه الحياة الدنيا ، ويربطونه بالسعادة (11) .

اما خلود الروح (او النفس) كما ورد في دين الله الحنيف فهو يقترن ويرتبط بالبعث والحساب والجزاء (12) .

---

(9) راجع قصة سيدنا ابراهيم في القرآن الكريم وهي موجودة كذلك في التوراة « في سفر التكوين ، (الكتاب المقدس ـ العهد القديم) .

(10) ارسل الله سيدنا موسى في القرن الثالث عشر ق.م. ولم تبدأ الفلسفة في صيغها المعروفة لدينا كفلسفة الا في بداية القرن السادس ق.م. بطاليس الميليتي اول فلاسفة اليونان واول حكيم من حكمائها السبعة ، ورئيس المدرسة الفلسفية الايونية التي قامت في مستعمرة ايونية بتركيا على ساحل البحر الابيض المتوسط .
وقد سافر طاليس الى بلدان الشرق الاوسط وزار بابل (العراق) وكانت مركزا حضاريا وثقافيا عظيما حينذاك ، وتعلم في مصر علوم عصره ، وتخصص في الرياضيات والفلسفة .
وبمقارنة التاريخين ، تاريخ بعثة سيدنا موسى مع تاريخ بداية الفلسفة اليونانية يتضح لنا سبق دين الله الحنيف للفلسفة ، ويؤكد تاثيره فيها، وقبل بعثة سيدنا موسى بعث الله سيدنا ابراهيم الخليل .
ونرى بوضوح تاثير دين الله الحنيف من جهة ، وتاثير ثقافات وعقائد الشرق الاوسط وبخاصة ثقافة مصر وثقافة بابل (العراق) في الفلسفة اليونانية التي تزعمت الفلسفة الانسانية كلها في عالمنا من جهة ثانية .

(11) احدهم الفيلسوف ابو بكر محمد بن باجة (سرقسطة 475 هـ ـ فاس 533 هـ) ـ راجع كتاب « من الكندي الى ابن رشد » للدكتور موسى الموسوي ص 195 .

(12) يوضح القرآن الكريم هذه القضية في آيات عديدة .

واذا تأملنا هذا القول المأثور : « اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا ؛ واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » تأملا عميقا يتضح لنا انه يدعو المسلمين الى العمل لسعادة الدارين ؛ الدنيا والآخرة ، والخلود فيهما معا ؛ في الاولى بالعيش الهنيء ، وبالذكر الطيب في التاريخ عند الناس مدى الاجيال والازمان وفي الآخرة بالخلود في النعيم المقيم الدائم في الجنة.

واذا كانت الفلسفة لا تلتزم بالدين في حالات عديدة فهي تلتزم بوجود الله الخالق ، وتؤكده ، وتؤمن به ، وتدعو الى الايمان به ، وهي تبعا لهذا تقول بخلود الروح (او النفس) .

ويمكن ان نفهم ان سكوتها عن ذكر البعث والحساب والجزاء ناتج عن عدم التزامها بالدين لسبب من الاسباب التاريخية او الاجتماعية او السياسية ، او لسبب آخر مهم جدا بالنسبة لها وهي ضمان حريتها ، وتأمين استقلالها عن الدين .

ومهما كانت الاسباب فلا بد من العودة الى الظروف التاريخية التي بدات فيها الفلسفة لنفهم كيف بدا عدم التزامها بالدين .

فالفلسفة ، كما هو معلوم ، بدات في اليونان ، في بيئات اجتماعية وسياسية تسودها الوثنية والكهانة والاساطير ، ويسيطر عليها الكهان ، وتعبد فيها الكواكب والاوثان ، ويؤله الانسان .

وكانت النزعات اللا شعورية (13) هي التي تحكم في توجيه الحياة عند اغلب السكان ، واعقبتها النزعات الشعورية (14) بعد مدة طويلة ، اما الوجدان (الضمير) فلم يكن له وجود حقيقي الا عند قلة ممتازة نادرة منهم .

في هذه الظروف جاءت الفلسفة لتلعب دورا عظيما في توجيه الافكار والعقول الى الحقيقة والبحث عليها ، وارشادها الى وجود الاله واحد حق ، ازلي وسرمدي ولا نهائي ، والى الفضيلة والى خلود الروح (او النفس) ، وهذا في حد ذاته مهم جدا ، وذو قيمة انسانية ثمينة تشكر عليها ، وخاصة بالنسبة لتلك العهود .

واذا رجعنا الى التقييمات العلمية التي وضعت للفلسفة تلك العهود لانفيناها لا تقل فيما بلغته من سمو وشموخ عن التقييمات التي وضعت للفلسفة الحديثة بشتى مذاهبها وافكارها التي تسود في عصرنا هذا .

ويمكن اعتبار عدم التزامها بالدين راجعا الى عدم الاقتناع بدين من الاديان السائدة في ذلك الزمان، وخاصة العبادات الوثنية او الفلكية .

وتبين محاكمة الفيلسوف سقراط (15) باثينا باليونان واعدامه تاثير هذه الظروف ، وتؤكد لنا سببا من اسباب عدم الالتزام بالدين ، فهو قد اتهم بالتهم الآتية :

— انكار لالهة اليونان ـ دعوته الى الاله واحد لا تعرفه الميثولوجيا (16) اليونانية .

— افساده لعقائد الشبان اليونانيين اذ كان يدعوهم الى التوحيد بدل التعدد .

ان قضية محاكمة سقراط رقت بالفلسفة رقيا عظيما ، وهي تؤكد اهمية الدور الذي لعبته في توجيه الافكار والعقول الى الحقيقة والى الايمان بالله الخالق في ذلك الزمان .

لقد كان سقراط ، كما نرى مؤمنا بالله ، ولكنه كان غير متدين بدين الله الحنيف ، وكان فاضلا يدعو

---

(13) عبد اليونانيون في القرنين السابع والسادس ق. م. الاله ديونيزوس،وهو اله وثني لا شعوري اتصفت عبادته بالنزعات الشيطانية الشهوانية الفاجرة .

(14) ومثلوا كذلك الاله ابولو ، اله الشمس ، والنور ، والطب الذي يشفي النفوس وهو اله وثني شعوري يمتاز بالاشراق والصفاء والعقل .

(15) سقراط : (470 ـ 400 ق. م.) فيلسوف يوناني كبير من اثينا ، كان يؤمن بوجود الاله واحد حق ويدعو الى الايمان به ، ومات شهيد ايمانه به ودعوته الى الايمان به .

(16) الاساطير اليونانية تمجد تعدد الالهة والعبادات الوثنية والفلكية وغيرها .

الى الفضيلة ، ويلتزم بها سلوكيا ، كما كان يدعو الى ترك الرذيلة ويلتزم ايضا سلوكيا بهذا الترك .

والفضيلة فضيلة منذ كان وجود الانسان على ارضنا .

والرذيلة رذيلة منذ كان وجود الانسان على ارضنا ايضا .

ودين الله الحنيف يدعو الى الفضيلة والتحلي بها ، وترك الرذيلة ونبذها .

ودين الله الحنيف تقدم الفلسفة وسبقها : والفضيلة الدينية تقدمت بدورها تبعا لهذا الفضيلة الفلسفية (العقلية) وسبقتها .

ويعني هذا ان الفلسفة التي استمدت فكرة خلود الروح (او النفس) من دين الله الحنيف استمدت منه ايضا الفضيلة وناقشتها فلسفيا (عقليا) والتزمت بها سلوكيا .

وكذلك الشأن بالنسبة لترك الرذيلة ونبذها .

وتأمر الفضيلة الدينية بمعاملة الناس معاملة حسنة (17) وبالصدق في تقديم النصيحة اليهم (18)

وهو نفس ما تأمر به الفضيلة الفلسفية (العقلية) تقريبا .

فاذا عوض سقراط وامثاله من الفلاسفة المؤمنين عبادة دين الله الحنيف بالتجوات والتأملات والابتهالات الفردية الخاصة مع الالتزام بالفضيلة الفلسفية (العقلية) ألا يكون موقفهم هذا مماثلا لدين الله الحنيف ؟ .

اذا كان الامر هكذا فان سقراط وامثاله سينالون عند الله الجزاء الاوفى ، وتخلد روحه وارواح امثاله في النعيم مثل ارواح المؤمنين المتدينين بدين الله الحنيف .

ومن العدل ان نقدر لرجل مثل سقراط عاش في القرن الخامس ق. م. في وقت كانت يهودية موسى عليه السلام قد اصابها التحريف ، وقبل « مسيحية عيسى عليه السلام ، وقبل اسلام سيدنا محمد (ص) ايمانه بوحدانية الله الخالق ، وبخلود الروح (او النفس) ، وبالفضيلة في حين يوجد كثيرون في عصور ما بعد المسيح عليه السلام وما بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ما يزالون يشكون ويقترون بالافكار الالحادية الزائفة ، ويتأثرون بالمظاهر الرائعة .

ومن العدل ايضا ان تقدر للفلسفة خدماتها الجلية للايمان بوحدانية الله ، وبخلود الروح (او النفس) ، وبالفضيلة في اشخاص الفلاسفة المؤمنين فلقد حلت محل دين الله الحنيف عند غيابه بينهم ، وثابت عنه في القيام بالتزاماته .

وما ذا يخاف بعد الموت في الحياة الاخرى انسان آمن بالله الواحد ، وبخلود الروح (او النفس) ، وبالفضيلة ، والتزم بها التزاما سلوكيا في حياته ، وتجنب الرذيلة وتخلى عنها ؟

وتقدم لنا الفلسفة في شخص سقراط وأمثاله مثلا من الامثلة الحية الرائعة في الدعوة الى الايمان بالله وبخلود الروح (او النفس) ، وبالفضيلة واجتناب الرذيلة .

ومن الناس من يهتدي الى الايمان بالله بدعوة دين الله الحنيف .

ومنهم من يهتدي اليه بطريق التأمل الفلسفي، وبالقراءات او المناقشات او الدعوات الفلسفية والعقلية .

ومنهم من يهتدي اليه بالعلم وتجاربه التطبيقية.

ومنهم من يهتدي اليه بالسياحة والتجوال في البلدان .

ومنهم من يهتدي اليه بطرق واسباب اخرى .

والهداية كانت دائما من الله واليه مهما تعددت اسبابها وطرقها واشكالها .

ولهذا يجب ان تكون اسباب الهداية الى الله الخالق والدعوة الى الايمان به كثيرة ومتنوعة ليهتدي خلق الله اليه ، ويؤمنوا به بسهولة .

---

(17) اشارة الى الحديث النبوي « الدين المعاملة »

(18) اشارة الى الحديث النبوي « الدين النصيحة » .

ويعرض على الله الخالق يوم القيامة عند البعث من آمن به ومن لم يؤمن ، ومن آمن بالبعث والحساب والجزاء ، وبخلود الروح (او النفس) بعد الجزاء ، ومن آمن بخلودها دون بعث او حساب او جزاء ، ومن آمن بخلود هنا في الدنيا فقط كما يعرض عليه سبحانه وتعالى من لم يؤمن بأية حقيقة من هذه الحقائق .

ويكون البعث يوم القيامة بعثا عاما ، شاملا جامعا ، لجميع الناس ، لا فرق بينهم في دين او لون ، او جنس ، او زمان او مكان ، او لغة او لهجة ابتداء من الانسان الاول سيدنا آدم عليه السلام الى آخر انسان في الحياة الدنيا .

وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم : « وعرضوا على ربك صفا ، لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة ، بل زعمتم ان نجعل لكم موعدا . ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ، ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك احدا » (19) .

فلنتصور الآن عظمة الله الخالق الذي يبعث من القبور ويحاسب ويجازي على صعيد واحد جميع ابناء الانسان في كل عصور الوجود الانساني من جميع الاعتقادات الدينية ، والانتماءات العقلية والفلسفية ، والنزعات المذهبية والطائفية ، وجميع النوايا والرغبات والشهوات والافعال ومنهم المتخاصمون والاعداء وذوو القضايا والمشاكل المعقدة الشائكة جدا .

ويكون يومئذ الحكم الفصل هو حكمه الالهي ، فهو القاضي الاوحد في ذلك اليوم العسير ، ويحكم بالعدل المطلق المجرد ، ولا يظلم احدا .

ودين الله الحنيف تنزيل من الله الخالق الرحيم ، وتجل من تجلياته الربانية على العالمين ، اما التفكير التأملي الفلسفي (العقلي) فانه نزوع صاعد من عقل الانسان للبحث عن الحقيقة والمثل العليا .

والفضيلة الالهية الدينية كما أمر بها الله الخالق الرحيم هي الفضيلة الحقة لانها فضيلة الاهية ، وهي المعتمدة اعتمادا ربانيا في الحساب والجزاء حين البعث .

والالتزام بالفضيلة الالهية الدينية يساعد على تزكية الروح (او النفس) ، وصفائها وارتقائها روحيا في معارج الارتقاءات الروحية .

وكل مؤمن مسلم ينشد هذه التزكية ، ويروم هذا الصفاء ويبتغي رضوان الله الخالق الرحيم .

وهكذا يتضح لنا ان الحديث عن الروح (او النفس) وخلودها حديث ديني ، وصوفي وفلسفي (عقلي) ، ومثالي .

وترقى « الصوفية الفلسفية والمثالية » حتى تقارب الصوفية الدينية او تصبحها وتكونها او تكاد كما هو الحال في قضية سقراط وامثاله .

وتتسع الصوفية الدينية حتى تشمل وتستوعب الصوفية الفلسفية والمثالية كما هو الشأن في حالة الصوفي الفيلسوف محيي الدين بن عربي الحاتمي وامثاله .

+ × +

رأينا فيما تقدم ان الروح تبدأ وجودها فكرة خلقية ايجادية (الوجود التقديري) في فكر الله الخالق وعلمه الالهي تنتظر أمر الكينونة بخلقها لتحل في جسمها في الحياة الدنيا (الوجود الحسي) وهي بعد الموت تخلد دائما ابدا .

وخلودها بعد الموت حين البعث والحساب والجزاء تكون في الجنة ان كانت مؤمنة من أصحاب اليمين ، او في الجحيم ان كانت كافرة من أصحاب الشمال .

وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في حق المؤمنين واصحاب اليمين :

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ، خالدين فيها لا يبغون عنها حولا » . (20)

---

(19) الآيتان 48 ، 49 من سورة الكهف ـ راجع كتابا من كتب التفسير في هذا الشأن .
(20) الآيتان 107 ، 108 من سورة الكهف .

ويقول سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في حق الكافرين واصحاب الشمال :

« ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيه أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا » (21) .

وفي القرآن الكريم آيات أخرى توضح هذه القضية توضيحا بينا .

وتنص هذه الآيات القرآنية على خلود الروح (او النفس) ، وكيفيته ، وظروفه نصا الاهيا (قرآنيا) صريحا واضحا .

ان خلود الروح (او النفس) من خلود الله الخالق سبحانه وتعالى .

فمن خلوده الالهي الازلي السرمدي المطلق تستمد خلودها الانساني الدائم الابدي الجزئي .

لقد وجدت بوجوده الالهي وتخلد بخلوده .

أما عندما تكفر وتتدنس ، وتكون من اصحاب الشمال ، وتطغى عليها الصفات السفلى والنزعات والرغبات الدنيا ، فانها ـ عكس الحالة الاولى ـ تكون ابعد حالا ومقاما منه سبحانه .

وهي واعية بمصيريها هذين ، ومسؤولة بوعيها عن اختيار مصيرها بهدى من الله الخالق .

ومن مسؤوليتها أن تعتني بخلودها ، وبعثها ، وحسابها ، وجزائها وعيا دينيا ، ووعيا عقليا (فلسفيا وعلميا) .

ومن مسؤولية الائمة الواعين أن يسهلوا لكل روح (او نفس) أسباب وعيها الديني والعقلي بالترعيات الروحية الدينية والعقلية المستمرة .

ويتضح لنا من هذا ان خلود الروح (او النفس) في الحياة الآخرة بعد الموته يوم البعث والحساب والجزاء يتوقف على وعيها الديني والعقلي (الفلسفي والعلمي) في الحياة الدنيا ، وان مصيرها يتعلق على اقتناعها بوجود الله واختيارها الايمان به ، وبدينه الحنيف ، والالتزام بما فيه وبالفضيلة الالهية او العكس .

وبين ما هو الاهي ديني منزل من عند الله الخالق وبأمره ، وبين ما هو عقلي (فلسفي وعلمي) انساني صادر من عقل الانسان يجب ان يختار كل انسان عاقل رشيد دائما ما هو الاهي ديني انزله الله وامر به .

اما ما هو عقلي ، فلسفي وعلمي ، صادر من عقل الانسان فينبغي ان يستخدم لتأكيد ما هو الاهي ديني وتدعيمه ، والتمهيد له في كثير من الحالات .

ان الانسان العاقل الرشيد يجب ان يختار الله الخالق الرحيم ، وما انزل من عنده وبأمره وان يرجو ويطلب خير ما عنده .

ـ ولماذا ؟

لان الحقيقة الالهية والدينية من عند الله الخالق تختلف عن الحقيقة العقلية (الفلسفية والعلمية) الصادرة من عند الانسان ، فعلم الله علم مطلق يقيني ، أما علم الانسان فعلم جزئي نسبي وتقريبي .

والعقل الانساني يتصور الحقيقة كما يظن ويتخيل ، أو كما يريد ، أو يستطيع تصورها وكذلك شأنه في وجود الله ، والايمان به ، وبخلود الروح ، والفضيلة ، وغيرها من القضايا .

اما الله سبحانه وتعالى فيتجلى للانسان تجليا صريحا امرا بعلمنا انه هو الله الذي لا اله الا هو ، خالق كل شيء في كثير من الآيات البينات في القرآن الكريم .

ولذا كانت الحقيقة من عند الله حقيقة ثابتة لباتا ابدا،لا تتغير ولا تتبدل فالله دائما هو اللهالواحد الخالق ، ودينه الحنيف هو دائما دينه الحنيف ، والفضيلة التي يأمر بها هي دائما نفس الفضيلة ، وخلود الروح (او النفس) كما بينه سبحانه وتعالى وشرطه بالبعث والحساب والجزاء هو نفسه دائما ايضا .

وتميل روح الانسان الى الايمان بالثابت الدائم الواضح الصريح ، والاعتقاد بالخالد المستمر الذي لا يلحقه التبديل والتغيير .

(21) الآيتان 64 ، 65 من سورة الاحزاب

ومن البديهي والطبيعي أن يندعم الايمان الحق بالله على الحقيقة الالهية الازلية الرمدية وعلى الحقائق الدينية الثابتة المستقرة التي لا يمكن ان يلحقها شك او ريب ، او ينال منها اى باطل او تحريف اى منال .

اما العقل الانساني وان بذل ما يستطيع بذله من جهود توخيه الدائم المستمر المثابر لتشدان الحقيقة الصرفة المجردة ، وتصورها التصور القيم المثالي ، الفاني ، ومعرفتها ، وصياغتها الصياغة المطلوبة او المقبولة فانه معرض للخطأ ، لانه عقل مخلوق ، ينسى ، ويغفل ، وقد يصاب بكثير او قليل من اسباب التعب والوهن والضعف والمرض او اى مؤثر آخر من المؤثرات او المكيفات .

ويعني هذا ان الحقيقة التي يتوصل الى ادراكها تكون في بعض الحالات والاحيان او اغلبها حقيقة مكيفة خاضعة لاثير ما من المؤثرات البيئوية (المجتمعية) او الشخصية او غيرها .

والتجارب الحياتية والتاريخية توضح لنا هذا وتؤكده .

وعليه ، فما دام الامر هكذا فان الواجب يقضي ان يعتمد الانسان الواعي على الحقيقة التي انزلها الله الخالق ، ويؤمن بها ، ويلتزم بأوامرها ووصاياها ، ويتجنب نواياها لانها صادرة من الله الخالق ، ذي الكمال المطلق في كل شيء وعلمه هو العلم المطلق ، وعقله الالهي هو العقل المطلق الذي لا يمكن ، ولن يمكن ان يصيبه اى سبب من اسباب التعب او الوهن او الضعف او المرض او اى مؤثر آخر من المؤثرات والمكيفات التي تصيب العقل الانساني .

كما يجب ان نؤمن برسل الله وانبيائه ، ونثق فيهم ، لانه سبحانه اختارهم واصطفاهم .

وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان دين الله الحنيف ، الاسلام ، هو الدين الحق الابدي الدائم ، وان الفلسفة لها اغراض ، وحدود ، وتكيف تكيفات خاصة (مجتمعية او شخصية) لانها فلسفة صادرة من العقل الانساني المخلوق الذي يصاب باسباب التعب والوهن والضعف والمرض وغيرها .

ومن حق كل انسان كائنا من كان ، ان يتفلسف لان هذا حق وهبه الله الخالق ، ومنحته اياه حرية الفكر .

وان الله الخالق هو الذي يحيي ويميت ، وهو الذي يبعث من في القبور ، وهو قادر على ان يسوي بنان كل انسان .

اما اى فيلسوف ، كائنا من كان ، فانه لا يستطيع لنفسه نفعا ولا ضرا ، وان ما يتوصل اليه من نتائج اثناء بحثه عن الحقيقة لا يعدو ان يعد مجرد اراء شخصية ، او وجهة نظر خاصة في قضية ، او قضايا ، معينة ، تتغير وتتبدل بمرور الزمان ، وتؤثر عليها عوامل التطور .

وينبغي ان تؤخذ هذه الملاحظات بعين الاعتبار اثناء قراءة كل راي من اراء الفلاسفة او غيرهم من العلماء .

وهذه الملاحظات لا تبخس قيمة العقل الانساني ابدا ، ولكنها تضعه في مكانه اللائق به كعقل انساني مخلوق

ولهذا يجب على العقل الانساني الواعي ان يخدم الحقيقة في اطار الايمان بالله وبدينه الحنيف وبالفضيلة الدينية .

ويؤكد لنا هذا ان الفلسفة الحقة لنا نحن المسلمين ولسائر العالمين هي الفلسفة القرآنية لانها تجليات وتنزيلات ربانية من الله الخالق الرحيم .

فعلى هذا يكون القرآن الكريم ، كتاب الله المنزل على سيدنا محمد (ص) ، هو المرجع الروحي الاصلي والاعلى للمسلمين وسائر العالمين ، فيه الحقيقة الروحية الصادقة التي لا يمكن ان يلحقها التبديل او التغيير .

---

(21) فكر الله الخالق اسمى حيز في الوجود اللانهائي اللامحدود ولعل الفيلسوف ابن سينا قصد هذا المعنى في مطلع قصيدته العينية المشهورة في الروح والنفس ،

هبطت اليك من المحل الارفع ... ورقاء ذات تعزز وتمنع

والورقاء : الروح (او النفس) .

فخلود الروح (او النفس) في الاسلام يبدأ بالوجود التقديري في فكر الله الخالق والمسطور في اللوح المحفوظ ، وبالوجود الحسي في الحياة الدنيا ، وتتعلق بالبعث والحساب والجزاء بعد الموت .

وعلى العقل الانساني المسلم الواعي ان يبحث الروح (او النفس) وخلودها ، وما يتعلق بها من قضايا فلسفيا وعلميا ونفسيا واخلاقيا في هذا الاطار الروحي (المذهبي ان شئنا) الذي قرره الله الخالق وأمر به في دينه الحنيف الاسلام .

ونحن اليوم في امس الحاجة الى كتب حديثة تتناول موضوع الروح (او النفس) في الاطار المذهبي الروحي الذي أمر به الله الخالق في دينه الحنيف .

وهذه مهمة لا يمكن ان يضطلع باعبائها الجسيمة الا علماؤنا الافاضل الاجلاء .

ولقد وجد دين الله الحنيف الاسلام في الامام ابي حامد محمد الغزالي العلامة الفيلسوف الصوفي خير مدافع عنه في القرن الخامس الهجري (القرن الحادي عشر الميلادي) ، أفلا يجد من ينصره في القرن العشرين ويدعو اليه ؟ .

ان التفكير الفلسفي يجب ان يكون سلاحا يستخدمه ائمة الدين في تدعيم دفاعهم عن دين الله الحنيف الاسلام ، وكذلك الشأن بالنسبة للعلوم النفسية والاجتماعية وغيرها .

ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالجدل ، ودفع الحجة بالحجة فقال في القرآن الكريم : « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي أحسن » (22) .

والآداب التي أوصى الله المسلمين بتباعها في الجدل مع اهل الكتاب ينبغي اتباعها ايضا مع غيرهم .

والجدل يتطلب الفلسفة ومعرفة مذاهبها ومدارسها ومناهجها ، وهو الفلسفة ذاتها بما يصدر عنه من دلائل ، وبراهين ، ونتائج او يمهد لها .

ولهذا يجب علينا ان نجادل دائما بالتي هي أحسن كما امرنا الله ، وان نلتزم بهذا الامر وان كان الحق معنا وفي جانبنا .

واذا تأملنا تاريخ حياة الانسانية الروحي منذ وجودها على كوكبنا الارضي نجده دائما ينقسم الى قسمين :

— الاول : يضم فريق المؤمنين بالله ، وبدينه الحنيف ، والملتزمين بالفضيلة الدينية او الفضيلة المثالية (العقلية والفلسفية) القريبة منها ، وهم اصحاب اليمين .

— والثاني : يضم فريق المشركين الكافرين بالله ، وبدينه الحنيف ، ولا يلتزمون بالفضيلة وهم اصحاب الشمال .

وتاريخ حياة الانسانية الروحي في هذه الحياة الدنيا يعيد نفسه في الحياة الآخرة بعد الموت .

ومهما كانت الظواهر فان الله الخالق الرحيم وحده العليم بالسرائر ، والمطلع على خفايا ومكنونات الصدور والقلوب .

فرب من ظن انه كافر ضال قد يكون مؤمنا بارا حنيفا .

ورب من يتظاهر بالايمان قد يكون بالعكس كافرا ضالا .

ومنذ بداية الوجود الانساني تعايش الايمان بالله وبدينه الحنيف وبفضيلته مع الكفر والشرك به ومع الرذيلة بجميع انواعها .

وتواجدت منذ ذلك التاريخ القديم ايضا مع الرشد الانساني الوضاء ، الجاهلية الانسانية الرعناء .

وسيستمر هذا التوازي بين التعايش بين الايمان بالله ، وبدينه الحنيف ، وبفضله وبين الكفر به ، وهذا التواجد بين الرشد الانساني وبين الجاهلية الانسانية الى ما شاء الله .

والتاريخ في جميع العصور يؤكد لنا هذه الحقيقة الانسانية الروحية وما تعانيه ابناء الانسان من جراء هذا التناقض الخطير فيها .

ونعرف اليوم جيدا الحياة الروحية في عصرنا هذا الحديث المتقدم جيدا في النصف الثاني من القرن العشرين ، وما تعانيه من ازمات حادة بسبب الطغيان الجارف للافكار والمظاهر والدعوات المادية التي يدفعها دفعا عارما في تياراتها .

ولهذا يجب ان نجادل بالتي هي أحسن لندعم تعاليم دين الله الحنيف الاسلام ولنثبت اركان الحياة الروحية الاسلامية كما قررها الله الخالق في القرآن الكريم .

والعلم الحق لله وحده .

---

(22) الآية 46 من سورة العنكبوت .

نقرأ في العدد القادم

- الرد القرآني على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ـ 9 ـ للاستاذ عبد الله كنون .
- الاسلام والنصر للواء الركن محمود شيت خطاب .
- الامير أبو عبد الله العالم وندواته الادبية (2) للاستاذ محمد افراب .
- عرض لكتاب التاريخ والسير للاستاذ المهدي البرجالي .
- نقد التحليل الماركسي للفلسفة الاسلامية للاستاذ محمد العربي الناصر .
- تاريخ شالة الاسلامية للدكتور عثمان عثمان اسماعيل .
- مصعب بن عمير : فاتح المدينة بالقرآن وحامل لواء الرسول يوم احد للاستاذ انور الجندي .
- الروح وصفاؤها للاستاذ محمد حمادي العزيز .
- ملامح شخصية : الحاج علي عواد للاستاذ محمد بن الطيب العلوي
- التفتح الاموي واثراء الفكر العربي بالاندلس للاستاذ الحاج احمد البوعباشي .

دراسات مغربية

- جهاد واتحاد
- عن الظاهرة الجزائرية
- نماذج من أدب الصحراء
- دفاعا عن الإسلام والمغرب والمنصور

جهاد واتحاد

الاستاذ محمد بن تاويت

من نعم الله على هذا الشعب انه يغضب في كتلة واحدة اذا ما حز به الامر وأحدق به الخطر ، فيهب هبة الزوبعة المعصرة ، ويقوم قومة الرجل الواحد ، ويمتثل القولة الحكيمة «عند الشدائد تذهب الاحقاد» .

عرفنا هذا وقد تعرضت البلاد لاكتساح البرتغال في العهد الوطاسي ، وعرفنا هذا في العهد السعدي وهؤلاء البرتغال ، يتقدمون بملكهم لخوض المعركة بوادي المخازن، ثم عرفناه في اواخر ذلك العهد حينما امتدت يد الاسبان الى بعض ثغورنا ثم واجهناه في فجر العهد العلوي المجيد .

حقيقة ان الدولة ، لم تكن شرارتها الاولى ، الا منبعثة من «التحدي» ولكن سرعان ما استقر الامر لها، حتى كان هذا الشعب ينضوي بكليته تحت لواء المولى الرشيد ، الذي لم يلبث ان ادرك الرسالة الحقيقية ، التي ينتظرها منه هذا الشعب المتلهف لاسترجاع ماضيه ، كاملة غير منقوصة، والتي لم تزده الايام الا تأجيجا لشعلته وتاريثا لناره .

فما كان من المولى الرشيد الا ان بدأ يفكر ويعمل بكل جهد وقوة ، للاضطلاع بهذه المهمة التي يشرئب لها الوطن ورجاله قاطبة. هذا الاستعداد لخوض المعركة الحاسمة ، هو الذي جعله لا يأذن للسفير الانجليزي للاتيان لتهنئته بعاصمة ملكه ، عن طريق البر ، حتى لا يطلع على هذا الاستعداد الذي كان سينال بقسط منه ، هؤلاء الانجليز الذين منحهم الغاصبون طنجة ، منذ بضع عشرة سنة خلت .

ولي المولى الرشيد نداء ربه ، وتلقى الراية منه اسماعيل باليمين ، فجهد في قوة وعزم ، لتعميم الرسالة المنوطة به ، وكاد سعيه ذلك يكلل باليوم الذي يكمل فيه تخليص اطراف البلاد من النير النصراني ، اسبانيه وبرتغاليه .

وطال الصمود وتحققت جل الجهود ، ولكن اسماعيل العظيم انتقل الى جوار ربه ، وبعض الاطراف ما زالت بيد الاسبان والبرتغال، وتوزعت كلمة الامة بعده ، بعامل الفتن الداخلية لا الخارجية، وتحارب الاخوة ، وانهمك رجالهم في القتال ، الذي لم يجرؤ به أولئك الجاثمون على الامتداد او الاستحواذ على شبر من الارض يضيفونه الى الرقعة التي بايديهم .

وما خمدت جذوة النزاعات والمداهمات لاولئك الاخوة ، وتربع على دست الملك المولى محمد بن عبد الله ، حتى اتجه لاتمام تلك الرسالة ، رسالة التحرير الشامل ، فاستخلص «مازكان» من يد البرتغال ، وسماها الجديدة ، وتوجه بجيوشه الى مليلية لاستخلاصها من الاسبان ، واشتد الحصار عليها ، الحصار الذي كان سيشتد — لا محالة — على سبتة بعد خلاص مليلية ، وعودتها الى حظيرة الوطن .

غير ان الدبلوماسية ، وقفت حجر عثرة في هذا السبيل ، فاحترمها المولى محمد ، مراعاة لبنودها التي امضاها سفيره الغزال، ففك الحصار على مضض، وبقيت الامة تنتظر فرصة اخرى ، صامدة عازمة على فك قيود ثغورها وسواحلها ، مهما كان الامر عسيرا.

وتولى المولى اليزيد ، فاستجاب لصرخة الشعب الذي التف حوله ، وتوجه به الى استخلاص سبتة ، التي كانت ستستجمع له كذلك ، لولا التحول الذي حدث ، وأودى بحياته ، فتغير المجرى ، وسكت الصوت الى حين .

نعم ، سكت الصوت ، ولكن العزم لم يفتر ، ولكن القصد لم يحل، فجاء احتلال الجزائر من الفرنسيين ولم يطل الامر بهم حتى كان المولى عبد الرحمن ، يوجه بجيوشه الجرارة ، وأعتدته الوافرة ، تحت قيادة فلذة كبده الامير محمد ، لنجدة عبد القادر الجزائري الثائر كما يسميه ابنه ، في كتابه تحفة الزائر . فاشتبك الجيشان مع الفرنسيين ، وشاءت الاقدار ، ان ينهزم جيشنا ويفقد عتاده في المعركة ، التي لم يسقط منها الا غيره ...

وعاد الامير محمد يقفوله، ومرض ابوه مرض موته، والمغرب يتعرض لامتحان آخر اقسى من سابقه .

ذلكم ان هذا الامير، ما تربع على كرسي السلطنة التي توفي صاحبها حتى كان يواجه حربا أخرى ضد الاسبان المهاجمين . هؤلاء الذين لم يرد عمه المولى سليمان ، ان يعترف لاخي نابليون ملكا عليهم، مقابل تسليمه سبتة ومليلية وغيرهما اليه ، فاجتمعت الجيوش ، من جديد ، وما فت في عضدها الكسرة التي اصيبوا بها منذ سنة واحدة فقط ، وتحمس لشعب وشمر عن ساعده ولكن القدرة خانته ، فتغلب لخصم ، وأذعنت الدولة للصلح ، على تعويض مالي تؤديه بارهاق عظيم .

ومع هاتين الغلبتين، اللتين منيت بهما جيوش المولى محمد ، أميرا ثم ملكا، فانه لم يستسلم للواقع، وصار يتهيأ للمستقبل الذي لم يحجبه اليأس ، فكان بعد جيشه اعدادا حديثا ، وينسقه تنسيقا يستجيب للعصر ، كما كان يعد للمملكة بعده اميرا كان ساعده الايمن ، المولى الحسن الاول ، فسار هذا الامير، منذ تربعه على العرش ، سيرة ابيه، في عمل دائب وسعي حثيث لادراك الغرض الذي استهدفه اجداده وآباؤه الكرام .

فعمل على تقوية الكيان السلطاني بكل عزم وسخاء، فالجيش يعد باحدث الاعتدة ، والبعوث توجه الى الخارج للتزود بالعلوم الحديثة المختلفة ، ودور السلاح تبنى في الداخل لتسعف البلاد بما هي في حاجة اليه، وجنبات من الجنوب تسترد من غاصبيها في رقي وسخاء كذلك .

ثم البعوث الدبلوماسية ، توجه الى جميع الدول الاوربية، لشرح وجهات النظر فيها ، للملوك والرؤساء الذين تلقوا الهدايا معها تلقوا من مختلف القضايا ، فتحرك بعضهم وقبع آخرون ، لا يعنيهم الا جامات المصالح يكرعونها ، ولا يهمهم الا كؤوس الاطماع يحتسونها، وعقدت المؤتمرات الدولية ، وقال الملك في نهايتها قوله القرآنية «انما اشكو بثي وحزني الى الله» .

واستمر الملك المجاهد ، في جهاده الاصغر والاكبر حتى لبى نداء ربه ، بعدما عن عاصمة ملكه ، محتسبا لله وكفى بالله شهيدا .

وامتحن الشعب امتحانه العسير ، وكانت نقرات التاريخ ، تتحول الى اصداء صاخبة مصمة للآذان ، مزلزلة للافئدة ، حتى كانت الواقعة ، التي ـ بحمد الله ـ لم يفقد المغرب رشده فيها ، ولم يقع تحت وطأة الاستسلام ، كما وقع غيره بها ، بل تشبث بسيادته ، التي فرضت عليها الحماية مبدئيا ، وان اتسع نطاقها نهائيا ، فكان هذا النطاق ، غلا لها لعطت به نفسها الاخير ، وسيقت به الى الخارج .

ان الموقف البطولي الذي وقفه هذا الشعب، ازاء كرامته ، ليجعل الانسان يطأطيء رأسه له اجلالا واحتراما وتبجيلا .

لقد رأيناه يقف مع اصحاب الامر ومع من ينازعهم هذا الامر على السواء ، ولكن ذلك يحقق دائما وفي حقب التاريخ المغربي ، وفي جل الدول القائمة به او الطارئة عليه، من اسرة الاسلام، ادارسة ، وفاطميين، وامويين ومن خلفهم من دول الطوائف ، ثم الموحدين والمرينيين والسعديين واخيرا العلويين ، كل هؤلاء خاض الشعب المغربي ، في غمار احداثها ، وحفل مسيته بالمنازعات التي تجمت فيها .

ولكنه ما جال بسيفه ، وذب به عن من استنجد بجيوش العدو النصراني . فمحمد المتوكل السعدي ، وهو الملك الذي افضت اليه المملكة بارث من أبيه ، وقف الى جانبه المغاربة ، كما وقف الى جانب عمه عبد الملك مغاربة كذلك ، وهو ينازع ابن اخيه السلطان .

غير ان المتوكل ، ما سولت له نفسه الاستنجاد بالملك النصراني ، صون سبستيان البرتغالي ، وجاء معه بجر قوى النصرانية الكاسحة ، حتى انقض عنه المغاربة ، والتحازوا الى عمه بالاجماع ، ولم يجد الى جانبه الا ذلك الفقيه المتورط معه . فوقعت معركة المخازن بين النصرانية والاسلام ، قتل فيها النصارى

في جانب المتوكل ، ولم يقتل فيها من المغاربة الا المتوكل نفسه وفقيهه ، ولا احد غيرهما عرف صريعا في هذا الفيل المستصرخ ، وأصبح عبد الملك الذي نازع السلطان الشرعي ، يطل الموقف والى جانبه أخوه المنصور ، الذي خلفه فيه .

وجاء دور ابن المنصور المامون ، الذي كان ولي عهد ابيه في حياته ، ثم صار بعد موته ، أحد الاخوة الثلاثة الذين توزع الملك بينهم . ونشبت الحروب الطاحنة ، بين هؤلاء ، وانضم اليهم ابن المامون عبد الله ، فكان المغرب مسرحا لمعارك شتى دارت رحاها بين فاس ومراكش ، ولم تقف هذه الرحى ، الا حينما التجا المامون الى الاسبان ، وملكهم فليبي اتصالات ، فأمده بعشرات الالوف من النصارى والمصريين واحتل بهم بعض ثغور الغرب ، ولكن المغاربة لبذوه ، فتوقفت رحى تلك المعارك توقفا ما. وقتل المستصرخ وطرح في العراء مكشوف العورة، ولم يحد بجانبه احدا ، فوارته الغطرانيون التراب ، الذي استنكفه ، كما استنكفه المشركون في غزوة بدر ، حيث امر النبي بموارتهم في القليب

وبهذا كفى الله المؤمنين قتالهم فيما بينهم ، وخفتت صوت ذلك الامير الشديد الشكيمة والعنيد المراس عبد الله بن الصريح ولم يبق حوله الا عرب شراكة المتعسابيين .

وكان الامير سيستقر في نصابه ، لولا نجوم بعض الطامعين في الملك وبعض المرابطين ، الذين تحاربوا فيما بينهم ، كما حاربوا الملك الشرعي زيدان ومن اتى بعده ، فكانت المواقع تتلوها الاخرى ، لا تفتر يخوضها المغاربة عن الاطراف المتناحرة جميعها .

نعم ، ان المامون الموحدي ، فيما مضى ، اتى بجيش اسباني مسيحي ، ليغلب به عم ابن اخيه يحيى بن الناصر الذي بايعه الموحدون بعد أن بايعوا المامون وخلعوا بيعة اخيه العادل ، ثم تخوفوا المامون فبايعوا يحيى .

غير ان المامون هذا اتى بجيش اسباني مسيحي لا مساس له بكرامة الدولة ، فكان هذا ، كما ياتي بأعتدة اجنبية وأسلحة يزود بها جيشه ، فلم تكن لهؤلاء سيادة يبتزونها منه ، ولا كانت لهم شروط يملونها على المامون، يقتضون بموجبها احتلال بلاد لاقسيم فتصبح تابعة لاسبانيا ، كما فعل سميه المامون السعدي الذي مكنهم من ثغر العرائش فاصبح محتلا بجيش اسباني ، مقتطعا من الرقعة المغربية خارجا عن نطاق السيادة للبلاد ، ولهذا لم يقف الامر عند هذا الحد ، بل رأينا سنة بعد سنة ، خطر هذا الاحتلال يمتد حتى المعمورة ، أو المهدية التي اصبحت تهدد باقي الثغور المغربية .

فاتخاذ المامون الموحدي للجيش الاسباني ، كان لا يختلف كثيرا عن اتخاذ المرابطين لذلك الجيش فيما قبله ، فلم يجد رجل المغرب في ذلك غضاضة ولا رأوه محلا بالدين وتعاليمه ، بخلاف ما اقدم عليه المامون السعدي الذي جوبه بقضية عارمة من الشعب الابى ، فتعرض به رجال المداهنة والنفاق الذين أفتوا بحله ، ثم واقروا المحتلين بحجر بادس ، للفتك بهم ، وقد عاجوا من تهنية المامون وتشكر الطاغية بالحجر المذكور ، فلم ينج منهم الا القاضي ابن ابي النعيم ، الذي احترمه القوم ، لما بدا به من زي القضاء، وليتهم ما فعلوا جزاء المداهنة والنفاق.

فشتان بين هؤلاء العلامين الذين أفتوا للمامون السعدي، لما استفتاهم (هل يجوز له ان يفدي اولاده (الذين خلفهم رهينة في اسبانيا) من ايدي الكفار بهذا الثغر (العرائش) ام لا ؟ بقولهم :

ان فداء المسلمين سيما اولاد امير المومنين، سيما اولاد سيد المرسلين ، صلى الله عليه وسلم ، من يد العدو الكافر ، باعطاء بلد من بلاد الاسلام له ، جائز !؟

وبين اولئك العلماء الخلص ، الذين استفتاهم ابن عمه المتوكل، لما استصرخ بملك البرتغال، فاجابوه :

فيا لله ويا لرسوله لهذه المصيبة التي استحدثتها وعلى المسلمين فعلتها ، ولكن الله تعالى لك ولهم بالمرصاد ، ثم لم تمالك أن القيت بنفسك اليهم ورضيت بجوارهم وحولاتهم ، كأنك ما طرق سمعك قول الله سبحانه «يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم» ان امير المومنين يوسف بن تاشفين اللمتوني، رحمه الله، استفتى علماء زمانه ، رضي الله عنهم ، وهم ما هم ، في استنصار ابن عباد الاندلسي بالكتابة الى الافرنج ، على ان يعينوه على المسلمين فاجابه جلهم رضي الله عنهم ، بردنه

وكفره ، فتأمل هذا مع قضيتك تجدها احروية ، مناسبة لقضية ابن عباد في عقدها ابتداء..)

وكان المتوكل ، كابن عمه هذا ، قد اتفق مع البرتغال، على تمكينهم من دخول ثغر اصيلا، واعطائهم بلاد الاسلام ، كما يقتضيه ما اشترطه سبسطيان من سائر السواحل المغربية ، ومنها ما كان السعديون قد استنقذوه من البرتغال في الجنوب والشمال .

فما فعله المامون السعدي مع فيليبي الثالث ملك اسبانيا والبرتغال ، مثيل ما فعله ابن عمه المتوكل مع صون سبسطيان ملك البرتغال ، وكان الموقف الشعبي واحدا ، فتعرض لقضيتهم المفتون بحثية الاستنصار بالاعداء ، فقتل بعضهم بالقرويين فيما بعد ومن قبل جرد الآخرين وسلبوا حتى ثيابهم ، وهم عائدون من حجر بادس ، كما سلف .

أما موقفهم من المتوكل ، فزيادة على موقف علمائهم ، قد توج بوقعة وادي المخازن الخالدة، التي فقد بها البرتغال ملكهم وتاج ملكهم ، بل فقدوا بلادهم التي استحوذ عليها فيليبي الثاني ، وورثها منه ابنه فيليبي الثالث .

اذن فالقضية في جوهرها ليست استخدام جيش مسيحي ضمن الجيش الذي تهيمن عليه سيادة البلاد، وانما هي في تمكين الاجنبي من بقعة وطنية ، تنفصم بذلك عن باقي التراب المقدس عند المغاربة اجمعين ، والا فالسعديون استمروا في استخدام مختلف الاجناس النصرانية بمدفعياتها وأساطيلها فلم يعترض عليهم بل ان اولئك المرابطين الذين حاربوا رجالهم كانوا يستمدون بعض العون من تلك الاجناس مثل المرابط العياشي والنقسيس والدلائي .

وانطلاقا من هذه النقطة ندرك سر الانتفاضات العارمة التي كانت محطات لقافلة السير التاريخي ، في هذا البلد الابي ، منذ عرف نفسه ، وعرفه الناس، حق المعرفة فاكبروه ومجدوه .

لقد كانت حادثة اصيلا ثم العرائش كما تقدم ذات أصداء اهتزت لها أركان البلاد من اقصاها وادناها في الدولة السعدية .

وجاءت دولتنا العلوية وحصل فيها من النزاع ما حصل في غيرها ، ووجدت الملوك والامراء ، الى جانبها الرجال والاموال والسلاح ، ولكن المغرب ، ما تدخل في شأنه العدو الاجنبي ، فابعد ملكه وأجلس دمية من بيت الملك ، حتى هب المغاربة الاحرار ، وحتى ضربوا بقوة الامثال في البطولة والفداء والتضحية ، مما جعل قوى العدو الغشوم العنود ، تقذف باشلائها فلا تفيدها شيئا في الداخل ، ثم تقذف بها خارجا مدحورة مغلوبة ، تجر معها ذيول الخيبة والهزيمة والعار الى الابد .

وبذلك ردت السيادة الى اصحابها ، في شموخ واباء منهم،ومن شعبهم المناضل المناهض ، المنتفض لكرامته والمقتنص لعداته ، ثم جاءت قضية صحرائه المغصوبة ، فكان غضوبا لهضمه حقه فيها، واقفا الى جانب ملكه ، المؤيد بالله ، موقف المجاهد المضحي بكل نفيس وغال قائما في قضيته قومة الرجل الواحد ـ كما قلنا ـ لا فرق في ذلك بين مختلف احزابه، ومفترق نزعات غيرها، من المحايدين فصاروا جميعا ، بعدما كانوا طوائف شتى ، لا فرق بين المتعلم والجاهل والحضري والبدوي ، وكان شلال المسيرة الخضراء يولد طاقة واحدة من هؤلاء الامشاج هي طاقة الشعب المغربي ـ والشعب المغربي معتز بملكه ـ لا فرق فيما بينه ، فكانت المسيرة الصبحة الكبرى للمغرب الاكبر .

وبها تراجعت زحوف الاستعمار المسيحي ، وانجزر ماءها ، وأخيرا غاص خصمها في سحنة العزم فتطهرت الصحراء من احياء النصرانية وأمواتها ، واذا بالوطن ، قد اكتملت في جنوبه ، سيادته باسترجاع أراضيه ، وتحققت معجزة القرن العشرين بيد المغاربة الميامين وملكهم العظيم ولم يبق الا ما ينقصه في شماله ، وهو في همته ما لانت قناته وما فتر عزمه، منذ الامد البعيد ، وسيظل بتلك الصرامة وذلك العزم الى ان يحقق مبتغاه ويضم الى اقاليم الشمال ما اهتضم منها ، في غابر الزمان ، فلن يهدأ بال هذا الشعب الا بالسيادة الكاملة الشاملة للبلاد بكل اصقاعها والعزة الممتدة على جميع ارجائها ..

وما موقفنا اليوم من قضيتنا ولو طال بنا الامد الا موقف الغاصبين فيما مضى من قضيتهم «الاسترجاع» فانتهت الى غايتها بعد ثمان مائة سنة اتسمت بالصراع العنيف والنزال المرير، لا هوادة لها كانت في تلك ، كما لن تكون لنا هوادة في هذه . ولله العزة ولرسوله وللمومنين .

محمد بن تاويت

عن الظاهرة الجزائرية

للأستاذ المهدي البرجالي

لعله لم يكن هناك من يتصور قبل خريف سنة 1963 ، ان الجزائر هذا البلد الذي كان لم يمض عليه الا سنة وبضعة اشهر ، حينما احرز على استقلاله ، سيشتبك في مواجهة مسلحة قريبة ـ وان كانت قصيرة الامد ـ مع اشقائه وجيرانه المغاربة ، الذين كانت دماء شهدائهم من اجل القضية الجزائرية بالذات ، لا تزال لم تجف بعد ، وكانت معالم التدمير الواقع في اقاليمهم الشرقية ، نتيجة غارات القوات الاستعمارية على تلك الاقاليم ، تحت ذريعة حق المتابعة ، ما زالت ماثلة للعيان ، كما لم تكن قد طويت حينئذ ، صفحات المعاناة الطويلة التي تحملها المغرب في مجموعه ، سواء على الصعيد العسكري او الديبلوماسي او الاداري ، او السكولوجي ، في نطاق مساندته ـ لقضية اولئك الاخوة ، الذين وجد نفسه مشتبكا معهم .

كانت مواجهة 1963 ـ بحق ـ مفاجأة لجميع اولئك الذين لم يكونوا مستعدين لتوقع تقلب درامي مثير وسريع في العلاقة بين اخوة القرابة و لجوار ، ورفقاء السلاح ، مثل ذلك التقلب الذي جعل الجزائريين يحولون فوهات بنادقهم مباشرة من ساحة المعركة مع الاستعمار ، الى ديار اشقائهم ، وجيرانهم ، مطلقين النار على نفس الديار التي كانت ماوى امينا لهم ساعة معركتهم مع الخصم الاستعماري، ومركز استعداد وتحرك وكر وفر وحرية مطلقة في العمل والتصرف .

على ان من كان من المراقبين الدوليين ، قد لاحظ قبل تلك المواجهة ، عنف السلوك الجزائري في مناطق الحدود الجنوبية الشرقية مع المغرب ، غداة اعلان استقلال الجزائر مباشرة ، وبما لم يندهش كثيرا من المواجهة التي حدثت سنة 1963 ، لان ذلك السلوك كان في حد ذاته اكثر من مفاجأة بالنسبة للمغرب نفسه ، الذي كان قد آثر اثناء حرب الجزائر من اجل التحرر ، اتفاقا مع حكومة الجمهورية الجزائرية المؤقتة يعترف فيه الاشقاء الجزائريون بعدا المشاكل الترابية التي احدثها الاستعمار في مناطق الحدود بين البلدين ، وحق المغرب في المطالبه بتصفية تلك المشاكل ، مع ارجاء البت في الامر ، الى ما بعد استقلال الجزائر .

ويبقى السؤال قائما لامد طويل : من كان المسؤول عن تلك التوترات المبكرة التي وقعت في فجر استقلال الجزائر على الحدود الجنوبية الشرقية للمغرب ؟ وعلى من تقع مسؤولية البادىء في المواجهة المسلحة ، التي شهدتها الحدود المغربية الجزائرية على طولها سنة 1963 ؟

غير ان السنوات التي تلت المواجهة ، قد قللت ـ بالتدريج ـ من اهمية الجواب على السؤال ، بعد ان دخلت العلاقات المغربية الجزائرية ـ طوال الستينات واوائل السبعينات ، في طور من الصدوء والسكينه ، جعل الكثير من المراقبين ينظرون

ساعتئذ الى الشمال الافريقي ، على انه واحة مسالمة واعتدال ، بالنسبة لما كانت تعرفه العلاقات العربية في المشرق من توترات ناجمة عن الخلافات بين دول المنطقة .

لكن ، ماذا كان هي خلفية ذلك الهدوء الذي خيمت مظاهره على جو العلاقات المغربية ـ الجزائرية؟

ان واقع العلاقة بين الاقطار المغربية في الوقت الحاضر ، كفيل بالاجابة ـ ضمنيا ـ عن هذا السؤال لارتباط الحاضر على صعيد المنطقة بالماضي القريب ، وتداخل العوامل وتشابكها فيما بين ـ فترة سابقة ، وفترة لاحقة :

فما هو واقع العلاقة الان بين المغرب وشقيقتيه تونس وموريطانيا ؟

بديهي ان هذه العلاقات تقوم مثالا نموذجيا لما يجب أن يربط بين الاخوة من صلات التفاهم والتواد والتآخي والصفاء ، وكذلك كان ـ قبل الان ـ حال العلاقات بين الاقطار المغربية الثلاث ، تفاهما وتوادا وتآخيا وصفاء .

أما الموقف الجزائري من المغرب في الوقت الراهن ، فقد تجاوز ـ كما يعرف الجميع ـ نطاق التوتر ، والمواجهة المحدودة مثلما وقع سنة 1963 ليتخذ الان صبغة عداء صاخب ومرير ، صلات اصدقاؤه ، الافاق الدولية ، وشغل لمدة طويلة ، المحافل الاممية والمنظمات الجهوية ، وكافة أوساط الراي العام العربي والاسلامي والافريقي .

وقد يظهر غريبا ان يتخذ التناقض بين المغرب والجزائر فجأة هذه الصورة الراديكالية بعد سنوات الهدوء الطويلة في علاقة البلدين ، وبعد ان تعددت في ظل ذلك الهدوء ، محاولات ايجاد اسس للتعاون والتناسق بينهما سواء في الاطار الثنائي ، او في اطار المغرب العربي ؟

الحقيقة ان الامر ، ولو انه يبدو غريبا من أول وهلة ، فانه قد يفقد هذه الغرابة في أعين المراقبين اذا ما تجاوزوا سطحية الهدوء الذي كان موجودا من قبل ، ونفذوا الى عمق الخلفيات التي كانت قائمة وراء ذلك الهدوء ، وفي هذه الحال ، سيجدون انه كان يكمن وراء ذلك الهدوء عاملان متناقضان ، الا انهما متفقان في كونهما كانا يساعدان على تجميد عوامل التوتر عند حد ، واطالة امد المسالمة القائمة عندئذ ، أطول فترة ممكنة .

العامل الاول ، عامل الرغبة التي ما برحت تراود المغرب في تجاوز دواعي الخلاف بين الاشقاء، وامتصاصه ، وذلك عن طريق مد جسور التفاهم بينهم ، والتماس صيغ للتعاون ، باعتبار أن ذلك مؤد الى تلويب التناقضات بين البلدين الشقيقين ، في غمرة المؤالفات والموافقات التي تكون نشأت لديهما في ظل ذلك التعاون ، وهذا ما كان يدعو المغرب الى الاغضاء ما امكنه عن كل ما يبدو له من عدم تلاؤم الجزائريين معه ، متشبثا بالحرص على رعاية مظهر الوفاق الظاهري القائم حينئذ بينه وبينهم وتعهد ذلك المظهر ، وتلميع نصاعته ما وسعه الامر .

العامل الثاني، وكان مضادا للاول، ويتمثل فيما سار عليه الجانب الجزائري من سلوك يتراوح بين التظاهر بالوفاق والتعاون ، وبين العمل على تجميد اية مبادرة تعاونية حقيقية ، واستهلاك الوقت وتمريره في ظل اقوال تطلق حول المغرب العربي ، مع استبعاد كل تناسق بين المجموعة المغربية ، سواء في مضمار العلاقات الاقتصادية بين وحداتها وفي نطاق علاقاتها الاقتصادية والتجارية مع مناطق العالم الاخرى .

ومهما كان الحال ، فقد ظل الهدوء مع ذلك مخيما على جو العلاقات المغربية الجزائرية طوال معظم نصف العقد الماضي ، واوائل العقد الحاضر ، وكان ذلك ـ في حد ذاته ـ مظهرا طيبا ، وان يكن بلا فاعلية ، في تطوير حالة المسالمة القائمة حينئذ ، الى حالة تقدم على طريق بناء المغرب العربي ، او بعث ارهاصات مبشرة بالشروع ـ على الاقل ـ في ذلك البناء .

+ × +

وشهدت سنة 1974 : دخول قضية النضال القومي المغربي من اجل تحرير الصحراء مرحلتها الحاسمة .

وقد كان طرفا الصراع الوحيدان في القضية ، هما ، المغرب وموريطانيا من جهة ، واسبانيا من جهة اخرى ، وكان أكيدا حتى في أحرج ساعات ذلك

الصراع ، ان القضية ستجد حلها الطبيعي بتراجع القوات الاستعمارية عندما يحدث ذلك في مثل هذه الاحوال عندما تشعر قوى الاحتلال ، بأنه لم يعد امامها سبيل سوى تسليم الامر لاهله والعودة من حيث اتت .

وذلك ما حصل بالفعل .

لكن ما حصل ايضا ، هو ظهور الجزائر في نفس الظرف كتيار مضاد ، يسير في اتجاه تاخير ساعة جلاء الاجنبي الدخيل ، والعمل على خلق اوضاع بالمنطقة ، يتعرقل بها تحرير الصحراء ، واستكمال المغرب لوحدة ترابه .

لقد كان الموقف ، موقف الجزائر هذا غريبا بحق ، لكن يتعين على المراقب ان يرجع الى الوراء ، الى تلك الفترة من الهدوء في العلاقات المغربية الجزائرية ليجد جذورا لذلك الموقف ، تتجلى في ان ذلك الهدوء — كما ذكر من قبل — لم يكن يعكس اية حالة مسالمة حقيقية ، وانه لم يكن الا عبارة عن فترة من الترقب والتربص التكتيكي ، ريثما تحين المناسبة للاشتباك مع المغرب في نزاع جديد ، اذا ما ظهر ان هذا المغرب ، سيخطو خطوه واحدة الى الامام في طريق استكمال وحدته .

لقد تعلل الحكم الجزائري بغير ما تعلة ، لتبرير الموقف الذي اتخذه من المغرب غداة دخول بلادنا في المرحلة الفاصلة من اجل تحرير الصحراء ، الا ان تلك التبريرات لم تستقر ابدا على قرار مقبول ، واستمرت تدور في دوامة من التناقضات لا حد لها ، الى ان اخذ يظهر ان الجزائر قد استغنت في النهاية عن تلك التبريرات ، لتتمسك اخيرا بموقفها ضد وحدة التراب المغربي ، دونما اعتماد على تبرير .

وكان من المقولات التي روجوا لها عند البداية في تفسير موقفهم ، كثير من الكلام اطلقوه حول دول « مهتمة » بالصحراء الى جانب الدول المعنية بالقضية ، وما درى احد في الحقيقة بوجود دول « مهتمة » بالمنطقة ، الا ما كان من الجزائر التي ارادت ان يكون لها هذا الاهتمام ، كما لم يدرك احد كذلك اسباب الاهتمام الجزائري بالموضوع ، ولا المنطق الذي تقوم عليه قاعدة اهتمام من هذا النوع.

ثم انتقلوا في مرحلة تالية الى الترويج لاسطورة التهديد الموجه للثورة الجزائرية دون ان يكتشف احد معنى هذا التهديد ؟ ولا كيف حصل ؟ وما وسائله وموغاته ؟ ومن غير أن يدرك لماذا لم يقع الشعور بهذا التهديد الا بعد رحيل قوات الاحتلال الاجنبي عن الصحراء ، لا قبل ذلك ؟

وفي مناقضة لمقولتهم هذه ، ذكروا عن المغرب انه ضعيف ، ولم يفهم الناس كيف يوفقون بين وصف بلد بالضعف ، والخشية منه كقوة مهددة .

ثم روجوا بعد ذلك أو اثناءه ، لاطروحة « شعوب المغرب العربي » طاردين في نفس الوقت عشرات الآلاف من ابناء الشعب المغربي من الجزائر .

واوردوا اقوالا كثيرة ، حول المؤامرات الاستعمارية عليهم ومحاربة الاستعمار ، وفي خلال ذلك ، كانت استراتيجيتهم في منطقة المغرب بالصحراء ، تنبني كلها على التواطؤ مع غلاة الاستعماريين بالمنطقة ، وتنسيق الخطط معهم ، والسعي الحثيث لتاجيل تصفية الاستعمار في عين المكان .

وبينما كانوا يرددون — في اطروحاتهم حول السياسة الدولية — القول عن ضرورة تطهير حوض البحر الابيض المتوسط من عوامل التوتر الدولي ، واستبعاد مظاهر النفوذ الاجنبي في المنطقة ، كانوا منهمكين — عن طريق مناوراتهم لقضية المغرب بالصحراء — في خلق بؤرة للتوتر الدولي في غربي البحر المتوسط ، تنعكس على مناطق ابعد مدى في الحوض المتوسط ، ويسهل بها انفتاح مجالات واسعة لتسرب التدخلات الاجنبية في المنطقة .

ولم يفتهم في حملاتهم هذه وقبلها ، ان يبوحوا بما يعتقدونه من انهم طليعة العالم الثالث ، والحال انهم لم ينسجموا لا مع العالم العربي ولا الاسلامي ولا الاسيوي ولا الافريقي في موقفه المؤيد للمغرب في قضية الصحراء ، ولا مع العالم الثالث ككل ، او عالم عدم الانحياز كما تجلى ذلك في مؤتمر «كولومبو» الاخير .

تناقضات شتى ، مما اوقع الحكم الجزائري فيه نفسه حول الصحراء ، دون أن يكون له في الامر طائل .

تناقضات لا داعي لاستهلاك الوقت فيها ، وهناك من القضايا المصيرية التي تشغل العالم العربي

والاسلامي والافريقي ، ومن حدة المتعطفات التاريخية التي تمر بها حياة الشعوب في كافة العالم الثالث ، مما يكفي لصرف الطاقات المتوفرة كلها ، وبذل الجهد المذخر جميعه ، اسرافا بوتيرة العمل على حل مثل هذه القضايا ، واجتياز مثل هذه المنعطفات :

قضية فلسطين المتارجحة بين الحل السلمي ، وحل الحرب .

مشكلة الاستعمار الاستيطاني ، والنظم العنصرية في القطاع الجنوبي من القاره الافريقية .

المعضلات الخاصة بالامن الدولي ، واشتداد حدة التناقض ـ في ازمة الشعوب المستضعفة ـ بين حاجتها لتكريس مواردها المحدودة لاغراض التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وبين الاضطراب الذي يقودها الى تخصيص جزء هام من هذه الموارد لاغراض الدفاع ، لنيجة لتصاعد مخاطر التسلح في العالم ، وازدياد الاتجاه لاستعمال القوة في حل المنازعات الدولية .

وعلى صعيد المغرب العربي :

البناء الاقتصادي والاجتماعي للشعوب المغربية

تنسيق السياسة التجارية الخارجية ، وما يتعلق بها ، لتامين قدرة المغرب العربي في مجابهة المنافسات الدولية على الصعيد التجاري ، واقامة جبهة متماسكة ومؤهلة لتحقيق مزيد من الرخاء والازدهار لشعوب المنطقة .

مواجهة انعكاسات التضخم العالمي ، واختلال الموازين الاقتصادية في العالم ـ على المنطقة ـ

فهلا وجد الذين يبذرون الوقت والجهد تبذيرا ماساويا فيما يعترونه قضية الصحراء ، داعيا ، لصرف الامكانيات التي يبذرون ، نحو العمل على مواجهة مقتضيات البناء والانماء ، متشافرين في الامر مع جيرانهم ومع كافة شعوب العالم الثالث التي يرتبط مستقبلها في الواقع بما تحققه من منجزات،لا بما يصطنع بينهما من خلافات ومنازعات ؟.

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من امنه الناس على دمائهم واموالهم .

حديث شريف

نماذج من أدب الصحراء وأدبائها

للأستاذ

شيخنا محمد في ماء العينين

قد يكون من الصعب ان لم يكن من المستحيل الاحاطة بكل جوانب موضوع ادب الصحراء وشعرائها في عرض موجز كهذا ، فرجال الادب ، والشعر بالصحراء المغربية كل واحد منهم يكفي لعدة محاضرات ، او امسيات شعرية للتعرف على اساليب شعره ، ونقاش مختلف اغراض انتاجه ، لكن قد يكون من باب التهاون ان يغفل الموضوع بسبب ما يعتور طريق الباحث عنه من صعوبة العثور على جله، فيبقى بذلك سرا مكتونا لا يعلم عنه أي شيء سوى تلك الجماعة القليلة التي ولد في محيطها ، وترعرع ، وها هو بدأ يتلاشى ، ويندثر بسبب فقد الكثير من رواته ، ومنشئيه ، وعدم نشر ما دون منه .

فحصيلة جهد المثقف بالجنوب يصعب العثور عليها حسب الحالة التي أعدت بها ، فذلك التراث الفكري جله لا زال مخطوطا ، وفي بعض الحالات لا يوجد حتى بالخط . اذ لم تخلف غارات المستعمر منه سوى بقايا اثر فيها تعدد أرواة ، وعدم تكافؤ معرفتهم ، فبطش الجيوش الغازية بمكتبات الجنوب ابان تسرب المد الاستعماري الى الوطن كاد ان يقطع كل تراث فكري ، قبل الثلاثينات من هذا القرن ، وخير شاهد على ذلك ما تعرضت له خزانة العمارة التي كانت من اعظم المكتبات الاسلامية ، فلم تترك منها افتراسات الاستعماريين اي شيء ، فما لم يحرق منها الفرنسيون ، حمله الاسبانيون ، ونفس الشيء تعرضت له اهم الخزانات ، والزوايا باقليمي سوس ، والصحراء ، لكون حملة القلم بهما هم الذين واجهوا الغزات بكل شجاعة ، وصمود ، ومن تلك الصعوبات ايضا انعدام وسائل النشر واحتكار المخطوطات ، وكون كل من حصل بوسيلة او بأخرى على شيء منها ، يبقى ضنينا به عن زملائه المثقفين ، وقد أثرت هذه العوائق في روح البحث من جهة ، ومن جهة أخرى نتج عن احتكار الموجود منه تأثير بالغ في عدم انسجام اسلوب الشعر حيث اننا نلاحظ ابناء فترة واحدة ولا تناسب بين اسلوب شعرهم كل ينتج تقليد الطبقة التي توفر على اشعارها او اقتنى بعضا من كتبها ولا يخفى ما يواجه ساكن البادية من صعوبة الحصول على الكتب سواء المخطوط منها او المطبوع ، بناء على ذلك نلاحظ ان شعراء تناولوا موضوعا واحدا يحسون فيه بنفس المؤثرات وتربطهم به نفس العلاقة ،لكن نسج بعضهم على منوال شعراء الجاهلية ، وآخر تأثر بشعراء المدرسة العباسية ، وثالث نحى صوب المدرسة الاندلسية مثل ابن العشيق ، ومحمد بن آيوة اليوسفي رفيقا في الشعر ـ والدراسة ، وفي شعرهما دائما اتحاد الاغراض ، غير ان ابن العشيق تأثر بشعر العهد العباسي ، اما محمد بن آيوة فانه يمثل نسخة طبق الاصل من شعر طرفة العبدي او غيلان ذي الرمة وسنلاحظ ذلك عند سردنا لنماذج من شعرهما كغيرهما من الشعراء . تلك بعض العقبات التي تواجه الباحث في شأن ابراز كل الجوانب الفكرية لرجالات الجنوب المغربي ، وان كانت تلك الملاحظات لا تمس جوهر الموضوع ، فمثقفو تلك الناحية واكبوا مراحل التطور في الوطن ، مطبوعين في كل مرحلة بميزة التفكير الصحراوي الاصيل ، وما نتج عنه من متانة الاسلوب ، وتحكم المؤثرات العاطفية ، وان

كان في بعض الاحيان يستمد من قساوة الطبيعة حتى من غربة اللفظ .

ومن الملاحظات الهامشية ايضا هي : ان التعلم الى عهد قريب يكاد يكون وراثيا يحصر على عائلات او زوايا معروفة به دون غيرها ولعل هذا يبرر عدم استهداء بمجموعة من مختلف الانتماءات في اقليم الصحراء ، ثم ان مجال الادب رغم وفرة الانتاج لم يحظ بعناية كافية خصوصا التأليف ، وبالميل الفطري الى الشعر فانه شكل اهم تراث فكري هناك فانشاؤه او حفظه امر يكاد لا تخلو منه اي اسرة ، ومن لم يتمكن من انشائه او حفظه عوضه بالشعر الحساني الذي تناول هو بدوره جميع اغراض الشعر العربي ، ولم يكن الادب والشعر خاصة منه هو كل التخصص بالاقليم ، فهنالك نخبة هامة اتجهت شطر البحث العلمي المتنوع فبرع في حفظ النصوص واعداد مجلدات لشرحها وتحليلها ، والتعليق عليها يذكر من بينهم :

— سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي الذي الف في جل العلوم الاسلامية ثم الشيخ محمد المامي وكذلك الشيخ ماء العينين الذي الف ما يربو على 360 كتابا في مختلف العلوم ، ومحمد بن محمد سالم ، وسيدي بوبكر ، والليلي ، وغيرهم كثيرون ، لكن جل ذلك الانتاج بقي مخطوطا واذا لم يبادر المتوفرون عليه الى طبعه او تمكين الجهات المختصة منه فسيتحملون جريمة اندثاره امام الاجيال القادمة، اما كتب الادب فكان نصيبها من جهدهم قليلا . اذا ما قيس بغيره من العلوم الاسلامية الاخرى كالفقه ، والتاريخ ، والنحو ، والحديث ، والسيرة ، والفلك، اذ لم يعرف لحد الآن كتاب اهتم بالموضوع بعد الوسيط للعلوي ، وسوس العالمة للعلامة المختار السوسي ، والنفحة الاحمدية ، وان وجد بعدهما تأليف اهتم بالموضوع فلا زال لم يكتب له التداول ، وكذلك تندر الوسائل النثرية ، والمقامة ، والخطب، مما يؤكد ان اهم تراث يحفظ عنهم هو الشعر .

واذا كان الشاعر عادة يتجاوز المرئيات مبتكرا معنى او وصفا ، او مهذبا احد المعاني المألوفة او متنبئا بظاهرة معينة اوصله الى ادراكها خياله الشاعري ، او حدسه الفاحص لسر تفاعلات البيئة التي عاشها فيستطيع بذلك ان يعكس اهتمامات امته فيصور لها ما تطلعت الى تجسيده وعجزت عن التعبير عنه ، فان جميع تلك الابحاث الشعرية ما استطاعت ان تخرج اي شاعر ما ، عن نظام ، واحساس ، وذوق البيئة التي ولد ونشأ فيها ، فعدم انتشار التعليم ، وعدم امكانيات الاتصال منذ دخول الاستعمار حتى مع بقية الوطن الام ، وانعدام اي نوع من الصحافة والحدود المصطنعة التي حاول بها الاستعمار ايجاد ما امكن من الفوارق لفرض الحواجز بين اجزاء المملكة كل تلك العوائق اثرت في شعر الصحراء فجعلته يبقى الى عهد قريب عاطفيا يتناول مواضيع ذاتية كالغزل ، المدح ، الرثاء ، المحاورة - ذكر الديار ، وصف الناقة ، اي نفس الاسلوب الذي درج عليه امرىء القيس واصحابه ، وكان رائد تلك المدرسة الاول بالصحراء هو امحمد بن الطلبة الذي عاش باقليم وادي الذهب ، وكان دائما ينسج على منوال قصائد عظماء شعراء العرب القدامى مثل معارضته لجميعة : الشماخ بن ضرار بقوله :

تطاول ليل النازح المتهيج
اما لضياء الصبح من متبلج

ولا لظلام الليل من متزحزح
وليس لنجم من ذهاب ولا مجي

فيا من لليل لا يزال كانما
تشد هراديه الى هضبتي أج

كان به الجوزاء والنجم ربرب
فرائدها في عنة لم تفرج

وهي طويلة تربو على ثمانين بيتا وقد عارض بها امحمد جميعة الشماخ بن ضرار الصحابي التي يقول فيها :

الا نادبا اظعان ليلى تعرج

فقد هجن شوقا ليته لم يهيج
اقول واهلي بالجناب واهلها

بتجدين لا تبعد ثوى ام حشرج
وقد ينتأي من قد يطول اجتماعه

وتخلج اشطان النوى كل مخلج
صبا صبوة من ذي بحار فجاوزت

الى آل ليلى بطن قور فمتعج

وقد عارض ايضا حميد بن ثور فقال :

تأويه طيف الخيال بمريمـــا
فبات معنى مستجنا مبيمـــا

تأويه بعد الهجوع فهاشـــه
فأبدى من التهيام ما كان جمجما

لطاف بها حتى اذا النفس اجهشت
وابدت بنانا لي خضيبا ومعصمـــا

وهي عصماء طويلة تسير على هذا النهج معارضا ميمية حميد بن ثور الهلالي التي يقول في مطلعها :

الا هيما مما لقيت وهيمـــا
وويحا لمن القى منهن ويحما

أ اسماء ما أسماء ليلة ادلجت
الي واصحابي بأي واينمـــا

سل الربع اني يممت ام سالم
وهل عادة للربع أن يتكلمـــا

ولم أعثر فيما استنطقت من مصادر ولا مـــا استفسرت من حفاظ ذلك الادب على شاعر تعرض لذكر المناطق المعروفة بالساقية الحمـــراء قبـــل خريجي الصماره الآتي ذكرهم اللهم ما كان من قطـع لسيدي محمد بن الشيخ سديا الاديب المشهـــور بأقصى جنوب القطر الموريطاني الشقيق حيث يقول.

طال في اربع القرار قراري
ليت شعري مالي ومال القرار

طال مكثي وان ما طال فيهـــا
باختيار المليك لا باختيـــار

لم أكن مرفع القدوم اليهـــا
بل رمتني لها يد الاقـــــدار

صار فيها هكذا تشكي من زيارته لربوع الساقية الحمراء ثم حنين الى مسقط رأسه بابي تيملت .

لعل هذا من اول ما وصل الينا من شعر تعرض لذكر الاعلام الجغرافية بشمال الصحراء المغربية ؛ ثم ان بعض الذين عبروا تلك المناطق سجلـــوا على ربوعها قصائد شعرية تتعلق اما بمديحـــات للرسول صلى الله عليه والسلم مثل ابن رازكة العلوي حيث انشد عند مروره عبر الصحراء قصيدته التي مطلعها:

غرام سنى قلبي بمدامته صرفـــا
ولم يقم العدل عدلا ولا صرفـــا

قضى فيه قاضي الحب بالهجر مذ غدا
مريضا بداء لا يطب ولا يشفـــى

نهاري نهرين جفني والكـــرى
وليلي بحر مرسل دونه سجفـــا

جريح سهام الحب عاث به الهوى
فابدى الذي ابدى واخفى الذي اخفى

ومن الذين عبروا ذلك الاقليم ابن محمـــدي العلوي المشهور بمديحاته النبوية وبتمجيده لمولاي عبد الرحمان ، والذي نشر الوسيـــط كثيـــرا من اشعاره ، وأتأسف لكون شعراء الطبقة الاولى لم يصل الينا كثير مما جد من انتاجهم بعد كتابي الوسيـــط ، والنفحة الاحمدية للشيخ احمد بن الشمس والابحر المعنية للشيخ النعمة بن الشيخ ماء العينين وذلك لكون جهود المستعمرين استجابة لحقدهم الدينـــي والحضاري على المغرب انصبت طيلـــة وجودهـــم بالاقليم على طمس المعالم الحضارية والفكرية التـــي تجسد اصالة المغرب مع ادراكهم لان الفكر المغربي هو الذي حمل عبء نشر الدين ، والثقافة الاسلامية في الاقطار الافريقية ، وجنوب القاره الاوروبيـــة ؛ فكان ذلك الحقد يباشر عن طريق اطراف المملكـــة كمحاولة لتجزئتها الى دويلات ضعيفة ، ومتناحـــرة يسهل التغلب عليها ، وقطع الصلة بينها مع اصالـــة الماضي المغربي . فلا غرابة ان يكـــون المثقـــف والعالم هما اللذان قادا معركة النضال من اجل بقـــاء الوحدة الوطنية مما عرض رجال الفكر بالصحراء الى انتقام الاستعماريين الاسبانيين حتى ذهـــب بهـــم ذلك الى : ملاحقة الشعراء وبث عيونهم ليتتبعـــوا الاندية الشعرية ، ثم شرح الكلمات ، وبالتالي انزال اشد العقوبات على من تعرض في شعره للقضايـــا الوطنية ، هذا بالنسبة لشعـــراء الساقيـــة الحمراء ووادي الذهب الذين خضعـــوا لكابـــوس الحكـــم الاسباني ، وعلى اي حال وحسبما وصل الينا مـــن تلك النصوص الشعرية يمكن تقسيمها مـــن حيـــث مدتها الزمنية ومواضيعها الى ثلاث طبقات :

1) شعراء ما قبل الاحتلال اي القدامى

ومن ابرزهم امحمد بن الطلبة المتقدم الذكر ؛ ومولود بن احمد اجويد ، وعمر اللمتوني وعبد ابودود

ابن احمد ، ومولود المجلسي ، ومحمد اليعقوبي ، ومحمد فاضل اليعقوبي ، وغيرهم كثيرون . وقد احصى عنهم محمد الغيث التعمة المتقدم ذكره 550 شاعرا تقاطروا على مدينة الصمارة ثم تباروا في مدح الشيخ ماء العينين بصفته خليفة السلطان بالصحراء، تلك الطبقة التي سبقت دخول الاستعمار وهي مرحلة اوج قمة الشعر ، فيه توقد اوار الحرب آنذاك - ويعقد السلم فاذا مدح الشاعر بسط رداء الوقار ، والعظمة على ممدوحه ، واذا هجا خلع جلباب الستر عمن هجا ، وقد كان الى عهد قريب عنوان اهلهم والحكمة لاهله الصدارة ، ولرواته احسن مكانة ، وكانوا يعتبرونه - من اهم المراجع لتاريخ القبائل نذكر على سبيل المثال لامية بن الطلبة التي عدد فيها مفاخر قبيلته ، والتي مطلعها :

صاح قف واستلح على صحن جال
سبخة النيش هل ترى من جمال

قف تامل فانت ابصر مني
هل ترى من حدوج سعدي الزوال

الى أن يقول :

حي يعقوب انهم خير حي
اذا تسامى الكرام عند النضال

ثم ما لبث ان اكتسب مكانة دون تلك ، وان كانت لم تقلل من اهميته الا انها قومت التفكير ففتحت آفاقا جديدة جعلته يدرس كمادة ضمن المواد الدراسية ، أما قوله فاصبح كموهبة من بين المواهب التي تزيد من توفر عليها ولا تنقص من حرم منها ، ورغم الشعور الطافح بضرورة تغيير المضامين القديمة ، وما تنتج عن ذلك من سلاسه اللفظ ، ورقة التعبير فان ذكر الدمن ، ووصف الناقة ، والتغني بالمحبوبة ، والتباري في شتى فنون المديح ، والاعتزاز بالامجاد ، بقيت بسبب الرقابة الاستعمارية هي اهم اغراض الشعر حتى متم العقد الرابع من هذا القرن ، اي سنة 1947 التي كانت بداية انطلاقة المرحلة الجديدة حيث أصبح فيها شعرا موضوعيا ؛ قادته فكريا جماعة الطبقة الثانية التي كافحت المد الاستعماري ثم مس انتاجها نوع من الركود اذ من سنة 1937 ما عرف منهم اي انتاج وطني اللهم ما كان من استطرادات تدرج في خبايا قصائد ذات مواضيع عادية الى سنة 1947 فعندها كان تفجير بركان الوطنية عن طريق تعميم الشعور الوطني بواسطة قصائد لأكابر العلماء مثل : ماء العينين بن العتيق ، ومحمد بن أبوة ، والشيخ الامام ، ومحمد فال بن محمد الامين ، ومحمد المامون ، فهؤلاء يمكن أن يطلق عليهم طبقة المخضرمين فكريا ، فهم الذين انحصر جل انتاجهم في الاسلوب القديم لكن افكارهم الوطنية قادتهم الى التقرب شيئا ما من اساليب موضوعية ، تجاوبت مع اهتمامات الامة من الناحية الوطنية فامكن لهم بذلك ان يصبحوا رواد المدرسة الحديثة بالصحراء ، وان كانوا لم يتمكنوا من البلوغ الى هدفهم بسبب كبت المستعمر كما اسلفنا .

فعلى يد هؤلاء تخرجت نخبة استطاعت ان تجاوز الاساليب العتيقة من حيث الاغراض وان تدون في انتاجها مواضيع غير مألوفة فاصبح الشعر عندهم وسيلة لالهاب المشاعر من أجل تعميم الشعور الوطني ، وتحريض المواطنين على مواصلة الكفاح . لمواجهة مخططات الاستعمار فقدت بذلك انصع صفحة من صفحات أدب الجنوب هي ما يطلق عليه شعر الوحدة الذي تخلص من المواضيع الذاتية القديمة ليسير باسلوب موضوعي ، تطور الامة واصفا تطلعاتها ، موجها الانظار لاختياراتها بتعبير قريب من مفاهيمها ، مستجيب لرغباتها ، مجسد لمفاخرها ، مخلد لتضحيات عظمائها ، متمز مع كل هذا بشمولية الاغراض فغدى شعرا اجتماعيا يتناول مشاكل الجماهير العامة بدل البكاء على الاطلال ، والتغزل .

فبما ان الشعراء ادركوا الواقع المأساوي الذي سيواجه تلك الاقاليم عبر النوايا المبيتة من طرف الحكام الاستعماريين لمحاولة فصل تلك الاجزاء عن الوطن الام ، ثم بدأت تلك النوايا تدريجيا بالتلويح بعبارات مسمومة تنفي الصلة مع بقية الوطن المغربي، ولمواجهة تلك المحاولة حصر الشعراء جل انتاجهم في استحثاث المواطنين على مواصلة النضال وتمام اليقظة ثم لسرد الحجج التي تثبت مغربية الصحراء معبرين عن افكارهم الوطنية في مدائح لجلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه ، ولجلالة امير المؤمنين الحسن الثاني ايده الله ونصره ، محققين آمال جميع الوطنيين باسترجاع تلك الاقاليم بمعجزة المسيرة :

قدت المسيرة نحو وحدة أمة
لعب الزمان بأهلها وبهم غدر

فتجرع الانسان نار هزيمة
بعد الفلو وقبل جيشك ما اندحر

هذا وفي كل تلك المراحل لم ينج أدب الصحراء من مؤثرات التخلف التي ينجم عنها خلق طبقة استقراطية ليست عن طريق المال والحكم ، وانما هي عن طريق الذوق والوجدان والتطلع ، والميول ، مما جعل عليه ينتمي ذلك الاقليم من الشعراء المتازين اذا ما قيسوا بسواهم من ابناء مناطقهم مكنهم من ذلك يسر اقتناء الكتب وسهولة التردد على معاهد المملكة وخزاناتها الادبية . اذ يلاحظ من تفحص اشعارهم أن من بينهم جماعات اقتصر دورها عي النظم فقط بينما نجد بعضا منهم استطاع ان يتمكن من ازمة الادب بالمفهوم الصحيح .

هذا عن اهتمامات شعراء الصحراء واغراض شعرهم والدوافع الكامنة وراء كل اختراع شعري بالاقليم اما تحليل ونقد ، جودة الالفاظ والمعاني ، وصفائها وبهاء وطلاوة الشاعرية ، ومتانة سبك الاسلوب وصحة التركيب ، والخلو من اود النظم ، والتاليف ، وكون المعنى صوابا او خطا ، ومدار البلاغة الشعرية على اي من تلك المقومات مجتمعة او متفرقة فاني تحاشيت التعرض له في هذا العرض الموجز من أجل ان أقدم نماذج من شعر اولئك القوم الذين لا زال الجل من انتاجهم مجهولا حتى يتسنى نقاشه وتحليله في مناسبات قادمة بعد ان يتمكن الكل من التعرف على مجمله .

وكان بالامكان ان اقتصر في النماذج الآتية على شاعر او شاعرين من ابرز شعراء كل مرحلة لكن ايثارا رغبة في ابراز ما امكن من النصوص لمختلف الشعراء قد اوردت مقتطفات من شعر اكبر عدد ممكن من الطبقتين الثانية والثالثة .

والملاحظة الوحيدة التي ابديها هي ان منهم من اعتنى الى حد بعيد بتركيب قطع اجتمع فيه جمال اللفظ والمعنى فاكتملت الوحدة الجمالية بين عنصريه اللفظي والمعنوي اي ما يطلق عليه الوحدة البيانية وقد يلاحظ هذا في شعر امحمد بن الطلبة من الطبقة الاولى ، وبن العتيق من الطبقة الثانية ، وسداتي هيبة والكبير العلوي ولادباس من الطبقة الثالثة .

والى عهد قريب كان شعر الصحراء يصاغ على الطريقة القديمة ، وهي قصائد ذات ابيات مستقلة بعضها عن البعض الآخر تجري على قوافي متماثلة الروي تعبر عن عواطف ناظمها تجاه فرد ، او غرض ما . وقد يجره ذلك في كثير من الاحيان الى نظم مواضيع متباينة لا يربط بينها الا شخصية الشاعر .

لكن تطور الحياة ، وتشعب مناهج التفكير ، واختلاف الاحساس ، والوجدان وتنوع اساليب التعبير ، وتغير ملامح الاجرام . والاشكال ، اثر كل ذلك الى حد بعيد في الشعر ، واسلوبه وحتمية وحدة موضوعه ، وفي الشعراء ودرجة تقديرهم فكان لا بد استجابة لهذه المؤثرات ان تتطور رؤى الشاعر في الحياة ، والمجتمع ، وان يجنح شطر مواضيع اكثر اهمية من البكاء على الحبيبة وذكر الاطلال ووصف وعثاء السفر ليستجدي ممنوحه مما يحصر فعاليه شعره في المجون او الاسترزاق او الايحاء بالغرور لفرد معين ، بذكر ما ليس فيه ، بغواية الشعر كما اسلفنا .

وبسبب تلك المؤثرات المشار اليها تقرب الشعر الى ذوق الامة محاولا مسايرة التطور مكتسبا وحدة التفكير بالبحث عن المواقف التي تستميل انتباه اكبر عدد ممكن من ابنائها بتحريك عواطف الوطنين مسايرا بذلك المناهج الجديدة ، الملحمة ثم الشعر التأملي ، ثم القصصي وقد تعاطى شعراء الصحراء قول الشعر في الاساليب الثلاثة ، ففي الشعر القصصي نذكر مثلا الشاعر عبد السلام الذي برع في هذا النوع بأسلوب خال من التعقيد او التعسف كقوله :

سقاها غير شعرة وحيقا
ليحدث في تحصنها خروقا

فدب لها دبيب الراح منها
يرى العوقه أم لن تعوقا

وهي قصيدة طويلة تعرض فيها لحكاية حب حاول فيها المحبوب من محبوبته أن تمكنه من نفسها بشتى الاغراءات ، ولما أعيته الحيلة سقاها خمرا دون أن تشعر لم دب لها دبيب الراح حتى صاد ايلفهب العقوقا حسب تعبير الشاعر ، ولما فاقت انتحرت ثم ظهرت الجريمة على المجرم فألقي في السجن ، وله عدة قصائد استعرض فيها قصص رحلات قام بها بين الشمال والجنوب .

اما الملحميات فمنها قول احمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

كففت انسجام الدمع فانهل وانهمر
وعاد عقيقا بعد ما كان كالـــــدرر

وابدل مني من جوى البين والاسى
سبات الكرى والنوم بالسهد والسهر

وجفني مبني على الفتح رفعـــــه
ولا يثاني فيه ضم وما انكـــــسر

وهي تربو على 200 بـــيت في نفس البحر والروى ، ومن ذلك النوع ايضا قول محمد سداتـي هيبة وهو يسجن الجزر الخالدات يحث المواطنين الموجودين معه في السجن على قوة التحكيمة والتشبث بالمبدأ الوطني مهما بلغت مضايقات المستعمر :

صبرا صاحبي فالنجاح لمن صبر
والحر يعرف في الشدائد والخطر

ومقامكم في الخالدات مخلـــــد
مجدا لكم والمجد اسمـا مدخـــر

ومن اسلوب الملحميات ايضا قول امريبه رب في مدح الرسول :

حي الربا من معهد لمعهـــــــد
ان كنت ذا عهد وذا تعهـــــــد

وهي ارجوزة تجاوزت الثمانمائة بيـــت في نفس البحر والروى عدد فيها معجزات وشمائل الرسول صلى الله عليه وسلم .

اما الشعر التأملي فقد نال حصة الاسد مـــن انتاج اولئك الشعراء من ذلك قول الشيخ ماء العينين لاربـــاس :

بني وطني لا زلتموا منزل الشعرا
علوا وأولاكم من الخالق البشـــر

وكقصائد الاستاذ العلوي محمد الكبير مثل :

الارض تير والسمـاء زبرجـــــد
والافق نور والطوالع اسعـــــد

وفي المحاورة نرى مجالسهم مطبوعة بارتجال هذا النوع من الشعر خصوصا الطبقة الثانية . اما الشعر التأملي فكما اشرنا قد برع فيـــه السادة : المرحوم سداتي ، ماء العينين والمرحوم العبادلة ، الكبير العلوي ـ الشيخ ماء العينين لاربـاس ، ابشام عبد السلام ، الداه محمد ، الدرجاوي عبد الرحمن ، ماء العينين يحجب ابو بكر بن الشيخ امريبه ، محمد بن قاري ، الرصافي معروف ابشيرنا ، بالاضافة الى ثلة من الشباب تتأهب لتأخذ مكانتها البارزة في الادب ، ومحمد فال بن محمد الامين ، ومحمد الامين ابن حيبلتي ، وغيرهم ابراهيم وغيرهم كثيـــرون سنتعرض لهم في حلقات قادمة بحول الله .

+ × +

بعد هذه الملاحظات العامة اورد نماذج من شعر الطائفتين الذنيه والنالته .

الطائفة الثانية ماء العينين بن العتيق : مـــن ابرز شعراء الجنوب بصفة عامة وان كان يؤخذ عليه حصر جل اغراض شعره في الغزل والمـــدح ، في حين انه من اعظم العلماء بذلك القطر ايضا ، مـــن حريجي الضمارة امتدح جلالة المغفـور لـــه محمد الخامس بعدة قصائد نشرت اولاها بجريدة السعادة سنة 1937 وقد نشرها الاستاذ الجليل عبد الوهاب ابن منصور بكتابه الاخير « مناقب اهل الصحراء » وان استمرار شعراء الجنوب في ذكر شمائل امير المؤمنين وتباريهم في مدحه ظل من اعظم التحديات التي واجه بها المثقف الصحراوي الاستعمار ، وبقي كذلك من بين العوامل التي حافظـت على تركيـز الشعور الوطني في سكان الاقليم المسترجع حتـى تمت الوحدة الوطنية ، لله الحمد .

ومطلع القصيده المشار اليها هو :

بشر المنى بك اشرقت اعلامها
يشدو على فنن السرور حمامها

وحظائر العرفان منك تنسمـت
ارواحها وتبسمت اكمامهـــا

زانت امامتك الزمان وكيـــف لا
تزدان ازمنة وانت امامهـــا

الى ان يقـــول :

ما انت الا البدر في هالاتـــه
لما أحاط بجانبيك تمامهـــا ؟

ومنهـــــا :

وولى عهدك يقتفيك فتفـــه
عن رسل مجدك يستحيل قطامها

وبمناسبة عيد الفطر الذي وافق عيد العرش سنة 1956 كان ابن العتيق من بين وفود الصحراء التي اتت لتقدم ولاءها لصاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس فانشد بين يدي الحضرة السلطانيه القصيدة التاليـــة :

تتابعت البشائر والخيـــور
بحمد الله واتصل السـرور

وصبح السعد لاح له ضياء
وروض الحق فاح له عبيـــر

بمشهد طلعة الملك المفدى
من ازدانت بدولته الدهـــور

ومن طود السعادة مستقـــر
بأمرته وناظرها قريـــــر

امام العصر محمود السجايا
محمدنا بن يوسفنا الشهيـــر

واولى الشعب بعد الذل عزا
وبعد العز ذل به الكفـــور

وفي سبيل العلا مر المنايا
لديه كانه الماء النميـــر

الى ان يقول :

ونعم ولي عهدك من أميـــر
يسيرك في خلائقه يسيـــر

أشدت بعزمه اركان حـــرب
تحاط بها النوادي والقصور

فتى حسن الشمائل والسجايا
جواد ماجد بطل جســـور

ونعم الشعب شعبك خير شعب
تعمهم الثقافة والحبـــور

تآخوا في ديانتهم فكـــل
على اوطانه اسد غيـــور

اساتذة جهابذة ابـــاة
غطارفة قساورة بحـــور

وجال الغرب فيه بدوا بدورا
لهم تعنو بمشرقها البـــدور

الا فاهنا قرير العيـن وان لا
تفارقك المسرة والحبـــور

ومن غرر شعره قوله في مدح الرســـول صلى الله عليه وسلم :

الا من لعين عز وجد اجودها
وهان عليها بالمدامع جودهـــا

تفيض لذكر الفيضتين بعبرة
كأني اذا كفكفتها استزيدهـا

ومن لحجا اذكى به الشوق شعلة
تشب استعارا اذ يرام خمودها

واني على نار الغـرام تجلـد
وما غير حيات القلوب وقودها

الى ان يقـــول :

وماذا به نثني علـيه وانمـــا
نعوت الثنا من وصفة تستفيدها

شغلت شفتي مما يشف وفكرتي
مدائحها انشاؤها وتشيدهـــا

وفي سنة 1937 عين الشيخ محمد الاغظف بن الشيخ ماء العينين نائبا لخليفة السلطان بالصحراء فهناه ابن العتيق بقصيدة استعمل فيها من أساليب البلاغة صنوفا لم تات لغيره وهي :

بجانب الهودج مربع دثـــر
من سلك جفني جوهر الدمع نثر

الى ان يقـــول :

يزدى ان افتر وراع وترنم وناء وتثني وسفر
بالاقحوان والرشا والعندليب والكثيب والقضيب والقمر

حتـــى يقـــول :

وان سخا وان سطا وان عفى
وان وفى وان رسى وان ظهر

ابن الغزالة ورضو والســـو
ال واحنف وعمـــر وانزفـــر

يا بهجة الدنيا وقوت روحها
لله درك من أستـــاذ وزر

قد تبت عن خليفة بقطرنـــا
فدم لمثلها أعـز مدخـــر

واهنأ بها من ثقـة أولاكهـــا
خليفة السلطان من البشـــر

بالمنصب الجديد نلت المبتغى
وعندما خلفك الندب الابـــر

خلفت في اليقين واللين ابـا
بكر وفي الشدة والعدل عمر

وقد انشا القصيدة التالية وهو لا زال لم يتعـد ستة عشرة سنة وهي :

عج بالركاب على الكعاب وسائـل
لم لا تقابل بالقبول وسائـــل

او ما راين لذكرهن مدامعـي
ما بين جار بالخدود وسائل

الى ان يقـــول :

جهل العذول هوى الملاح فلامني
وعلمته فعصيت امر الجاهـــل

انى احاول في الصبابة مخلصـا
من وجدهن وقد أصبن مقاتـــل

ما هكذا الانصـاف لكـــن
لا اعتراض على الحبيب ولو قضى بالباطل

تخلص منها لمدح جده الشيخ ماء العينين الذي اتبع معه طريقة بن سناء الملك مع القاضي الفاضل اظهار المقدرة الشعرية في الغزل ، والمدح وعـــدم الخروج عنهما كثيرا لغيرهما من الاغراض الشعريـة الاخـــرى .

وفي بعض الاحيان يبدأ ابن العشق القصيـــدة بخطاب التثنية او الجمع في التغزل ثم يسلك نفس الشيء في المديح كقوله :

الما بالمرابـع لا عداهـــا
ربيع منه يرتع مركداهـــا

ولا في عهدها ثنيـــا وردا
لمعهدها النواء ورددا هـــا

الى ان يقـــول :

وواسطتا قلائدها وبيـــا
قصائدها وصـدر منتداهـــا

وقد ترك ديوانا خاصا بمدائح الرسول كتـب عليه هو بنفسه انه اتبع فيه اسلوبا لم ير من سبقـه اليه لكونه رتب تلك القصائـد على الحروف وكـل قصيدة يبدأ بيتها الاول بحرف فيكون هو رويها ثـم خصص كل قصيدة لذكر بعض شمائل الرسول مـع تحاشي التكرار ، مثلا في حرف الالف قال :

اثار الهوى بعد الحبيب اداؤه
فوجدي به حق علـي اداؤه

وكعادة ابناء الصمارة فقد خف لزيارتها عندمـا سمحت له ظروف الكفاح الوطني بذلك فانشا يقول :

عفت الديار وهل ترى شيئـا
لم يعف الا الواحـد الحيـا

هذي الصمارة ويك مقفـرة
تكوي الفؤاد ربوعها كيـــا

وفي الفخر انشا قصيدة هنا في آخرها امربيه رب على تادية فريضة الحج سنة 1938 ثم تفنيـده لدعايات الغلات الفرنسيين في شان كفاح الصحراء وسوس من اجل صد المستعمرين عن حوزة الوطـن قال في مطلعهـا :

هو الشعر للاكفاء شهدته تحلو
اذا صاغه من كنز باعثه الفحـل

فينساق عذبا للفهوم كانمـا
باثنائه تلقى مجاحتها النحـل

الى ان يقـــول :

ليهنئك حج البيت اديت فرضـــه
وقد ما يؤدى عنده الفرض والنفل

وبايعت لعرش العظيم مجـــددا
لبيعة اسلاف بها اجتمع الشمـــل

نلقاك في أقصى الشمال خليفة
لخير عباد الله يا حبذا الاصل

به الوطن الاسمى يصون لوحدة
فاقواله فصل واحكامه عدل

وله عدة قصائد في الغزل والرثاء والحكم لا تقل جودة عما ذكرناه واننا لنامل ان تتاح فرصة قريبة لعرض نماذج شعرية خاصة به .

وله عدة قصائد في الجهاد وحث المواطنين المغاربة بالجنوب على الصمود في وجه المد الاستعماري ابان الكفاح الوطني لسوس والصحراء منها قوله :

كفى المرء غيا للغواية صغاره
كذا لكبار الامر يفري صغاره

ويوشك ان يغشى الحما الرائع الذي
رعى حوله والجار يعديه جاره

وان الرضى بالذنب ذنب وان يقع
عذاب يعم الفرقتين تباره

2) الشيخ محمد الامام :

تنافس هو وابن العتيق على الدرجة الاولى من بين شعراء اسمارة حسب حكم الاستاذ المختار السوسي في الجزء الرابع من المعسول .

الف محمد الامام كتاب الحاش الربيط في النضال عن مغربية شنقيط سنة 47 تعرض فيه لاسلوب عمل المخزن بالصحراء والاسر التي حمل رؤساؤها ظهائر والوفود التي قدمت على عاصمة المملكة لتأدية واجب البيعة باسم سكان الجنوب المغربي .

ثم ضمنه فصلا خاصا بالعادات وطرق التعليم وفي نفس السنة استدعي من طرف خليفة السلطان سمو الامير مولاي الحسن بن المهدي الذي ظلت صلاته الوطنية قائمة بالصحراء حتى اواخر سنة 55 وفي تلك الطريق عرج الشيخ الامام على وادي المخازن فتذكر معركته الشهيرة التي دافع فيها أجدادنا عن سيادتهم بينما نحن في تلك الايام موزعون عبيدا لاولئك الذين كانوا يوما ما من جملة رعايانا فانشد يقول :

خليلي مرابي بواد المخازن
نجدد شكرا بين تلك المواطن

مواطن كانت للجهاد مشاهدا
بهن مياه العز غير اواسن

به وقعة ما زال يسري نسيمها
على بعد عصر وابتعاد الاماكن

بايدي رجال شيدوا الدين وارتدوا
رداء من العلياء ضافي المحاسن

فلم تثنهم عن راحة العز راحة
ولا حسو كاس بين شاد وشادن

رجال من ابناء المغاربة الاولى
هم الناس ان عدت كرام المواطن

تتسمح انفا ثم تطرق بعدها
حياء لفوت بيننا وتباين

اولاك حموا اقصى البلاد وانتم
مساكين محميون وسط المساكن

ومنها :

الاعرق للمجد المؤثل نابض
فينهض منا قاطن اثر ظاعن

الى ان يقول :

نظنون سورا من حديد امامكم
وما هو الا من ركام اللواخن

حتى يقول لمتقاعسين عن المقاومة الوطنية :

وقلتم مقال العجز في اليأس راحة
فتصليم آذان وجدع مسوازن

وقد زار الاندلس ثم تذكر شموخ عز الاسلام وحاله اوان تلك الوقعة . فانشد قصيدتين قال في الاولى :

ان قصر الحمراء قصر جميل
طاب قبه المغدى وطاب الاصل

كل شيء تراه فيه أنيـــق
فمياه تجري وظل ظليـــل

ما ملنا من الوقوف لديهـا
واعترانا من الهيام ذهـــول

حتـــى يقـــول :

تلك آثار قومنا بـال مجـد
وطدته من القـرون فحـــول

ومطلـــع الثانيـــة :

الدهر ذو عجب وذو ألـوان
لا تنقضي بتقلـب الاحيـــان

في كل آن يستجد عجائبـــا
تنسيك معجب سالف الازمان

عاطتك اندلس مجازك نحوها
عبرا تذيب الصم من ثهـــلان

ولما سمحت له الظروف بزيارة الصمارة كغيره من بقية ابنائها بعد ان ارغمتهم همماتهم الوطنية على الخروج منها انشد قصيدة رائعة مطلعها :

لا بدع ان حن ذو لب الى وطـن
أوهاجه دارس الاطلال والدمـن

عوجا على ظل محت معالمـه
هوج الرياح وصوب الصيب الهتن

وقفت بالربع لايا ما ابينـــه
لولا ارتسام الهوى بالقلب لم يبن

ماذا اثارت من افنان الغرام بـه
ورقا ترجع الحانا على فنـــن

الى ان يقـــول :

فاستبق ويك على قلب تياسره
ما يعلم الله من بث ومن حـزن

شوقا الى زمن لم ينس طيبـه
ما قد جرى بعده من حادث الزمن

هي المنازل كم اذكى تذكرهـــا
جمر الاسى بفؤاد الواله الشجن

ومنهـــا :

دهر الصمارة وما ادريك ما زمن
حدث ولا حرج عنه فلم تمـــن

وله عدة وطنيات ، ومديحيات لجلالة المغفور له محمد الخامس فمن مدائحه قوله :

حي الملك الذي بمجده اشتهر
محمد الخامس السامي عن الامرا

ذاك المليك الذي ما زال مرتقيا
الى سماء العلا يسمو عن النظرا

ومن وطنياته قوله سنة 1947 ردا على محاولة اسبانيا لادماج اخواننا الباعمرانيين في الجنسيـــة الاسبانية : مطلعها «بني وطني قوموا على اسوق أجد»

ومن اساليب تغزلـــه :

الام الهوى يدعوك من حيث تسمع
فتخفض انفاس الغرام وترفـــع

وانت مقيم لا تبالـي دعـــاءه
كأنك لم تسمع لما انت تسمـــع

وفي المراسلات قال لاخيه مربيه رب :

سلام في المزار ينوب عنـــي
ويخبر عن صفاء الود منـــي

الى ان يقـــول :

اذا اصغى اليراع على يميني
لفكري في مناقبه كاتـــى

ارى بيدي الحجار درا نثيرا
فينظم ما يشاء بلا تعنـــى

وتزدحم القوافي فيه حتـــى
أقول لها وراءك ويك عنـــى

ابا لاطناب بالغـة مـــداه
رويدك فاربعي والتطمانـــى

وله عدة وصفيات في الطائرة ومنظر الطبيعة وفي المحاورة كما سنرى في مكان آخر ، وفي الفخـــر والحماسة ، وفي الحكم له قصيدة طويلة منها :

وقر اذا الاحداث سادوا وان
شرار قبطن الارض خيب لمن نما

وكن حيث وافقت البلاد واهلها
ولاترضى اذلالا بارض ولا هضما

وله عدة مؤلفات منها الجواهر المنتخب على انساب من فى المغرب من العرب ، ثم اسعاف السائل ، وحلي الاوراق فى ضرورة التخلى عن الاسترقاق .

3) محمد المصطفى امربيه رب بن الشيخ ماء العينين له عدة مؤلفات فى الفقه ، والسيرة ، والتصوف ، أما شعره فتنحصر جل اغراضه فى الغزل ، ومدح الرسول ، والحكم ، والمحاورة ، وفى تقاريضه لكتب والده لكونه تولى الاشراف على جل ما طبع منها بالمطبعة الحجرية بفاس .

نماذج من شعره :

أهكذا مساس غصن البان
يرتج من محترقف الكثبان

لو كان غصن البان هذا مسه
لارتاح للكثبان غصن البان

الى ان تقول فيها :

ما هند وبات بأندي جحاجح
أسد تصول اذا التقى الجمعان

فينا بامضى من عيون نعس
تفنى الاسود وهي من الغزلان

ومنها عندما تعرض للمدح :

بحران يلتقيان فى اوج العلى
ذا ذابه بحران يلتقيان

بأكفه فر كرام عشيرة
نسخت مياه المزن والغدر

سبع لسبعة ابحر وثلا
ثة للسحب والانهار والطوفان

ومن بدائع شعره ملحمة فى بحر الرجز مدح بها الرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام مطلعها :

حي الربى من معبد لمعهد
ان كنت ذا عهد وذا تعبد

وفى نفس الموضوع ايضا قصيدة مطلعها :

بشرى لدهر كان من حسناته
وصل محي ما كان من هفواته

محجر لى عجره حسناته
ليلاته تعفى من ليلاته

زار مدينة الصمارة بعد خروج والده منها وقبل دخول الاستعمار اليها وهو آنذاك بصدد تكوين جيش من ابناء الصحراء لمواجهة الغزاة الاجانب ، فوجدها يبابا داثرا فانشد يقول :

هذى الصماره فى انائها القفر
منها تحيرت الالباب والفكر

دار بصحراء من راى عمارتها قبما
مضى او رآها اليوم يعتبر

ثم زارها بعد رزوحها تحت حكم الاستعمار الاسباني فاذا هي ترسف فى قيود استعمار ماكر يتوقع انفجار بركان المقاومة منها من حين لآخر وعهد امربيه ربب بها قبل ذلك قاعدة لانطلاق قوافل المجاهدين نحو كل الجهات لصد اي غزو يواجه اطراف المملكة فانشد يقول :

هلا عجبت وكيف يقضي العجب
والدهر ذو عجب وصنعه عجب

هذى الصماره لا حي ولا ملاء
بها ولا فرح بها ولا طرب

ولا بها حلق الذكر العظيم ولا
علم تدرسه قوم ولا ادب

هذا تضلع من شرع العلوم وذا
من الحقيقة كالمحروق يلتهب

دار بوفق المنى كانت معمرة
من فضها يعطف السرور واللعب

ثم مثلها بغادة رضعت ثدي العلوم ، ونشأت على العفاف والكرم تقول :

تبارك الله كم كانت مخدرة
هناك تكتنفها الاستار والحجب

درج فيها على هذا المنوال الذي اتبعه شوقي حول احدى المدن البنغالية . وفي موضوع الحكم، له عدة قصائد مطلع احداها قوله :

اهاجك من وهج الهوى والنوى ذكرى
وما الحب الا من تهيجه الذكـــرى

دعى الغيد وافر البيد واللجج الخضرا
الى المنصب الاعلى ولو كان فى الخضرا

حتى يقـــول :

وما الخل الا من يوانيك دائمـــا
ولم يشج نيك النوائب والدهرا

ومنهـــا :

وللدر انواع وهذا ارقهـــا
واصغرها جرما واكبرها قدرا

وفى اداب المجلس قال :

الا فامنح اطايب الكـــلام
لقومك بعد معسول الســـلام

وراعى الحال فى النادي وحدث
على قدر المجالس والمقـــام

وللالفاظ والمغزى تبقـــظ
فكم بين التيقظ والمنـــام

وان حدثت فاصغ بحسن سمع
الى قول المحدث باحتـــرام

ولا تسرع الى الافتاء واحذر
معارضة الكلام مـــع الكـــلام

(يتبع فى العدد القادم بحول الله)

المؤمن اذا غضب لم يخرجه غضبه من حق . واذا رضي لم يدخله رضاه فى باطل ، واذا قدر لم يأخذ اكثر مما لـــه .

جعفر الصادق

دفاعاً عن الإسلام والمغرب والمنصور

الرد على مقال أحمد بابا التمبكتي السوداني

للدكتور عثمان عثمان إسماعيل

رجال الاسلام والمواقف العظام تنهشها الاقلام :

كان لبني أفيت هي تنبكتو وجاهة ورياسة ببلاد السودان . وقد أبقاهم جيش الفتح الاسلامي الذي وجهه المنصور السعدي على وجاهتهم الى ان كانت سنة 1002 للهجرة حيث اكتشف امر تحريضهم الناس ضد المغرب ، فالقى قائد المنصور القبض على جماعة منهم ونقلهم الى مراكش ، وكان من بينهم العلامة ابو العباس احمد بابا المعروف بأحمد بابا التمبكتي السوداني ، بقصد منع الفتنة واقرار الاسلام وتوحيد كلمة الله في غرب القارة الافريقية .

حادث عابر ، تغريب او نكبة اسره او فرد لبادرة بدرت ، تحديد اقامة شخص من الاشخاص عالما كان او قائدا او اميرا من البيت المالك نفسه لتحقيق سلامة المجموع وتوحيد بكلمة الله، امر قد لا يخلو منه عصر من العصور في قطر من الاقطار .

لكن حمية بعض الاقلام الذين يهلل لهم الخصوم، لا يتركون الحادث يمر بسلام ، ويعكفون على النفخ فيه ليتضخم حجمه فيطفو على السطح بدل ان يحجب تحت ورمه صفاء الحقيقة الرائعة .

ظهر اخيرا في مجلة «المناهل» مقال حول احمد بابا التمبكتي السوداني المذكور آنفا لا اريد ان احلله و انقده تفصيلا ، وانما اكتفي بالاشارة جملة ، الى لتعريض المكشوف بشخصية المنصور السعدي احد رجالات الاسلام العظام ، والى التنديد المردود بجهود المغرب وتضحياته ومواقفه البطولية لنصرة الاسلام ، وتوحيد ارض المسلمين ايام الاشراف السعديين ، وتحرير الشعوب الافريقية من دنس الكفر والشعوذة والسحر والاسترقاق .

لقد الفنا تحامل بعض المستشرقين اليهود و لمبشرين المسيحيين والخصوم على ابطال الاسلام وتشويه سيرتهم وطمس معالم الاحداث العظام في تاريخ الاسلام .

هاجموا الصحابي الجليل سيدي عقبة بن نافع واتهموه بالقسوة مع زعماء البربر واتباع سياسة العنف وجردوه من الدهاء السياسي والخبرة الادارية. وفاتهم حتمية فشل مسعاهم وافتراءاتهم لان عقبة الذي كبر في حجر صحابة رسول الله لا ينسى موقف الاسلام من المؤلفة قلوبهم وحديثي العهد بالاسلام ، كما لا يمكن ان ينسى المرابط العابد مستجاب الدعوة قول ربه : «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» وقوله تعالى : «فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك». سيدي عقبة الصحابي الذي انفق ربع قرن بالصحراوات وسط البربر بطول وعرض مساحة المغرب العربي يفتح البلاد ويهدي العباد للاسلام ويعلم الى ان اصبح الشخصية الاسلامية المثالية بالنسبة لهم ، يتهم بجهل نفسيات البربر . عقبة مخطط الاستراتيجية الاسلامية بالغرب الاسلامي ومؤسس القاعدة المتقدمة الكبرى بالقيروان سبب تثبيت الفتح وتحويل الشمال الافريقي كله الى العروبة والاسلام ، يتهم بنقص الخبرة الادارية اللازمة للامراء.

الكاهنة الزناتية اليهودية صاحبة الرئاسة والزعامة على البربر البتر بجبال الاوراس هزمت جيوش حسان فعاد الى برقة يستعد لبقاء حاسم. لم تدخل الكاهنة القيروان وعادت الى الاوراس وشرعت في تنفيذ سياسة الارض المحترقة او الارض المخربة ويثبت ابن عذارى قولها للبربر (ان العرب انما يطلبون

من افريقية المدائن والذهب والفضة ونحن انما نريد منها المزارع والمراعي فلا نرى لكم الا خراب افريقيه كلها حيث يباس منها العرب). وكانت افريقية ظلا واحدا من طرابلس الى طنجة فخرجت الكاهنة ذلك كله . نهض المستشرقون ونهض زعيمهم ليفي بروفنسال اليهودي ليؤيد جاتو في نسبة حادث التخريب الى العرب وبرئة الكاهنة اليهودية دون دليل مادي او تاويحي على الرغم من ان النصوص التي يعرفونها توضح الحكمة من التخريب كخطة عسكرية شكلا وموضوعا تهدف الى صرف انظار الفاتحين عن الارض المحترقة . لقد اكتشف ذلك البرانس وأسفوا لزوال العمران ، وندم الروم على زوال العمارة وفطن البتر الى ضياع الاقتصاد الوطني وانصرفوا عنها فكانت نهاية الكاهنة ولجا ولداها الى حسان وعاشا مكرمين في ظل الاسلام . ولا زاله المستشرقون يتهمون العرب بالتخريب .

تحامل مقال احمد بابا التمبكتي السوداني :

اقول تحامل المقال ولا اقول تحامل كاتب المقال الدكتور شوقي عطا الله ، ذلك انني احترم كاتب المقال والا ما سمحت لنفسي ان ادخل معه في الحوار ولهذا الخص الآن بعض المآخذ فقط على شكل ومضمون وهدف المقال .

اولا — فمن حيث الشكل : نلاحظ ان المقال يشغل ثلاثا وثلاثين صفحة من صفحات المجلة خصصت تسع عشر منها للتعريف بالشخصية في مقدمة المقال ثم اثنتي عشرة صفحة بآخر المقال لمؤلفات احمد بابا السوداني بينما يتركز صلب المقال بطول اثنتي عشرة صفحة على الظروف التي جاء فيها الى المغرب مما لا يتفق مع عنوان المقال ، احمد بابا في ضوء بعض مخطوطاته . هذه الملاحظة ذاتها تدفعنا لنسأل سؤالا جديدا ، هل وضع المقال لدراسة شخصية احمد بابا السوداني ودراسة مؤلفاته، او انه خصص اصلا لاثارة مشاكل جديدة حول فتح الاسلام للسودان ؟ لماذا اقحم الفتح الاسلامي للسودان وشوه على هذا النحو ؟ يقول كاتب المقال (ليس هذا مجال الحديث بالتفصيل عن دوافع تفكير المنصور في غزو السودان ، لكننا نشير فقط لبعض الاحداث المتصلة بهذه الحملات لارتباطها بموضوع حديثنا) ثم يقحم فتح الاسلام للسودان بالصورة التي يريد .

ثانيا — ومن حيث المضمون : فليس من الصعب على القارىء ان يلمس بكل سهولة عددا من المواطن تتخلل المقال تثير السيكم على المغرب ، والتهكم على المنصور وتبرز وتبرر وتشجع التصدي للسلطان ومناوآته ، مع تجسيم حادث النكبة والتاكيد عليه وتكراره اكثر من ثماني مرات في المقال الواحد ، ورسم هالة كبيرة في عدة مناسبات حول الاسرة المنكوبة ليصبح الحادث العابر جريمة لا تغتفر ونكتفي هنا بالاشارة فقط الى بعض النصوص الواردة بالمقال.

يبدو التهكم على المغرب مقحما دون هدف علمي واضح يحتاجه البحث من ذكر رواية خروج احمد بابا من مراكش في طريق العودة لموطنه . تقول كاتب المقال ان اعيان الطلبة خرجوا لتشييعه فأخذ بعضهم بيده عند الوداع وقرأ قوله تعالى : «ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » على عادة المودعين للمسافر ، فنزع ابو العباس يده بسرعة وقال (لا ردني الله الى هذا المعاد ولا رجعني لهذه البلاد)، هذه العبارة ماذا تفيد الباحث في دراسة حياته ومؤلفاته ؟ وما الهدف منها ؟ ثم القصة الاخرى التي يتقلها المقال للتهكم على المنصور من خلال مقابلة احمد بابا للسلطان بقصر البديع ومخاطبة السلطان بقوله : انت تشبهت برب الارباب فان كانت لك حاجة في الكلام معنا فانزل لنا وارفع الحجاب عنا. اي حاجة لك في نهب أمتاعي وتصفيدي من تنبكت الى هنا . وعندما قال السلطان (أردنا كي تجتمع الكلمة) قال الشيخ (هلا جمعت بترك تلمسان وما يليها من البلدان فانهم أقرب منا) فقال السلطان : قال النبي صلى الله عليه وسلم : اتركوا الترك ما تركوكم فامتثلت للحديث، فقال الشيخ(ذلك زمان — وبعده — قال ابن عباس لا تتركوا الترك ولو تركوكم، فسكت السلطان ولم يجد جوابا .

ان مهمة النقد التاريخي التي ينبغي الا نغيب عن الاستاذ الجامعي تمنعه من استعمال النصوص قبل تحليلها ومقابلتها ودراستها دراسة موضوعية لاستخلاص وجه الحقيقة التاريخية من الشوائب وتنقيتها من الاخطاء .

لا تقف امام سلطان النقد باي سلاح . اذ كيف يعقل سيادته ويقبل الرواية التي تجعل من احمد بابا المنقف في النكبة بطلا يهدد اكبر سلاطين الاسلام علما وعملا على عصره وداخل قصره الذي اختار في

وصفه المؤرخون ، ان الوقاحة التي تخرج عن حدود الالتزام بآداب السلطانية يبقت من الحدة ما بلغت لا يمكن ان تصل الى الحد الوارد في القصة .

اليس في اقحام مثل تلك القصة التي يرفضها المنطق والواقع تشجيع ضمني لكل حاقد وحاسد بالخروج على السلطان ، وتجاهل الاوامر الالهية باطاعه الله والرسول وأولي الامر ما داموا على هدى من الله؟

الم يجد الكاتب في حياة احمد بابا غير قصة النكبة فيذكرها ويعيدها ثم لا يلبث ان ينكرها ليعيدها ثمانى مرات؟ ولنتامل بعض فقرات المقال حول النكبة :

يقول الكاتب (لكن الظروف التي جاء فيها احمد بابا نفسه الى المغرب ـ كما سنوضح ـ كانت ظروفا قاسية بالنسبة له وتركت في نفسه اثرا اليما) ص 153 (1) .

ويقول (ولقد فقد احمد بابا في هذه الرحلة ستمائة والف مجلد من الكتب والمؤلفات التي كانت تحتويها خزانته وما ورثه من اسرته فقد كان الامر ان يعتادوا ومعهم كتبهم كما سقط اثناء الطريق عن ظهر جمله فكسرت ساقه) ص 153 .

ويقول (لاشك في ان هذه الظروف التي المت به في رحلته هي التي جعلته يشعر في نفسه بالمرارة طوال مدة اقامته بالمغرب) ص 154 .

ويقول (ويشير احمد بابا ، انه هو وطائفه من اهل بيته امتحنوا بثقافهم في بلدهم في محرم عام اثنين والف على يد محمود بن زرقون لما استولى على بلادهم رجاء بهم اسارى في القيود فوصلوا مراكش ، واستقروا مع عيالهم في حكم الثقاف الى ان انصرم امر المحنة) ص 158 .

ويضيف كاتب المقال (فانهم لم يتحملوا وعورة الطريق والرحلة التي ارغموا على القيام بها ولا سيما انهم كانوا قد قبض عليهم ووضعوا لمدة اشهر في السجن مثقلين بالسلاسل ولذا فقد مات منهم كثيرون . لكن عمر اكمل الرحلة هو واحمد بابا المؤرخ المشهور والذي فقد في هذه الرحلة كل اعماله فلم يبق منا شيء) ص 159

ويذكر كاتب المقال على لسان احمد بابا قوله (ولما خرجنا من المحنة طلبوني للاقراء) ص 161 ويضيف (ويبدو ان ما اصابه في اثناء نقله من بلده الى مراكش حيث وقع من على الجمل وكسرت ساقه وفقد معظم كتبه لم يفارق مخيلته وكان دائما يعبر عن هذا الظرف في كلامه بالكائنة العظمى) ص 163.

وكان من قبيل تشويه صوره المنصور وصفه بالغدر كما يستنتج من روايته عن عمر بن محمود قاضي تمبكتو الذي ارسل رسلا الى السلطان المنصور وان الرسل استقبلوا في القصر استقبالا وديا وأعيدوا ومعهم قاض يسمى بوختيار يحمل امرا مشددا بحسن المعاملة . لكنهم بعد ان وصلوا تفاجئ علموا انهم خدعوا وأن المنصور ارسل خلفهم رسولا بأوامر مغايرة تقضي بالقبض على عمر وعلى علماء تمبكتو وارسالهم وأسرهم وكتبهم وما يملكون الى مراكش بحد الصحراء وتنفذ الامر . ص 159 .

ومن حيث المضمون كذلك يلح الكاتب على تضخيم المشكلة بالتأكيد مرارا على مسألتين ، الاولى بعظيم قيمة الاسرة وتكرار ذلك مرارا ، والثانية رسم عملية الفتح الاسلامي في ابشع صورة :

* هذا ويسمي احمد بابا الى بيت علم وصلاح توارث العلم فيه نحو خمسمائة سنة ، لا يخافون في الحق لومة لائم يهابهم الخلق كلهم السلطان فما دونه . ص 147 .

* وكان والده صلبا في الحق يغلظ للملوك فما دونهم وكانوا يتقادون له اعظم الانقياد .

ولما مرض في كاغ في بعض اسفاره كان السلطان الاعظم اسكيا داود يأتي اليه بالليل ليسهر عنده . ص 147 .

ويشيد الكاتب بمكانة جنى وتمبكتو ليبرز حجم الجريمة التي يراها في الفتح الاسلامي للسودان .

يقول الكاتب ص 150 (كانت جنى وتمبكتو في ذلك الوقت من مراكز العلم والحضارة الاسلامية) ويضيف ان تمبكتو كانت في ذلك الوقت الذي حاول المنصور فيه مد نفوذه للسودان العاصمة الثقافية للاقليم ص 157 .

---

1) مجلة المناهل ، الرباط ـ العدد السادس

اما الفتح الاسلامي في نظره فهو التوحش والقسوة (.. لكن الفوضى عمت البلاد بسبب غارات الطوارق . كما ظهر بين شعب الصنغاى ثائر جديد فاضطر القائد المغربي محمود بن زرقون ان يشن على تمبكتو هجوما عنيفا ودخل المدينة وقتل بعدد من الصنغاجيين ، واستباح الاموال والثروات، وقبض القائد محمود بن زرقون على العلماء ورجال الرأي الذين بقوا احياء من اهل تمبكتو.) ص 158 من المقال موضوع الرد .

وكان من أخطر ما تضمنه المقال على سبيل المثال :

1 ـ كان ذلك في عهد المنصور السعدي حيث نشب الخلاف بين المغرب ودولة صنغاى او مملكة غاتر وترتب على ذلك دخول القائد المغربي مدينة تمبكتو حيث قبض على احمد بابا وافراد اسرته واقتيدوا الى مراكش ، وقيل ان السبب في القبض عليهم وترحيلهم الى المغرب انهم رفضوا الاعتراف بسلطان المنصور على بلادهم ودعوة الناس الى ذلك، ص 153 .

2 ـ وقبض القائد محمود بن زرقون على العلماء ورجال الرأى الذين بقوا احياء من اهل تمبكتو . ص 158 .

3 ـ يمكن ان نستنتج ان اعتقال هؤلاء وابعادهم عن بلادهم يرجع الى ما كان لهم من نفوذ وتأثير على مواطنيهم ، وانه كان يخشى من مقاومتهم للجيش المغربي ودعوتهم مواطنيهم لذلك بعد ان اتضح عدم انقيادهم لما دعاهم اليه السلطان المغربي من الطاعة ودعوة الاهالي لذلك . ص 159 .

4 ـ يشير كاتب المقال الى قصة حوار احمد بابا مع السلطان المنصور السعدي بقصر البديع بمراكش، تلك القصة الخرافية التي سماها دون درس وتمحيص ونقد تاريخي ، يشير اليها بعبارة (هذا الحديث الطريف بين المنصور واحمد بابا يعكس بعض الآراء التي اثيرت حول حملة السلطان للسودان) ويعلق عليها بقوله (وهذا يدل على ما كان يتصف به احمد بابا من جراة في التعبير) ص 160 ، وهكذا يعتبر الكاتب تلك الرواية حادثا تاريخيا ثم يصف الوقاحة (ان حدثت) بالجراة ويؤكد جهل المنصور بالحديث الشريف ورواية ابن عباس .

ثالثا ـ من حيث الهدف :

يسوقنا هذا كله للكلام عن هدف كتابة المقال في مجلة مغربية مسؤولة وفي قمة الاحداث التي يخوضها المغرب اليوم .

ولهذا نتساءل عن هدف الكاتب من تعسير القبض على العلماء واصحاب الرأى في تمبكتو بانهم رفضوا الاعتراف بسلطان المنصور ، هل يقصد الكاتب المعرض بالمغرب وسلطانه المجاهد سعى سبيل نشر الاسلام بالسودان وجمع كلمة المسلمين ؟ او انه يهدف الى تشتيت الصف ووحدة الهدف في معركة الوحدة الوطنية الجارية احداثها بقصد عودة الاسلام المعاصر لاحياء معالم الحرية والعدالة والحق والبعث الحضارى بالعالم الافريقى عبر الصحراء المغربية .

ان التاريخ لا يعدو ان يكون مجموعة جهود وتصرفات وانجازات تعرف النجاح كما تعرف الفشل وتعرف التوفيق كما تعرف الخطأ ، انه مسيرة لا تخلو من اشراقات كما لا تخلو من ثغرات . ان الدخول من الثغرات لاصطياد الشكوك والباسها ثوب الحقيقة دون تحقيق ظاهرى وباطنى للنص التاريخي لا يفيد الاجيال الحاضرة وانما يقصد به التضليل على طريقة ابى نواس (.. بل قال ويل للمصلينا) ان المسيرة المثلى التي يحياها المغرب اليوم تحتاج الى رؤية الامجاد ومعرفة فضل الوحدة والجهاد ، لتدعيم المثل والمبادىء السامية المستخلصة من سجلات التاريخ مجموع الامة الى انجاز جلائل الاعمال التي سطرها الشعب بجده ونضاله ، وقديما قالوا لكل مقام مقال .

جوهر الموضوع والتكوين النفسي للمنصور السعدي

لقد اغفل كاتب المقال لب الدوافع التي تتمخض عنها الاحداث الكبار ، وتغاضى عن جوهر الحقيقة في دراسة الموضوع الا وهي الدوافع النفسية الكامنة وراء الاحداث على الرغم من انه اشار الى كتاب بوفل الذى ذكر ان الاثار المترتبة عن موقعة وادى المخازن قد ملأت السلطان بالثقة في نفسه وجيشه . فلو ان الكاتب تنبه الى الحقيقة التي قررها بوفل وسعى باخلاص لتحديد المعالم الشخصية والتكوين النفسي للمنصور السعدى لما سمح لقلمه ان يخط تلك التهجمات على الاسلام والمغرب والمنصور .

ان اول ما ينبغي أن يلتزم به ناقد لحادث تاريخي او شخصية تاريخية بارزة ان يضع نفسه في ظروف المكان والزمان والتصورات النفسية والمكونات الشخصية التي تدفع الى سلوك اسلوب معين كيفما كان . انه لم يفعل ، سوف يصدر احكاما بعيدة عن الصواب تدور حسب هواه حول مظاهر الاحداث ولا تتصل بحقيقتها او تمس جوهرها .

ولعلي استطيع القول بان فلسفة الاسلام لازالت خافية على كاتب المقال رغم احتكاكه الظاهر بالمسلمين، وان الناحية الروحية البارزة في تصرفات الساسة المسلمين لا زالت بعيدة عن مدى مشاعره .

التكوين النفسي للمنصور السعدي :

هو ابو العباس احمد المنصور بالله ابن ابي عبد الله الشيخ والحرة للا مسعودة الوزكيتية . نشأ في بيت عفاف وصيانة وتعاطٍ للعلم ، وكان حسن السياسة حازما يقظا مشاورا في مهام الامور . اتخذ يوم الاربعاء للمشورة وسماه يوم الديوان لمشاورة وجوه الدولة في جلائل الامور .

وهو المنصور صاحب الانتصار الشهير في واقعة من اكبر مواقع الاسلام الفاصلة بوادي المخازن سنة 986 هـ (1578م) ، تلك الموقعة الشهيرة التي شهدها اربعة ملوك وقتل فيها الطاغيه سبستيان . انه المنصور مؤسس الحصون ومدعم الثغور لحماية ارض الاسلام . انه المنصور الذي احدث مصانع السكر بالبلاد فتدفقت على المغرب الخيرات التي بنى منها قصر البديع الذي انفقت فيه جلائل الاموال وتسابقت في وصفه الاقوال .

انه المنصور الذي لمعت مكانة المغرب على عصره في شتى نواحي الاقتصاد والعمران والحضارة والقوة العسكرية الضاربة . لقد وردت على المنصور رسائل السلطان العثماني واصحاب الجزائر والبرتقال والاسبان ، كما قدمت رسل طاغية افرانسة وسائر ممالك الاسلام بالهدايا والنفائس بعد واقعة وادي المخازن احتراما لكلمته وتقديرا لقوته .

انه المنصور الذي نجح في انعاش الاسلام ببلاد الصحراء تيكورارين وتوات واحيى بتلك النواحي ذكر الله وسنة رسوله الكريم سنة 990هـ ودخل في طاعته صاحب مملكة برنو من ملوك السودان وتسامت همته لانجاز اكبر نجاح سياسي وديني بتجديد الاسلام وتوحيد ممالك المسلمين ببلاد السودان الغربي وافريقا الغربية ، الى ان انتظمت الممالك السودانية في سلك طاعته ما بين بحر المحيط من اقصى المغرب الى بلاد برنو المتاخمة لبلاد النوبة ، فكانت كلمته نافذة فيما بين بلاد النوبة الى البحر المحيط من ناحيه الغرب في ملك ضخم لم يعرف لملك من قبله.

عرف المنصور كيف يوجه الثروة الاقتصادية الهائلة لانجاز المشاريع العمرانية الجليله بالمغرب ، تلك المشاريع التي توج هامها بتشييد قصر البديع ، كما وجه همه وسخر اقتصاد المغرب لصالح الاسلام بالقارة الافريقية ، لقد ادرك بثاقب نظره وتكوينه الاسلامي ان ثروة المغرب فيئا للمسلمين اينما كانوا .

ومن كل هذا نتبين اهم العناصر المكونة لشخصية المنصور السعدي من حيث النشأة على الدين الصحيح والعفاف وتعاطي العلم وحسن السياسة والتمسك بالمشورة ، والالتزام بمثل الاسلام ومبادىء العزة والنخوة العربية التي توارثها اجداده الاشراف كابر عن كابر ، كل ذلك في رحاب الروح قبل المادة، والغاية النزيهة والقصد الشريف قبل المظهر والوسيلة .

انه اذا التسامي بالروح فوق قيود المادة ، والاقتناع الداخلي العميق بقوة الاسلام المستمدة من قوة عليا فوق حدود الطبيعة تستلهم غاياتها المثلى لسعادة الانسان في الدارين والجمع بين الحسنيين .

الناحية الروحية في حياة وتصرفات امير المؤمنين ابي العباس احمد المنصور بالله

اولا : عاش ابو العباس احمد المنصور بالله حياة الروح المتعلقة برب العالمين ورسول رب العالمين ، وانعكس ذلك الاحساس على المؤرخين الذين تناولوا سيرته قصدا او ضمنا ومنذ ما قبل توليته ، والناس كما يقال على دين ملوكهم .

نقل ابو العباس احمد السلاوي في الاستقصا عن الامام ابي زيد من كتابه الفوائد الجمة قوله : واخبرني الفقيه ابو العباس احمد صاحب الحسبة بتارودانت انه راى في منامه كأنه في حلقة يسرد فيها صحيح البخاري بموضع من دار الخلافة بها ، وابو العباس المنصور يومئذ بها ، وذلك قبل ولايته ، قال فرأيت في طرة الكتاب هذا اللفظ ـ وري الزند ـ

فكنت اتأمل معناه فالتفت فاذا برجل النعزل ناحية على طنفسة .. وقلت ياسيدى ، ما معنى هذه الكلمة .. فقال لى : قل لمولاك احمد انا الذى اوريت زندك ما دمت على الحق.. فقلت له ومن انت ياسيدى فقال لى: رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم لم يمض الا قليل حتى ولى الخلافة وحمدت سيرته) (2) .

ونقل البعلاوى كذلك عن صاحب ابتهاج القلوب (ان الشيخ ابا عبد الله الملقب بكدار . رأى النبى صلى الله عليه وسلم يوما فشكا اليه اولاد مطاع لما رآهم عليه من العناد فى الارض . فقال له النبى : ياتيهم احمد فكان كذلك ، اتاهم عقب ذلك السلطان ابو العباس المنصور فاخذهم وفل جمعهم)(3) واخبار المنصور فى هذا النمط كثيرة .

ان رؤية الرسول صلوات الله عليه امر شائع يتمتع به المخلصون المتحرقون شوقا الى رؤياه وهو امر كثير الوقوع ، ولو شك منكر فى حقيقة الرواية التاريخية واقترض انها موضوعة من جانب المؤرخين والرواة ، فان ذلك الشك لا ينفى ان المؤرخين والكتاب والقراء يعلمون تعلق المنصور بربه وتهيبه الكريم منذ ما قبل خلافته ، ويدركون مبلغ تساميه الى القوة الروحية العظيمة ، فسجلوا ما يعلمون انه يسره ويتفق مع خاطره .

ثانيا : وكان من دلائل بروز الناحية الروحية فى حياة المنصور اعتناؤه بارسال رغبته الى علماء مصر(4) يستجيزهم رغبة فى اتصال حبل السند ، فكان ممن اجازه الامام العارف بالله ابو عبد الله محمد ابن الشيخ ابى الحسن البكرى (فمولانا مجاز من هذا العهد . وكذلك مجاز اهل العصر اجازة عام بعام ليكون ابناء الوقت جميعا على مائدة فضل مولانا وتحت ظلال ذلك الانعام فانه هو السبب فى تحصيل ذلك المرام وكتب تحريرا فى رابع عشر ربيع الثانى سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة محمد بن ابى الحسن العلامه ابو عبد الله محمد بن يحيى المصرى الشهير الصديقى سبط آل الحسن) .

وكان ممن اجازه ايضا من علماء مصر الامام بدر الدين القرافي صاحب ذيل الديباج فاجازه اجازه عامة بسط فيها القول ثم ختمها بقوله :

وقد ابديت حقا لا محالا
بما صار الامام به مجازا

بدار الهجرة العليا امام
بما ابداه من فضل مجازا(5)

ثالثا : وكان من دلائل تعلقه بالشرع والدين واحترام ارباب العلوم والفتوى اقدامه على استفتاء علماء حضرته بشان ملاحه تغازى فى جنوب اقليم توات ليبنى امره على اساس من الشرع فافتى كبار المشيخة وارباب العلم بما هو معلوم فى ذلك لائمة المذهب وعلماء السنة من ان للامام فيها النظر بما يوافق مصلحة الجماعة الاسلامية . وعندما سطروا بذلك فتاويهم ووضعوا عليها خطوط ايديهم امر المنصور بكتابة رسالة الى ملك كاغو ارسلت صحبة الفتوى، وقد تضمنت اللين من القول والدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة . ونقرأ منها .

(..الى رئيس كاغو وكبيرها .. اسحاق سكية ابن داود وصل الله لكم اسباب هدايته وتوفيقه ... وغير خفى على من ذاق حلاوة الايمان وخالطت بشاشته قلبه وألقى الى صوائف الشريعة كتابا وسنة سمعه ولبه ، انا بيقه الاثقال دون غيرنا مطالبون... لما اختصنا الله به من امامة الجماعة... وقلدنا من حماية بيضة الاسلام والذب عن امة نبيه عليه السلام.. هذا ومما وقف بنا عليه بعد استخارة الله زائد الاختيار .. وما تعاضدت شواهد الشرع على اعتباره.. وذلك هذه السلاحة المعدنية التى تضرب اليها اكباد الابل.. لبلاد تغازه.. وقد انطوى على مصلحة لهذا الجيش الاسلامى والاسطول الجهادى .. وما نحن انفذنا اليكم بما لائمة المذهب فى هذه المسالة على الخصوص وما لعلماء السنة فيها من الحجج والنصوص لتعلموا ان للامام فيها النظر والاجتهاد(6) .

---

2) الاستقصا ج 5 ص 90
3) الاستقصا ج 5 ص 91
4) الاستقصا ج 5 ص 115
5) الاستقصا ج 5 ص 116
6) الوثائق ـ المجموعة الاولى ، المطبعة الملكية ـ الرباط 1976 ص 372 وانظر مناهل الصفا ص 123

رابعا : حرص المنصور على ان يسجل فى الرسالة الدورية التى ارسلها لسكان المملكة بعد تمام فتح السودان تلك العبارات التى نلمس فيها قوة الناحية الروحية :

(.. فاستخرنا الله الذى لا يخيب من توكل عليه ولجا فى عظائم الامور اليه واحتفلنا لذلك بما يليق له من الاهبة والاستعداد..)

خامسا : كان المنصور شديد التأثر بالحديث الشريف الذى حفظه عن الرسول عليه السلام فيما يخص خطة السلوك تجاه الاتراك ، ولهذا كان المنصور ـ حسب ما نقله السلاوى عن خلاصة الاثر ـ موادعا سلاطين آل عثمان فيرسل اليهم بالهدايا فى كل سنة وكانوا هم يرسلون اليه بالمكاتب والخلع السنية حتى ان السلطان مراد بن سليم كتب اليه : لك على العهد الا امد يدى اليك الا للمصافحة..(7)

وهكذا يتضح على ضوء ما قدمت من حجج وبراهين وجوب النظر اولا فى التكوين النفسى للمنصور لمعرفة الخلفيات التى تفسر اسباب حملة السودان وتكشف عن سلوك المنصور وجيش الاسلام فى فتح تلك الديار.

اشارات وتنبيهات حول حملة السودان

اولا :

نشير اول ما نشير الى نص رسالة وجهها المنصور السعدى الى داود كانته رئيس المملكة الكابية لنلمس منها نوعية السياسة التى اتبعها المغرب فى فتوح الاسلام بالسودان وندحض بها النصوص الافترائية الواردة بمقال احمد بابا موضوع ردنا والتى تتهم المغرب بالعنف وتنعت المنصور بالقسوة :

(الى رئيس المملكة الكابية من تخوم ممالكنا السودانية ، داود كانته الهمكم الله رشد انفسكم...

وانك مع ذلك نصد من جاء من اهل الممالك التى وراءك كاهل اكنو واهل كاشنة ومن اليهم ممن يبتغى الدخول فى الطاعة لينتظم فى حزب الله المفلح فتردهم وتصدهم بذلك عن السبيل المنجح ، ونحن وان أقدرنا الله تعالى بعونه على معالجة كل من حاد عن طريق الهدى ولم يسلك سبيلا رشدا ، فلا بد أن نجرى فى طريق الاعذار على مجارى السنة ونتمثل قوله تعالى : ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . ونحن ندعوك اولا الى الطاعة والدخول فى سلك الجماعة ، الا انك ان كنت آخذا بشعائر الاسلام ، فلا يخفاك ما افترض الله لأمتنا النبوية عليك وعلى طوائف السودان من الطاعة الواجبة بالكتاب والسنة واجماع الائمة الاعلام ، والى هذا **فان اجبت الى الطاعة وشروطها ، فانت آمن فى نفسك ورعيتك وبلادك ومكنون برعايتنا التى تكنفك من جميع جهاتك .. بل تنام مطمئنا هادئا على مهادك ولك منا مع ذلك الاعتضاد باجنادنا المظفرة بالله على اعدائك واضدادك(8) .**

ثانيا :

لم يكن المنصور من الاستبداد المطلق بالرأى والغطرسة والكبرياء والتعالى المفرط الذى قصده كاتب المقال من سرد الرواية الخرافية لمقابلة احمد بابا للمنصور ومحادثته من وراء الحجاب بقصر البديع. ولم تكن جماعة المسلمين من الخنوع والخضوع المطلق لرأى الحاكم ان لم تتوسم فيه الصواب . ولم تكن سياسة الاسلام فى عصر الاشراف السعديين سياسة كبت وتكميم للافواه .

دليلنا على ذلك رواية مفاوضة المنصور لاصحابه واهل الحل والعقد والرأى والمشورة فى امر غزو اسحاق سكية بعد رفضه الطاعة والدخول فى الجماعة.

ذكر الفشتالى خبر ذلك الاجتماع الشهير حيث (قال المنصور لمستشاريه انى عزمت على منازلة امير السودان صاحب كاغو وبعث الجيوش الاسلامية لتجتمع كلمة المسلمين وتتحد الرعية .. وسكت الحاضرون ولم يراجعوا بشىء فقال لهم اسكتم استصوابا لرأيى او ظهر لكم خلاف ما ظهر لى ، فاجاب كلهم بلسان واحد ورأى متفق ان ذلك رأى عن الصواب منحرف.. فلما قضى اولئك الاقوام كلامهم . قال : ان كان هذا غاية ما استضعفتم به امرى .. اما قولكم... وأما قولكم .. ، واخذ المنصور يرد على ما جاء بمقالهم ويفنده ويوضحه ، فلما فرغ من خطابه وأبدى اسبابه استحسن الحاضرون جوابه واستجادوا

---

7) الاستقصا ج 5 ، ص 97

8) الوثائق ـ نفس العدد ص 394 ـ 396

رأيه واستبانوا صوابه وانفصل الجمع على البعث الى السودان ومناهضة أهله ومتابعة المنصور في رأيه..)(9).

ثالثا :

التزم المنصور في سيرته خطة الوفاء بالعهد في وضوح وامان واطمئنان ، ولو ان آل سكية في كاغو وضعوا الثقة في عهود أمير المؤمنين المنصور كما فعل غيرهم ما كانت الغزوة لتخرج ، ولو ان احمد بابا السوداني وآله قد تنبهوا الى تلك الميزة التي طابعها خاتم الايمان المطلق بالله واطمأنوا على مكانتهم في بلدهم بعد الطاعة وتطويع ونصح الرافضين ما حلت بهم النكبة ، خاصة وانهم كانوا اهل علم وقد سبق لهم الورود على المغرب الذي تعرفوا سلوكه واستجلوا سياسة الاسلام فيه ولمسوا صدق وعود المنصور لغيرهم من امراء وملوك السودان .

جاء في الوثيقة 126 من المجموعة الاولى للوثائق نقلا عن رسائل سعدية نص كتاب المنصور السعدي الى الرئيس محمد باي بن سوري ، وهي احدى رسائل المنصور الى ملوك السودان وأمرائهم :

(الرئيس المكرم الارضى ... الامجد الانزه المكين الانبه..

... هذا وقد انهى الى مقامنا العلي كتابكم الاثير قرر انكم على السعي الجميل .. فاستوعبنا كل ما قررتم من ذلك جملة وتفصيلا وشكرنا فيه تعريفكم شكرا جميلا ... وان اغراضكم في هذه الابواب العلية مقابلة بوجه الترحيب ، وما ينهى من رسائلكم مودع من جميل رعايتنا وشريف التفاتنا بالمحل الفسيح والمكان الرحيب...)(10) . الا ما اشبه اليوم بالبارحة اليس هذا نفس ما قاله امير المؤمنين الحسن الثاني غرة الاشراف العلويين للحاج خطري ولد سيدي سعيد الجماني الزعيم الصحراوي الكبير عندما اعلن دخوله في الطاعة ، ثم ما اجمل الوفاء الذي وفى به ملك العلويين كما كان وفاء ملك السعديين .

كما جاء بالوثيقة 127 من المجموعة الاولى للوثائق نص رسالة اخرى من المنصور الى الرئيس محمد باي بن سوري ننقل منها :

(الرئيس الذي اخلص له خلوص ولائه لمقامنا .. وأوضح له صفاء وده من جنابنا الكريم.. والى هذا فاعلموا ان هذا المقام الكريم مقام رعيكم واعتباركم والتنويه بشأن مقداركم ، وأن اغراضكم في هذه الابواب العلية مقابلة بوجه الترحيب ، وكل ما ينهى من مسائلكم ويرد في رسائلكم مودع من جميل رعايتنا وشريف التفاتنا بالمحل الفسيح .. والبرور الشامل لكم والبر الموصول والسلام . (11)

اليس من حقنا الان ان نتساءل ، لماذا يعرض كاتب مقال احمد بابا بالمنصور ويدس النصوص التي تتهمه بالغدر ولا ينظر في تلك النصوص التي تفسر سلوكه الروحي والاسلامي . اليس البر بالوعد خطة ملوك الاسلام بالمغرب قديما وحديثا . فلنسأل اذا مضمون الرسالتين السابقتين ونتصور مدى التطابق المدهش بين سلوك الاشراف في الدولتين عندما نستحضر امامنا لقاء الحاج خطري بأمير المؤمنين الحسن الثاني لتجديد بيعة اهل الصحراء وتقديم قائمة طويلة بطلبات عديدة لاصلاح ما افسده الاستعمار بالصحراء، ألا يذكر كاتب المقال رد جلالة الحسن الثاني تلقائيا ودون تردد وسط خضم الاحداث العالمية التي عاشها المغرب الا يعرف كاتب المقال المكانة البارزة التي يحتلها الحاج خطري وأهله الآن وما خطته السياسة المغربية الحسنية على أرض الصحراء !

رابعا :

رأينا في سبب الحملة المغربية للفتح الاسلامي ببلاد السودان :

لم تكن فتوح الاسلام المغربية بالسودان ذات طابع اقتصادي او توسعا اقليميا طامعا في خيرات البلاد المجاورة .

لم يكن القصد المادي سبب الفتح الاسلامي هناك وهو حجة طالما فسر بها المستشرقون حركة الفتوح الاسلامية . لقد تحركت الحملات بعد ان بلغ المغرب درجة عالية من الاكتفاء والمنعة والرخاء الاقتصادي الذي مهد لاقامة قصر البديع ذلك القصر

---

9) الاستقصا ج 5 ، ص 111 ـ 112

10) المجموعة الاولى الصادرة عن مديرية الوثائق الملكية ص 397 ـ 398

11) نفس المصدر ص 399 ـ 400

الذى كان يكفى بمفرده للاخلال باقتصاد اية دولة اخرى على عصره ، ان احمد بابا نفسه عندما اقتيد من بلاده بسبب عصيانه ومثل امام المنصور كان ذلك الحدث بقصر البديع .

لقد كان سبب الحملات التكوين النفسى الدينى والقومى للمنصور السعدى ، واستشعاره لمسؤولية كامير للمؤمنين فى توحيد كلمة المسلمين والجهاد فى سبيل الله ، ونشر الاسلام والعدالة وتحرير الانسان المسلم بممالك السودان ، ومحاربة الكفر والسحر والشعوذة .

كما كان من تكوين المنصور النفسى التحيط الشديد والميل للحزم فهو الذى اخترع اشكالا من الخط على عدد حروف المعجم يكتب بها ما لا يريد ان يطلع عليه احد ويدفع بسره الى خواصه وقواده ليفكوا بها رسائله بالشفرة التى حددها(12).

وكان من حزمه مع المسلمين انفسهم ما قابل به اولاد مطاوع عندما مالوا الى الفساد فى الارض وشكا بهم الناس قبل ولاية المنصور فجاء المنصور وطوعهم وقل جمعهم (13) . وكذلك فعل بعرب الخلط عندما عاثوا فى البلاد فاكثروا فيها الفساد ومدوا ايديهم الى اولاد مطاع فنهبوهم وضايقوا بنى حسن وكثرت الشكاية بهم ، لقد انتزع خيلهم ثم احكم السيف فى رقابهم واستاصل جمهورهم (14).واذا كان ذلك هو حال المنصور مع عرب المغرب المسلمين اذا مالوا عن الجادة ، فكيف نتصور موقفه ازاء الكفار والسحرة وتجار الرقيق ببلاد السودان ؟

ذكر احمد بابا السودانى نفسه بمعراج الصعود تفصيلا ختم به كلامه وذكر قبائل من كفار السودان مثل موشى وغيرهم وقال ان كل من كان من هؤلاء من القبائل فيجوز استرقاقه .

كما نقل السلاوى عن ولى الدين بن خلدون ان وراء النيل قوما من السودان يقال لهم لملم كفار يكتوون فى وجوههم واصداغهم وأهل غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم الى المغرب(15).

وكان فى جيش اسحاق سكية الذى قصدته جيوش الاسلام المغربية بأمر المنصور كثير من السحرة والكهنة ، لقد شعر سكية بقدوم جيوش المنصور ونزولها على مدينة تنبكتو ثغر السودان فجمع امم السودان وقبائلها فجمع مائة الف مقاتل واربعة آلاف مقاتل . قال الفشتالى ولم يقنع بالجيوش التى جمع حتى اضاف اليها اشياخ السحرة واهل النفث فى العقد وأرباب العزائم والسيميا، ظنا منه ان ذلك يغنيه شيئا(16) .

خامسا :

اذن كانت ممالك السودان على الرغم مما فى بعضها من الاسلام فلا زال بها الكفر والسحرة والشعوذة واسترقاق الانسان لاخيه الانسان وكل ذلك يعلمه امير المؤمنين المنصور وكان ذلك همه وهدفه بصفته امير المؤمنين وحامي بيضة الاسلام كما يتضح من الوثائق التى نشير الى فقرات منها :

* قدم احمد المنصور السعدى بين يدى جيشه المنطلق لتمهيد اقليم توات رسالة الى الشرفاء والاعيان والمرابطين يبين لهم الغاية من بعث الجيش وانفاذ العساكر ، وقد نشرت الرسالة بكتاب رسائل سعدية الذى حققه العلامة المغربى سيدى عبد الله كنون ونقلت فى الوثيقة 116 بالمجموعة الاولى للوثائق الصادرة عن مديرية الوثائق الملكية . وفى صلب الرسالة نقرأ :

(... انه لما كانت تلك البلاد من اجل ممالكنا.. التى نحمى حماها من طوارق البغى والفساد باستئصال شوكة اهل البغى والعناد وحسم ادواء الاشرار من

---

12) عثمان عثمان ، مقالنا عن المنصور السعدى بسلسلة ابطال الاسلام بالمغرب ، جريدة الانباء الرباط ـ سبتمبر 1976 .
13) الاستقصا ج 5 ص 91
14) نفس المصدر ص 98
15) الاستقصا ج 5 ، ص 133
16) نفس المصدر ، ص 122

العباد وبسط العدل الذي يشمل ان شاء الله كل حاضر وباد ، وبحسب هذا وجهنا اليها بمحلاتنا السعيدة .. لتنير بها منار العدل الشامل وتقيم اعلام الحنيفية البيضاء لارشاد اهل السنة في تلك المجاهل، **ان كل من آوى اليكم من اهل العناد ... وسلك بهدايته طريق الرشاد... فباب التوبة له عندنا مفتوح ... (17)**

* وعندما تم للقائد المنصور فتح مدينه كاغو عاصمة مالي منتصف جمادى الاولى عام 999 للهجرة وعلم امير المؤمنين بخبر الفتح امر بتحرير رسالة دورية لسكان مملكته يبشرهم فيها بالنصر الذي حققه جيش الاسلام في السودان . وقد اثبت محرر الرسالة الوزير الكاتب الاديب عبد العزيز الفشتالي نصها في كتابه مناهل الصفا كما نشرت الرسالة الموجهة الى سكان فاس بمجلة هسبريس ونقلت في الوثيقة 123 من المجموعة الاولى للوثائق ، ومن النص نقتبس بعض الفقرات التي توضح اعلان المنصور عن الهدف من حملات فتح السودان :

(وجاء نصر الله الذي هو لرايتنا الهاشمية حليف.. وكمل الفتح بحمد الله بالاستيلاء على البلاد وانتظام ممالكها في سلك الطاعة والانقياد ، والعاقبة للمتقين.. **ولقد اجتمعت اليوم بحمد الله بانتظام هذه الممالك كلمة الاسلام**.. ولم يبق بحول الله الا صرف العزائم الى جهاد العدو الكافر وان تدور عليه بعون الله الدوائر حتى تغزوه بجنود الله في عقر داره ومحل قراره ويعلو حزب الهدى على حزب الشيطان وانصاره بعز الله وتاييده .

ولما طلعت علينا بهذا الفتح العظيم طلائع البشرى.. بادرنا تعريفكم بصنع الله .. لتقدروا صنع الله فيه حق قدره .. فانه فتح لم تلد مثله الايام.. بما جمع من هذه الممالك العظيمة التي لم يشتمل عليها ملك ولا نظمها سلك... واستشعروا عاقبة هذا الفتح العظيم وقيدوا نعم الله لديكم بالشكر فهو للنعم قيد وعقال...)(18)

سادسا :

أما الحملة التي افضت باسحاق بن داود ملك كاغو الى مصيره المحتوم وبآل بابا التمبكتي السوداني السوداني الى التغريب ، فان خير ما يوضح سببها المباشر تلك النصوص الصريحة التي نقتبس بعض فقراتها من الوثائق فيما يلي :

* جاء في رسالة السلطان امير المؤمنين احمد المنصور السعدي الى اسحاق ابن داود سكية اميو كاغو الواردة بالوثيقة 119 بالجزء الاول من مجموعة الوثائق الصادره عن مديرية الوثائق الملكية :

(... هذا وموجبه اليكم سدد الله طريقكم وجعل التقى رفيقكم ، اعلامكم ان معدن الملح بغازي الى من ايالتنا ، وفي حكم امامتنا ، هو كما لا يكاد يخفاكم من جملة المعادن التي يختص بيت مال المسلمين بخراجها المستفاد وللامام فيها النظر والاجتهاد وبحسب هذا فانا رأينا ان شاء الله ... ان نضع عليه خراجا يعود ان شاء الله بمزيد النفع على المسلمين وبالضر على اعداء الله المشركين... وقصدنا بما يحصل من ذلك صرفه ان شاء الله في سبيل الغزو والجهاد، وفي ارزاق ما لنظرنا العلي من العساكر والاجناد التي جعلناها لكفاية عدو الدين بالمرصاد واعتدناها للذب عن كلمة الاسلام وحياطة البلاد والعباد،وهي جنود الله التي لولا ما حجزت بينكم وبين طواغيت الشرك سيوفها القاصمة .. لفاض عليكم طوفانه السائل)(19)

ولعل الاسباب الواضحة في الرسالة تنير الطريق امام الدوافع النبيلة لسلطان المغرب الذي يتحمل كامير للمؤمنين مسؤوليات الدفاع عن الدولة والدين ، كما تفسر الاسلوب المنطقي الذي اتبعه السلطان المنصور السعدي في الاقناع .

* كما جاء برسالة اخرى للسلطان وجهها الى رئيس كاغو المذكور .

(... ولهذا ومن اجله لم تزل بحمد الله سهام انظارنا السديدة الى اهداف مصالح الامة المحمدية مفوقة ...

---

17) المجموعة الاولى، نشر مديرية الوثائق الملكية ص 355 ـ 356
18) نفس المصدر ، ص 385 ـ 390
19) نفس المصدر ، ص 370 ـ 371

هذا وان مما وقف بنا عليه بعد استخارة الله زائد الاختيار ... وذلك هذه الملاحة المعدنية التي تضرب اليها اكباد الابل وتشمه بسببها لبلاد تفاؤى على الدوام الاقتاب والرحال.. قد انطوى على مصلحة لهذا الجيش الاسلامي والاسطول الجهادي الذي جعل المولى سبحانه بايدينا زمامه.. وتشرق من اجله طاغية التثليث بريقه... لما فيها من الاعانة لهذه الجيوش الاسلامية، وتقوية هذه العصابة النبوية التي بها يقع الدفاع عن الملة ... وها نحن قد انفذنا اليكم بما لائمة المذهب في هذه المسألة ... لتعلموا ان للامام عينا لنظر ..

وعرفناكم بهذا لتكونوا اول من ثنى اليه اعناق الرجال ... ومن شممتم منه رائحة الانحراف .. فقوموا اعوجاجه... فانتم احق الناس والحمد لله بحشر الناس لهذا الباب..(20)

✻ وفي الوثيقة المنقولة عن رسائل سعدية جاء ضمن رسالة المنصور الى الاسكيا اسحاق :

(ويحسب هذا فانا ندعوكم الى ما فيه ان شاء الله الخير العاجل والاجل .. وهو طاعة الله ورسوله والدخول فيما دخلت فيه جماعة المسلمين من مبايعتنا.

وان تقرر لديكم ان من البر اقتفاء اثر الاباء... وأخبرتم ان جدكم ابن ذي يزن اول من امن بجدنا المصطفى... فاحرى ان تؤمنوا انتم باتباع شرائعه. وتمتثلوا اوامره الشريفة فيما افترض الله لهذه الخلافة النبوية من السمع والطاعة... وتحرزوا ببركتها خير الدارين...(21)

استنتاج وخاتمة :

اذن فدعوة المنصور بالحكمة والموعظة الحسنة مؤيدة بفتوى العلماء قد وصلت الى الاسكيا اسحاق في الابان والاوان . لكن رئيس كاغو سد باب القبول والطاعة ولج في الاستهتار والخروج على الجماعة ، وصم الاذان، بل انه تبعا لما ذكره كاتب المقال بموضوع الرد نقلا عن تاريخ السودان للسعدي قد قبح الكلام وبعث للمنصور صحبة رده حرشانا ونعلين من حديد ، وهكذا يلذ لكاتب المقال التاكيد على كل نص يحمل التهجم على السلطان المغربي ويتجرأ على امير المؤمنين سبط رسول الله .

ومع هذا ، فقد التزم المنصور جانب الحكمة والتريث واستشارة الفقهاء ، فاستفتى الحكماء في وجوب تحمل المغرب تضحيات كبرى في سبيل الدفاع عن كلمة الله وتوحيد البلاد وانقاذ العباد من الكفرة والسحرة وتجار الرقيق . فماذا بقي على المنصور بعد ذلك ليتعرض اليوم لتهجمات صاحب مقال احمد بابا السوداني المقحمة على الموضوع دون مبرر علمي او قومي يقتضيه المقال وظروف الحال ؟

أما علماء تمبكتو الذين عربوا عن بلادهم الى مراكش ففي مسألتهم جانبان : الاول ، هو الاعذار قبل الانذار ، والثاني انهم لم يلقوا العنت والعذاب في الرحلة والتقاف في الاغلال بعد وصول مراكش كما يصور كاتب المقال (ص 159 من المقال). وبدءا بالجانب الثاني ، فقد ورد بالمقال نفسه ان عمر بن محمود قاضي تمبكتو رغم صحته المعتلة وكبر سنه فقد اكمل الرحلة هو واحمد بابا موضوع كتابة المقال الذي اثار الشبهات ، كما كان لهؤلاء العلماء المكانة المبجلة فوق تراب المغرب مع الحرية التي تطبع مجالس السلطان بالمشورة والرأي فقد جاء بالمقال نفسه قصة حوار احمد بابا مع السلطان السعدي مقصر البديع ، بل ان كاتب المقال اعترف بان حياة احمد بابا في مراكش كانت زاخرة بالانتاج والتاليف كما حظي بشرف التعليم بجامع الشرفاء بمراكش الامر الذي ينفي كل ادعاء مقصود او فهم خاطيء للنصوص

ونعود الى الجانب الاول من المسالتين وهو الاعذار قبل الانذار في حق علماء تمبكتو ، ذلك أن المنصور بعد ان تبين حقيقة موقف الاسكيا اسحاق وعلم امتثاله لنداء الضمير وصوت الحق المنير، وقبل أن يعقد مجلس الشورى لتدارس الامر وعرض خطة الفتح يادر بانفاذ رسالة الى قاضي تمبكتو عمر بن محمود نذكر منها :

(الى القاضي عمر بن محمود بن عمر ، اسعدكم الله بتقواه وطاعته وعرفكم بركة الانضواء الى حزب الهدى وجماعته .

---

20) المجموعة الاولى للوثائق ، نشر مديرية الوثائق الملكية ، ص 172 ـ 175 .
21) نفس المصدر ص 376 ـ 378

... هذا والله وفقكم الله وسددكم ، وأعانكم على اتباع كلمة الحق وانجدكم ، فمما لا يخفى على كل مؤمن ومسلم موقن ان هذا الامر الذي نيطت بجيدنا الكريم قلادته .. اذ نحن بأعبائه دون غيرنا مضطلعون ونحن منذ ولانا الله هذه الامانة العظمى التي قلدنا بها امانة الجماعة .. لم نغمد سيف الحق .. نفتح البلاد المقفلة ارضا ارضا ، ونقيم اعمال الجهاد ومصالح البلاد ثغلا وفرضا ، حتى انفتح في الجنوب الى من يليكم ... وان الله لا يقبل منا في اعمال ما استرعانا من امور العباد والبلاد سوى معذرة ...

ولما كنتم بتلك المملكة معيد بابها ومدبر احكامها الشرعية ... وبحقوق هذه الامانة النبوية التي تجب طاعتها وتحرم مخالفتها شرعا اعرف من سواك.... خاطبناك بهذه الرسالة الشريفة .... ولترفعوا بهما عقيرتكم في تلك الاقطار وتوضحوا للناس هذه الحجج الساطعة الانوار ..

ولنقف ان شاء الله لندب الناس الى اداء ما افترض الله عليهم من طاعة.. لان يهدي الله بك رجلا خير من حمر النعم.. ان كل من امتثموه من عساكرنا فقد امناه ، ومن اجرمتموه فقد اجرمناه اظهارا لمزيتكم واشعارا بمكانتكم لدينا ورفعتكم ... (22)

هكذا اعذر من انذر فقد احسن المنصور الوسيلة مع رئيس كاغو ولكنه اعرض ثم مع قاضي تمبكتو الى أن رفض ، ووصلب المنصور ابناء تحريض العلماء ضد الفتح الاسلامي رغم العهود الوثيقة ، فكان ما كان، وحلت الواقعة بالمكان والزمان .. وقتل الاسكيا اسحاق وحمل الى مراكش احمد بابا ومن شاكله من العلماء والرفاق ، تعريب عام او امير حادث لا يخلو منه عصر من العصور ، لكنه الوسواس الخناس ينفخ في الرماد ليخلق منه الشر المستطير .

كلمة حق قلتها وقد يكون لها ما بعدها وسوف يعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون .

دكتور عثمان عثمان اسماعيل

---

22) الوثائق ، المجموعة الاولى ـ الرباط ، ص 379

نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه .

حديث شريف

فلسفة الأسماء في المغرب

للأستاذ عبد القادر القادري .

ان الناس بطبيعتهم يعتزون بالاسماء التي اقترنت بهم فالفوها ويحافظون عليها محافظتهم على اناسي العيون فاذا ما حدث ما يدعو الى تغيير الاسم بحكم قضائي — كما يدعو الحال في بعض الاحيان لسبب ما — طافت برؤوسهم اسماء كثيرة فلما يجدون في احدها ما يروى الغليل ويمر بهم طويل الزمن قبل ان تسكن نفوسهم الى الاسماء التي يقع عليها في نهاية الامر اختيارهم .

ومنشأ الاعتزاز بالاسماء غريزة الحيازة والاستيلاء على الاشياء وامتلاكها بغير شريك كالمال والحيوان والمتاع والبنين والزوجة ومع ان الاسماء لا ثمن لها وهي ملك مشاع بين الجميع فان الناس يحرصون عليها ويمانعون في امر تغييرها لما يجدون فيها من الايناس بعد ان الفوها والف الغير معرفتهم بها .

واختيار الاسم ظاهرة اجتماعية تتحكم فيها عدة عوامل ومؤثرات نتيجة للعادات والتقاليد التي تكون سائدة في المجتمع ومن هذه العوامل ما يرجع الى اعتبارات خاصة ومشاعر نفسية وكلها من تأثير المجتمع ووحيه والهامه ولهذا يمثل اختيار الاسم تاريخا متطورا في حياة المجتمع يختلف باختلاف العصور والبيئات . ومن هنا يمكن للمؤرخ ان يرى في اختيار الاسماء وشيوعها صورة من الصور التي تفسر روح المجتمع وتوضح اتجاهه والمؤثرات التي تسيطر عليه .

وقد كانت اصول الاسماء ودلالتها موضع بحوث شيقة من بعض الكتاب القدامى الذين عني معظمهم ببحث معانيها اللغوية مثلما فعل ابن قتيبة في « ادب الكاتب » اذ خصص بابا لشرح « اصول اسماء الناس » وقد عالج ابن جني في كتابه « المنهج في تفسير اسماء شعراء ديوان الحماسة » تفسير كثير من اسماء العرب القديمة التي لم يزل بعضها شائعا الى الآن مثل عثمان وجعفر وعمرو .

وقد خصص الابشيهي في « المستطرف » بابا كاملا لتفسير الاسماء والكنى والالقاب بينما حاول القلقشندي في « صبح الاعشى » وعلاء الدين السكتواري في « محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر » تحديد أول من سموا ببعض الاسماء الشائعة .

ومن كتب المغاربة في الاسماء كتاب « بيوتات فاس » الذي ساهم في تاليفه اسماعيل ابن الاحمر واختصاره المسمى بيوتات فاس الصغرى لسيدي عبد القادر الفاسي وازالة الالتباس عن قبائل سكان فاس للمؤرخ السيد عبد السلام بن سودة . ومن الدراسات الحديثة حول الاسماء تلك التي قام بها المستشرق الالماني « انوليتمان » حول اسماء البدو وقد دون تلك الاسماء بالحروف العربية واللاتينية مع تفسير معانيها بالالمانية كما ان مجلة اللسان العربي التي يصدرها مكتب التعريب بالرباط نشرت مؤخرا بحثا لمستشرقة حول الاسماء في المشرق العربي .

بعد هذه المقدمة ندخل الى صلب الموضوع نقول : منذ ان انشأت الحماية الفرنسية بالمغرب الحالة المدنية سنة 1950 لسكان المدن وخاصة منذ حصول بلادنا على الاستقلال سنة 1956 وعودة آلاف الموظفين الفرنسيين والاسبانيين الى فرنسا واسبانيا وهجرة أبناء القبائل والمداشر والقرى الى المدن الكبيرة لتحل محل اولئك الموظفين الاجانب وللتعلم في المدارس الثانوية والمعاهد والكليات في الحواضر الكبرى كالرباط والدار البيضاء ومراكش وفاس ومكناس وتطوان وطنجة شرع هؤلاء الابناء في استبدال اسماء قبائلهم التي يحملونها ابا عن جد باسماء شرقية وتركية وفارسية وسورية ومصرية . فما هو أصل الاسماء والالقاب المغربية ؟

من الممكن التمييز بين الاسماء والالقاب المغربية التي تنحدر من اسماء ترجع الى اصلها العربي كعبد الله وعباس وعمر وابو بكر وطلحة وعثمان وعلي ، والاسماء التي يحملها الانبياء كابراهيم وموسى وعيسى ويوسف وزكرياء ويحيى وداوود ويعقوب وهي اسماء مشتركة بين المغاربة المسلمين واليهود المغاربة غير ان اسم النبي اسحاق لم يعد يحمله المغاربة المسلمون ومازال درب بحي السويقة بالرباط يحمل اسم درب سيدي اسحاق وتوجد قبيلة باقليم مكناس تسمى آيت اسحاق وتحظر على غير ابناء قبيلتها شراء اي شبر من اراضيها وقد عثر منذ اعوام احد الضباط الفرنسيين الذين كانوا يحكمون تلك القبيلة على الواح مكتوبة بالعبرية .

غير ان اسماء الانبياء نوح ولوط وهود قلما يحملها المغاربة المسلمون واليهود المغاربة ولعل ذلك راجع الى المصائب التي حلت بقوم هؤلاء الانبياء فالنبي نوح غرق قومه والنبي لوط امطر الله على قومه الحجارة وقلب ديارهم وجعل عاليها سافلها والنبي هود ارسل الله على قومه الريح العظيم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فاهلكتهم وابادتهم .

اسماء اعلام الصوفية كالتيجاني تبركا بسيدي احمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية والجيلالي تبركا بالطريقة الجيلالية لمؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلالي المزداد بمدينة راشت Rasht باقليم جيلان من بلاد ايران عام 471 هـ والمتوفى ببغداد سنة 561 هـ .

واسماء يطلقها البربر على انفسهم وهي اسماء عربية مثل حمو (احمد) موحى (محمد) اعراب (العربي) بسه (ابراهيم) عقا (عبد القادر) عسو (عبد السلام) .

ولعل اسم سيدتنا فاطمة الزهراء بنت نبينا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هو الاسم العربي الذي ادخل عليه البربر من التحوير في النطق ما لا يحد فكل قبيلة بربرية تنطق به حسب لهجتها وذلك حبا فيه فصار ينطلق عندهم هكذا : فاطمة — فطومة — فاطنة — فاظنة — طيطم — يطو — الطام — طيطم — حاطة — فامة .

اما الالقاب المغربية فمن الممكن تصنيفها الى مجموعات :

1 — القاب منحدرة من اسم الجد الاعلى كالقاب : العلوي نسبة الى مولاي علي الشريف جد الاسرة العلوية المالكة والعلمي نسبة الى مولاي عبد السلام بن مشيش العلمي والادريسي نسبة الى مولانا ادريس الاكبر فاتح المغرب ، والناصري نسبة الى سيدي احمد بن ناصر ، والعيساوي نسبة الى سيدي احمد بنعيسى مؤسس الطريقة العيساوية والسباعي نسبة الى مولاي عامر ابي السباع والقادري نسبة الى الشيخ عبد القادر الجيلالي .

2 — اسماء منحدرة من اسماء البلدان والقبائل والمدن :

ا — **البلدان** : السوسي — الريفي — الجبلي — الصحراوي — الشقلي — العراقي — الشامي — الدرعي — الفيلالي .

ب — **القبائل** : الدكالي — الشياظمي — الغربي — الشاوي — الجزولي — الصنهاجي — المصمودي — السليماني — اليوسي — الهلالي — التمسماني — الكبداني — الوكيلي — الحريزي — الزعري — المتيوي — الاخصاصي — اليازغي — المتاوي — اليوسفي — العروسي — الزغاري — الاغزاوي — الغياتي — الشيحاني — الاودي — الحراري — البرغوسي — الورياغلي — التسولي — الياسي — الحياني — الهسكوري — العبدي — الادلي — الشركي — الشرادي — الرجراجي . الحمري — العمراني — الحاجي — المنيعي — امتوكي — الكلاوي — اليزناسني — السغروشني — الحسناوي — الخلطي — السبلي — الحصيني — الورديغي — البشتوكي — الحجوي — المطيري — الهواري — العباسي — العطاوي — البوزيدي

ـ الدلامي ـ المسعودي ـ المحمدي ـ الموساوي المزابي ـ البصفيلي ـ العزواني ـ الملالي ـ المجاصي ـ الباعمراني ـ البوزيري ـ الابراهيمي ـ الحيحي ـ الصباحي ـ الحنصالي ـ الشرقي ـ الدادسي ـ الداودي ـ القندوسي ـ التواتي ـ الفطواكي ـ اليعقوبي ـ المطيري ـ الحطابي ـ الهواري ـ الزموري ـ اليموري ـ القنفاني الخلوفي ـ الخلطي ـ الخالدي ـ الكولالي ـ المعداني ـ المنسي ـ الهاركي ـ المرزوقي ـ المزكلدي ـ المزابي ـ العامري ـ العمري ـ العياشي ـ السعيدي ـ السالمي ـ الصالحي ـ اليحياوي ـ الايسفي ـ اليوسفي ـ الزعيمي ـ الناصري ـ انسفياني ـ اتمسولي ـ الزرعوني ـ الرهوني ـ الزياني ـ الزهاني ـ المنكوري ـ السرغيني ـ الشاوي ـ الزعري ـ الرحالي ـ الشنوكي ـ الرسموكي ـ المسكيني ـ الرحماني ـ الزروالي ـ العوني ـ البريمي ـ البوعزيزي ـ المعزوزي ـ السملالي ـ الشباني ـ الصباحي ـ الفارسي ـ الحوزي ـ المزميزي ـ الجامعي الخ ..

والملاحظ أن القبائل التي تبتدىء اسماؤها ببني أو آيت هي قبائل بربرية كبني مطير وبني مسكدن وبني وردغل ـ وبني زروال ـ وبني عتيق والمنتسبون اليها يقال لهم : المطيري والسادني والورياغلي والزروالي والعتيقي . وكلمة أصواب ، وآيت شخمان وآيت احساين وآيت ليوسي وآيت الخمس وآيت سغروشن ويقال للمنتسبين اليها : أصواب وشخمان واحسين والسغروشني واليوسي والخمسي بحذف آيت منها .

وأما القبائل العربية فهي التي تبتدىء اسماؤها بأولاد مثل : أولاد الحاجي ، أولاد فرج ، أولاد جرار أولاد جامع ، أولاد خلوف ويقال للمنتسبين اليهم : الحاجي وفرج والجراري والجامعي والخلوفي فيحذف أولاد منها . فيقال لهم : الحاجي ، الجراري ـ فرج ـ الجامعي ـ الخلوفي .

ج ـ **المدن الحاضرة** : الرباط ـ فاس ـ مراكش ـ مكناس ـ سلا ـ وزان ـ القصر الكبير ـ العرائش ـ طنجة ـ تطوان ـ الدار البيضاء ـ وجدة ـ فكيك ـ تمنار ـ تزنيت ـ تارودانت ـ تازة ـ صفرو ـ ازمور ـ الجديدة ـ الصويرة ـ سبتة ـ سطات .

فيقال للمنتسبين اليها : الرباطي والفاسي والمراكشي والمكناسي والسلاوي والوزاني والقصري والعرائشي والطنجاوي والتطواني والبيضاوي والوجدي والفكيكي والتمارتي والتزنيتي والرودانتي والتازي والازموري والجديدي والصويري والسبتي والسطاتي والصفريوي .

د ـ **المدن المنقرضة** : شالة وسجلماسة . ويقال للمنتسبين اليهما : الشلاوي والسجلماسي .

3 ـ اسماء تتصل بالحرف التي تختص فيها اجداد العائلات ، مثل : الحداد ـ النجار ، الصفار ـ الصباغ ـ الصائغ ـ الكياص ـ الحجام ـ الكحاك ـ الفلاح ـ الخطيب ـ المؤذن ـ الصابونجي ـ الحلوي ـ الصرارفي ـ البردعي ـ السراج ـ الدقاق ـ الحطاب ـ الكفاط ـ الفرايلي ـ الصباغ ـ التراب ـ الدباغ ـ الرامي ـ الخمار ـ العطار ـ الطبال ـ الطرابسي ـ الوراق ـ السقاف ـ الخماس ـ الخماسي ـ الحرز ـ الرغاي ـ الرمال ـ البادي ـ العراف ـ الحوات ـ العبار ـ السمار ـ الرسام ـ الزواق ـ الحراز ـ الهرلس .

4 ـ اسماء تذكر بخاصية من خاصيات الانسان : كاللون والقامة والصفة ، والوزن والطعس :

ا ـ **اللون** : مثل : الابيض ـ الازرق ـ الاشهب ـ الاخضر ـ الاكحل ـ الاسمر .

ب ـ **القامة** مثل : الطويل ـ الكبير ـ غليظ.

ج ـ **صفة جد العائلة** ، مثل : الحلو ـ البكاي ـ الدك ـ الهراج ـ الحاق ـ حركات ـ لبراق ـ الضحاك ـ المهماه .

د ـ **الوزن** : الكيلو الرطل .

هـ ـ **الطعس** مثل : الريح ـ برق الليل ـ سحبة .

و ـ **العيوب** ، مثل : الافرع ـ الاعور ـ الاعرج .

5 ـ الغالب تبتدىء بابن نسبة الى الجد الاعلى مثل : ابن خضراء ـ ابن شقرون ـ ابن جلون ـ ابن سلامة ـ ابن المليح ـ ابن الراضي ـ ابن الكاهية ـ ابن عمرو ـ ابن القاضي ـ ابن ابراهيم ـ ابن الجناوي ـ ابن يشو ـ ابن البشير ـ ابن الملحي ـ ابن العربي ـ ابن عبد الجليل ـ

ابن عبد الرازق — ابن الشليح — ابن خدة — ابن قاسم — ابن دحمان — ابن موسى — ابن عمر — ابن عبد النبي — ابن عبود — ابن خرابة — ابن تويت — ابن رحو — ابن سليمن — ابن دحو — ابن حمو — ابن هحو . الخ ..

7 — القاب بربرية تبتدىء بالهمزة المفتوحة مثل : اطوبي — احرضان — افقير — افيلال — امزيان — ازرقان — امغار — امهروق — اقصبي — امقران — اكومي — اكروم . او بالهمزة المضمومة مثل : اوفقير — اوبيهي — اوحمو — الخ ..

8 — القاب التصغير مثل : الدويب — السبع — فويتح — جنيح الخ ..

9 — القاب اندلسية مثل : القرطبي — طوبيدانو — الدليرو — بابنة — الرندة — بركاش — المدور — مرسيل — دينية — ميليو — بونو — بلانبو — مولاطو — بلامينو — بلافريج — مورينو — شكالانط — جديرة — ملين — سباطة — فرفرة — لازارو — متجينوس — مرادو — بربيش — كراكشو — ضاكة — اللوشي — جوريو — فرشادو — المالقي — قورية — قمارادة .

11 — القاب يهودية وهي القاب اليهود المغاربة الذين ارتضوا الاسلام دينا وهذا فخر عظيم لهم لان الاسلام يجب ما قبله وهي القاب معروفة ، مازال يحملها اليهود المغاربة وبعض المغاربة المسلمين ولا داعي لذكرها هنا .

— القاب شرقية جديدة على اسماع المغاربة ولم يعرفوها قبل انشاء الحالة المدنية سنة 1950 مثل الالقاب التركية : فهمي — رمزي — فتحي — صدقي — فكري — شكري — بدري — رشدي — رزقي — انور — مراد ، الخ ..

والقاب تبتدىء بأبي مثل : ابو الرشاد وابو كمال .

والقاب فارسية مثل : مصدق — شاهين — حكيمي — الكاشاني — ارسلان — نيازي الخ ..

والقاب هندية مثل : غاندي — طاغور . والقاب مصرية مثل : العقاد والعنفلوطي والطنطاوي والقاب سورية مثل الحلبي والحمصي ، والقاب مسيحية مثل : الخوري — زيدان — مطران — جبران .

ومن المؤسف ان بعض الاسر البربرية عندما استوطنت المدن الكبيرة بعد حصول المغرب على الاستقلال عمدت الى استبدال القابها بالاسماء الشرقية الجديدة مع ان اسماء تلك القبائل البربرية لها تاريخ حافل بالامجاد في نشر الاسلام بافريقيا السوداء والدفاع عن الاندلس وفي مقاومة الاستعمار الفرنسي والاسباني في القرن العشرين مقاومة مسلحة دامت زهاء ثلاثين سنة .

ومن الغريب حقا ان يعمد بعض المغاربة المسلمين في الاعوام الاخيرة الى حذف لفظة عبد من اسمائهم الشخصية حيث اصبحت هذه هكذا : عزيز — كامل — مجيد عوضا عن عبد العزيز وعبد الكامل وعبد المجيد .

في حين ان بعض النساء المغربيات اصبحن ينتسبن الى ازواجهن فيقال لهن مدام الشاوي ومدام الزمراني ومدام البيضاوي الخ .. مع ان المرأة المغربية كانت تحافظ على شخصيتها فلا تدعى مع اسمها الا باسم عائلتها ويكون ذلك الاسم مؤنثا غير ان بعضهن اصبحن يذكرن اسم العائلة فيقال فاطمة الكتاني ومريم الادريسي وخديجة الناصري بدلا من فاطمة الكتانية ومريم الادريسية وخديجة الناصرية والحال ان الروسيين والبولونيين واليوغسلافيين اي الامم السلافية ما زالت تذكر اسم العائلة للرجال وتؤنثه للنساء مثل : كوتاخوفي للرجل وكوتاخوفا للمرأة والكساندروفي واليكساندروفا وبولانسكي وبولانسكا .

والمعروف ان نابليون بونابارت تزوج بأميرة بولونية اسمها ماري فالاسكا .

والمعروف ان المصريين لا اسم عائلة عندهم الا للعائلات التي اصلها تركي او سوري او فارسي او كردي يذكرون الاسم الشخصي للاب ثم الاسم الشخصي للجد فيتكون مثل محمد احمد سالم ومنهم من يكتفي بالاسم الشخصي مع الاسم الشخصي للوالد كمحمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ واحسان عبد القدوس وطه حسين . وعائلتهم التي من اصل تركي تتركب من الاسم الشخصي واسم العائلة كفكري اباظة وكردي مثل عباس العقاد .

وما زال كثير من الاسر المغربية القديمة تحتفظ باسماء عائلاتها كالعلوي والادريسي والصقلي والقادري والعبودي وميكو والتازي والطاهري والعلمي والعمراني والعراقي والقيسي وكنون

وكسوس وبناني وبرادة والخيط والكوهن وعاشور وبوسته وغلاب والسملالي والدويري والحبابي والحلو وزنيبر وعواد ومعتينو والدكالي والناصري والصبيحي وبريطل والسمار وحجي وحمدوش والحرش والحريشي والبارودي والمسوني والمالقي وابن عبود وبوعبيد وابن عبد النبي وابن جلون وابن عبد الجليل وابن ابراهيم وابن اخساين وابن الماحي وابن نقرون وابن الغازي وابن خضراء والمريني واللحياني والابيض والازرق والزيدي وبوهلال والغربي والشدادي والصنهاجي والمصمودي والزواوي والعياشي والدبي والصفار وبركاش وفرح ومرسيل وبريش وبنعبد الله والبيطاوري وجديرة وبلافريج والبريري وغنام ومورينو والقرطبي وكراكشو والحساني والعيساوي والدغيمر والدغمي وفرشدو وجورجيو وازكيك وابن الجناوي وملين وليشا وابن مبارك ومكوار وطريدانو والعيماني والزواغي والاغزاوي وفنيش وابن المعطي وابن المليح وابن زاكور وابن سليمان والطريس وابن ناويت واحرضان وامزيان وامغار وامهروق وانقير وازرقان والمنبهي والكلاوي وتكيطو والخطيب وبنونة والطنجي وابن عرفة وابن سعيد وابن الحسني والشفشاوني والبدراوي وبوعشرين والشيكر وعزيمان والزموري واللبادي والدفوف والزعيمي والجعيدي والحجوي والحضري والعوفير والمدور وابن يوسف واليوسفي والبزيوي والشرادي وبلكورة والقباج وابن ابراهيم والديزار والشرقاوي والهنتاتي وبوزيد والصديق وحكم والرندة وابن خرابة وشكالانط والبوزيدي والرايس وجلزيم والعكري والزهراء وقريون والقصري والسائح وبيرو وخالص وكيليطو وبنعمرو والزمزمي والريش والريح والهواري وكريم والحنصالي وابن اليماني وابن سودة والسادني والجامعي والبوري والسباعي والفكاك والمساري وابن الراضي والصباغ وفنجيرو والبوركي ، والطاهري — وابن صالح وبوجندار ، والتادلي والتادلاوي وابن مشيش والسودي والريفي وابن شمسي وابن هيمة والبواب وسكيرج وابن كيران والريسوني والسوسي والبرنوسي والبقالي وابن دورو وابن دراعو والمصلوحي والرحالي والصباحي والجزولي والرقاعي والتبع والمعروف والدرقاوي واعراب — والمنوني والرجراجي وبلانبو والوزاني والتطواني والحراق والسلاوي وبوطالب ومورينو والرندة وفنجيرو وجوريو والكيماخ وجلزيم وجازوليت وبرادو وبلقزيز والجواهري والهريم والمكناسي والفزازي وعليوة ولعلو ، والزناتي والعتبي والبحراوي والرايسي ومتجينوش وابن يعيش وابن موسى وابا خاي وابن الشيخ والصفار والشفشاوني وابا حنيني وابن البشير والسحمي والمسطاسي والوطاسي والفساس وعصمان واليعقوبي وبرقوق والشرقاوي والغرباوي وامبيركو واللبار والقرشي وبنيس وابن يخلف ، والمقري ، وغيرهم وغيرهم ممن لم تستحضرهم الذاكرة عند كتابة هذا البحث .

وقد كان المغاربة يعطون لجواريهم اسماء جميلة مثل : الياقوت — جوهرة — الياسمين — العنبر — الغالية — عود الورد — الخيلي عندما كانوا يملكون الارقاء الا انه منعت تجارة الرقيق بالمغرب سنة 1935 فلم يبق ثمة اطلاق هذه الاسماء عليهن ، وتجدر الاشارة ان المغاربة يحملون اسم فتح الله وعبد النبي لانهم سنيون في حين يحمل الايرانيون اسم فتح الباب وعبد الحسين لانهم شيعة

وبعد فهذا قليل من كثير مما يجب الكتابة فيه عن اسماء والقاب المغاربة قديما وحديثا كتبناه خدمة للتاريخ المغربي . والله ولي التوفيق .

الرباط : عبد القادر القادري

الموعدات 676 - 689

إعداد : الاستاذ عبد القادر زمامة

676 ـ في صبح يـــوم الجمعـــة ... !

وجدت في مخطوطة كتاب « ايضاح المسالك الى قواعد الامام مالك » وهو من تاليف ابي العباس احمد الونشريسي مؤلف « المعيار » عند كلامه على القاعدة « الاصولية » درء المفاسد مقدم على جلب المصالح..

« قال الشيخ شهاب الدين رحمه الله :

شاع عند عوام مصر ان الصبح ركعتـــان . الا يوم الجمعة . فانها ثلاث ركعات ... !!! لاجل انهـــم يرون الامام يواظب على قراءة « السجـــدة » يـــوم الجمعة . ويسجد .. ! ويعتقدون ان تلك ركعة اخرى واجبـــة ... !!!

وسد هذه الذرائع متعين في الدين ... »

677 ـ هو شيخي .. ! وانا شيخكم ... !

وجدت في كتاب ـ المنهج الفائق ـ لابي العباس الونشريسي المطبوع بفاس طبعة حجريـــة سنـــة 1298 هـ ـ م 30 ص 8 .

« ... ابن العربي : حضرت مجلس ابي الفضل ابن النحوي فسمعته يقول : طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعالى وظاهر .. ! فلما انصرف قصدته في موضعه . وقلت له : اصلحك الله انك قلت انـــه صلى الله عليه وسلم طلق وعالى وظاهر .. ! وانـــه صلى الله عليه وسلم لم يظاهر . فان الله تعالى جعل الظهار منكرا من القول وزورا ... ! تشكرني على ذلك فلما كدن من الغد . قال لاهل مجلسه . وقـــد قربني اليه : ـ اني قد قلت لكم بالامس . انه صلى الله عليه وسلم طلق وعالى وظاهر ... ! وان « هذا » ارشدني الى انه لم يظاهر .. ! وهو كما قال . وهو شيخي في هذه المسالة .. ! وانا شيخكم فيها .. ؟؟»

678 ـ عجـــب من غفلتـــــه ... !

وجدت في كتاب ـ المنهج الفائـــق ـ لابـــي العباس الونشريسي . م 2 ص 2 نقلا عن المؤرخ ابن عبد الملـــك ...

« ... ومن هذا المعنى ما اتفق لابي العبـــاس احمد بن علي بن ثابت اللخمي الاشبيلي . قال ابـــو العباس بن هارون : اتفق له مع جدي ابي محمد بن جمهور ان كتب في رسم يتضمـــن بيع قـــارب : « وقره » وقلبه ... ! وجيء بالعقد : وهم الشيـــخ فيما كتب .. ! لا يقال في القارب « قره » وانما يقال فيه : ونظر اليه وقلبه . واختبر عيدانـــه . او مـــا اشبه هذا ... ثم ان جدي كتب رسم بيع حمار في يوم شات وذهب بالعقد صاحبه الى ابن العباس هذا ليشهد فيه فلما قراه وجد فيه « وقره » وقلبه .. ! فلم يتمالك ان هبط من دكانه في الشتاء والعقد في يده حتى انتهى به الى جدي وقال له :

— بالامس رددت علي في رسم بيـــع : الغارب « وقره » وها انت قد كتبته في بيع هذا «الحمار»..!

فضحك جدي رحمه الله منه وعجب من غفلته وقلة تحصيله ... !!! رحمهم الله اجمعين .. »

679 ـ ينظـــم « المزهـــر » ... !

وجدت من مؤلفات الشيخ ماء العينين بن الشيخ فاضل بن مامين رحمه الله كتابا لغويا لغيـــا . نظـم فيه كتاب « المزهر » للسيوطي وسماه « ثمار المزهر» وهو مطبوع بفاس سنة 1324 هـ. بمطبعـــة احمد بمتـــي ...

جـــاء في مقدمتـــه :

« وبعد ذا فهاكمو أهل اللغات
نظما يفيد في اللغات الـــائقات

نظمته من مزهر السيوطي كي
يفيد ذا فصاحة وكـــل عـــي

نوعته كما له قـــد نوعـــــا
لكن ذا . مختصر نظما سعى

سميته لذا ثمار المزهـــــر
وصغته من جوهر كالجوهر »

680 ـ حتى عم بالغســـل جســـده .. !

وجدت في مخطوطة رسالة « النفائس الابريزية في هدية الفيل الوافدة من الحضرة التجليزية » لابي العباس ابن المواز

« ... وصار يختطف الطعام ويرتشف المـــاء بخرطومه . ثم يعطفه حتى يولجه بداخل حلقومه ..! ثم اشار اليه الملقن باغتســال بدنه وجثته ليشاهـــد مولانا السلطان عجيب كيفيته .. !

فاخذ يرتشف الماء بخرطومه الذي هو مـــن ابدع عجائبه . ثم ينفضه على ظهره وبطنه وجوانبه . حتى عم بالغسل جسده ... ! »

681 ـ من صورة الثور والخنزير والجمل .. !

ووجدت في مخطوطة (رسالة النفائس الابريزية) هذه الابيات في وصف الفيل :

كأنه ان مشى في الارض هرولة
سفينة تمخر الامواج عن وجـــل

لله جثته العظمى وجوهـــــره
سبحان من قدر الاشياء في الازل

كأنه ماخذ في جمع هيئتـــــه
من صورة الثور والخنزير والجمل

682 ـ دجاجـــة ابي العـــلاء ... !

وجدت في كتاب « الانتصار ممن عـــدل عـــن الاستبصار » لمؤلفه ابي محمد عبد الله ابن السيـــد البطليوسي . ط. القاهرة سنة 1955 . ص 45 .

« وأخبرني ابو الفضل شيخنـــا في شعـــره . (المعري) . قال : لما مرض المعري مرضه الـــذي مات فيه وكان ذلك سنة ثمان واربعين واربعمائـــة . وكان بلغ من العمر ستا وثمانين سنة . دخل عليـــه الطبيب فرأى ما به من الضعف . فلما خـــرج قـــال لاهله : لو اكل اللحم لرجعت قوته وتماسكت . والا فهو هالك .. ! فسهلوا عليه ذلك ... فاخبر بما قال الطبيب . وقيل له : ما عليك في اكل اللحم حتـــى تراجع قوتك . ثم تستمر بعد ذلك على مذهبـــك ؟ . فانزل ذلك منزلة اكل الميتة عنـــد الضرورة ... ! فاجاب الى ذلك .. ! ثم سمـــع صـــوت دجاجـــة تستغيث .. ! فقال : مالها .. ؟ فقيل : تريد ذبحها. ويصنع لك منها طعام .. ! فقال : ناولني اياها ... فاخذها ولمسها . فوجدها ترعد . وقلبها يخفق ..! فقال : ان لم تبق نفسي في جسمي الا بهلاك هـــذه النفس فلا ابقاها الله ... ! خلوا عنها ... ! »

683 ـ نفقـــت ســـوق ابيـــه ..

وجدت في كتاب (نفحات الازهار على نسمات الاسحار) وهو شرح بديعية النابلسي ص 21

« ولابن خيرة القرطبي الملقب بالمبتل في ابن ميمون الفراء :

لابن ميمون فريـــــض زمهرير البرد فيـــــه
فاذا ما قـــال بيتـــــا نفقت ســـوق ابيـــه »

684 ـ غمـــــــــارة ... !

وجدت في كتاب « مختصر مقنع المحتاج في آداب الازواج » المطبوع على الحجر بفاس 1319 هـ وهو من تأليف ابي العباس ابن عرضون قاضي مدينة شفشاون المتوفى سنة 992 هـ رحمه الله .

« حدثني بعض الطلبة انه وجد في تاريخ ... ان غمارة من ورغة الى ترغة ... الخ »

685 ـ من اعيـــاد الكفـــار ... !

ووجدت في كتاب « مختصر مقنع المحتاج في آداب الازواج »

« ومنها تعظيم (العنصـــرة) و (الحاجـــوز) وذلك أمر لا يجوز ... لانهما من اعياد الكفار ...! »

686 ـ جـــوطـــــــة ...

وجدت في كتاب « الدرر البهية » الجزء الثاني ص 14 .

« جوطة : قرية عظيمة على نهر سبو . حيث هي اليوم بلاد أولاد عمران . من الخلط خربت منذ زمان وتحريفهـــا النهـــر ... »

687 ـ يهدي به مشطا الى اقرع ... !

وجدت في مخطوطة (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق) للبلـــوي :

« مدح ابو الحسن بن الفضل احـــد الـوزراء بمراكش وكان اقرع فلم يشبه . فقال :

اهديت مدحي للوزير الـذي

دعا به المجد فلـم يسمـــع

فعامل الشعر اليه كمـــــن

يهدي به مشطا الى أقرع ..!

688 ـ الحكمـــة المخفيـــــة ... !

وجدت في فهرست الشيخ محمد بن قاســـم القادري المطبوعة على الحجر بفاس . عند ترجمـــة لشيخه ابي العباس احمد المرنيـــي رحمهما الله :

« وكانت في وجهه بشاشة وفي مجلســه دعابة. يمزح مع الطلبة في مجلس درسه كثيرا .. ! ويلقي عليهم ما ينيلهم سرورا .. ! ويورد حكايات عجيبة . ونوادر غريبة ..

فمنها انه كان يقول .

ـ من اراد الحكمة المخفية . فعليه بخليـــل والالفيـــــة .

689 ـ زربـــــوط وقنبـــــوط ... !

وجدت في كتاب (الذخيرة في محاسن اهـــل الجزيرة) لابي الحسن ابن بسام الشنتريني المتوفى سنة 542 هـ ج. 1 . ق. 1 . ص 31 . القاهـــرة 1939 . اثناء كلامه على معركة « قنتيش » التـــي دارت رحاها سنة 400 هـ

« ... واصيب فيها زربوط الطنبوري . واقام الطنبوريون اصحابه عليه ماتما مشهورا بعد الحادثة .! وهلك في تلك الوقعة اخـــلاط من الناس . وكـــان بعض الظرفاء يقول :

ـ من كل طبقة اخذت وقعة « قنتيش » حتى من اهل الباطل ... ! فانها الصقت بالصميم في قتل قنبوط الملهي . وزربوط المغني ونمطهمـــا ... ! فهيهات ان يخلف الدهر مثلهما ... !!! »

فـــاس : عبد القادر زمامه

عودة الى موضوع

الشعر الجاهلي

● نشر الباحث السوري الاستاذ سعيد الافغاني مقالا في عدد يناير من مجلة « العربي » الكويتية تحت عنوان « انصافا لطه حسين » دعا فيه الى مراجعة كتابي « حديث الاربعاء » و « في الشعر الجاهلي » اللذين اثار بهما طه حسين معركة ادبية وفكرية لا تزال آثارها متمكنة في دنيا الفكر والادب والثقافة ، الى يومنا هذا . وقد اكد الباحث تراجع طه حسين عن آرائه مشيرا في نفس الوقت الى مقال نشر في مجلتنا في احد اعداد السنة الماضية .

يقول الاستاذ سعيد الافغاني :

« ان الذي حداني على كتابة ما تقدم امران :

اولهما امانة في عنقي على ابراء ذمتي منهـا ، اديتها لوجه الحق ، وقد ذهب الرجل لقاء ربـه ، فحق علي ان اشهد بما سمعت منه . وقد قمت بذلك في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ كما اسلفت ـ بعد ان ادى الدكتور الحوفي شهادته برجـوع طـه حسين عن رايه ايضا في انتحال الشعر الجاهلي ـ لكن ذلك كان مثا في مجلس محدود ، وبيئة خاصة قليلة جدا بعدد افرادها وان عظمت كفايتها واعيده هنا على نطاق اوسع .

والامر الثاني ما نشرته مجلة (دعوة الحق) (عدد 5 ـ السنة 17 ـ محرم ـ يناير 96 هـ ـ 1976) التي تصدرها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في المملكة المغربية بعنوان (رأي طه حسين في الشعر الجاهلي) وهو تلخيص مدرسي لكتابه (في الشعـر الجاهلي) . ولا ريب في انك علمـت الان ان في العنوان ظلما لطه حسين بعد ان رجع عن رأيـه . وليت الكاتب اشار الى السنة التي رأى فيها طـه حسين ذلك الراي فقال : « رأي طه حسين سنـة 1926 في الشعر الجاهلي » .

خمسون عاما مضت على رأي رآه ، عورض فيه، والفت في الرد عليه كتب (موضوعيـة) جيـدة ، افيجوز في شرعة الحق والانصاف ان نظن ان طه ـ بعد هذا كله وطوال تلك الاعوام التي قاربت الخمسين قد ظل جامدا على رايه الذي رآه في اول شبابه بعد كل ما بينوا له ؟ فاين حصافتـه اذا ، واين فهمـه وانصافه ، وكل الذين عرفوه شهدوا له بهذه الفضائل الثلاث ؟ وهي شهـادة حـق .

هذا ما رايت واجبا بيانه بعد اطلاعي على مـا نشر في تلك المجلة الرفيعة ، انصافا للحقيقة وابراء للذمة . وانقاذا لمن يضع هذين الكتابين في ايـدي طلابه . وهو لا يعرف ان مؤلفهما رجع عما فيهمـا رجوعا قاطعا لما نضح ويرىء من فتنة لفت النظـر واثارة الضجيج . وحق على تاريخ الادب ان يشهد بفضيلته في التصحيح كما كان نـدد يتورطـه في شبابه بتحمسه لرأي غير نضيج .

لدعوة الحق الخلود ، ولحامليها التحية ، وعلى طه حسين الذي انصف نفسه قبل ان تنصفـه ـ رحمـه اللـه » .

أبحاث ودراسات

- انهـا أزمـة فـكـر
- ابن خلـدون والتربيـة

إنها أزمة فكر
لا أزمة نقد وشعر

للأستاذ أحمد زياد

كثر الحديث ومنذ سيزداد كثرة وترديدا في المستقبل المنظور حول ازمة الشعر والنقد ، وهو حديث أو هي أحاديث شجون ، وأحاديث أشجان ايضا ، فمنها من يتناول قضية الشعر على انها تعاني تعثرا متواليا أتابها وما يزال يتنابها ، وان أسباب هذا التعثر مردها الى هذا وذاك من الاسباب التي تكون في اغلب الاحايين تحوم حول العرض والشكل، دون ان توفق الى النفوذ نحو جوهر القضية ، وتلمس المنهج وبعين الاسلوب يعني بقضية النقد ، ولا أدري هل أن هذه الكيفية التي يقع بها تناول قضيتي النقد والشعر يمكن تصنيفها ووصفها وتلخيصها في خطة يجانبها التوفيق بكل تأكيد ؟ اما انها هروب من جوهر المشكل بواسطة التلصق بعرضه وشكلياته ؟ وبمعنى أكثر وضوحا فان الاهتمام الملحوظ يفضل ـ اما عن قصد او بدونه ـ الانصراف الى تقييم اطار الصورة وبعض اللمسات بدلا من الاهتمام بها وتمحيصها تمحيصا شاملا وعميقا كل لا يتجزأ .

ويضاف الى هذه الملاحظة انعدام الوضوح في اغلبية تلك الاحاديث التي تعنى بأمر الشعر والنقد ، سواء من الوجهة المنهجية الصرفة ، او من الوجهة التقنية التي تمثلها اساليب تلك الاحاديث ولغتها كذلك .

وعلى ذلك فانه يصبح لزاما وضع المشكل على حقيقته حتى يمكن تصوره على حقيقته وحتى يمكن تبعا لذلك ان تتضح الرؤيا ليتيسر البحث عن الحلول المتطلبة واللازمة وهذه حتمية تفرض علينا فرضا ان نضع الازمة وضعها المناسب ونسمي الاشياء بمسمياتها ونعلنها صريحة واضحة بأنها ازمة فكر لا ازمة نقد وشعر .

فمنذ سنوات وبعد الاستقلال وضعت الحركة الفكرية فيما وضعت فيه شؤوننا الاخرى .

وكان وضعها يقتضي اختيار النوعية التي ينبغي ان تكون عليها عربة الثقافة في القطار العام ، بلغه السكك الحديدية ، وكيفية تسييره لتنطلق جميع عرباته نحو حد محدود في مسيرة منضبطة وعلى قضبان متينة ومضمونة وبقيادة وتوجيه يتطلعان الى كل جديد دون ان يتنكرا لكل قديم .

فهل تحققت هذه الانطلاقة وهذه الكيفية ؟ الجواب : وبصرف النظر عن باقي عربات القطار الاخرى ، فهل عني بعربة الثقافة في القطار العام وهل وقع اعدادها وتطويرها خلال مسيرتها لهذا الامد من السنوات ؟

صحيح اننا لم نكن نتوفر قبل الاستقلال على ثقافة واسعة الارجاء متعددة المشارب مطعمة الابواب والفصول .

وصحيح ايضا ومنطقي تبعا لذلك ، اننا كنا فر على المادة الخام لثقافة قومية كان يمكن ان ن اوسع واكثر فسحة ، الا ان الظروف القاسية ي كانت سائدة في عهد ما قبل الاستقلال لم تكن سمح باجراء عملية تحويل واسعة لتلك المادة ، ع ذلك فان طليعة من المثقفين المناضلين استطاعوا يحولوا ما كان في وسعهم ان يحولوه من تلك ادة الى الوان من الثقافة كان ولا بد من ان تطبع بع الابداع مضمونا واسلوبا ولغة ، وهو طابع كان بد مرة اخرى من ان يصورها في الكثير من حابين على انها ثقافة لا تتمتع بكامل حريتها ، مني ذلك انها لم تكن تستطيع الابداع الا في نطاق محدود من الظروف والملابسات التي تحيط بها اقب انفاسها وتتجسس على خطواتها ، ومع كل ، ومع ما هو اكثر من ذلك وما كانت تعانيه الثقافة تلك الحقبة .

فلقد استطاع مناضلون عصاميون ان ينتزعوا روبا من الوان الثقافة بمقتضى مضامنها ومفاهيمها تلك الحقبة ، وهي مضامين ومفاهيم كانت مقاييسها ر وتقييم الانتاج الثقافي بتلك المعايير التي كانت دة في ذلك العهد اي منذ اكثر من ثلاثين سنة ا كان يستطاع « تهريبه » من منشورات الشرق ربي ومن وراء اداب مصر بالذات ، ولئن كانت بضاعة غرب من الوان الثقافة يصح وصفها ونعتها زجاة فانها مع ذلك كانت تمثل شيئا وكانت الى ب ذلك تتطور كيفا وكما بمرور السنوات بما اه من وسائل التثقيف والتعليم الواردة من بلاد رق العربي ، حتى انه ليمكن القول ويصح ان « الانتفاضة » الثقافية التي كافحت طويلا في يل البقاء لم تفتر منذ بداية الثلاثينيات محققة دة الفكر بين الجنوب والشمال في وقت كان فيه ع التقسيم الترابي مفروضا ومعمولا به .

كان ادب المقالة الادبية وطابع المقال السياسي منهاج الدراسي في الابحاث والدراسات ومحاولات ية في القصة والاقصوصة وانتاج شعري واضحا تجاهه وملامحه واسلوبه ولغته كذلك ، وتمشيا هذه الخطوات كانت هنالك حركة نقد تستمد بسها هي الاخرى من الواقع المغربي .

وبالرغم عما كان يعانيه الوصن من ضيق فكري الوسائل ومن مضايقة في حرية التعبير فان عهد قبل الاستقلال تمكن من انتاج بضاعة فكرية ، ولو انها مزجاة فانها عبرت عن وجود ومطمح واهداف ، وكانت في اغلبها ثقافة متجاوبة مع الجماهير موضوعيا ومفهوما واسلوبيا ولغويا ، وكانت بالاضافة الى كل ذلك تعرف ماذا تريد وتعرف الطريق المؤدي الى ماذا تريد ، وكان من الممكن بل ومن الواجب تطوير هذه الحركة بالدعاية والعناية والسهر على تلقيحها وتطعيمها بما يجد في واقع البيئة المغربية وبما يجد خارجها من عناصر التطعيم والتلقيح ، فهل حدث هذا؟

انه لم يحدث شيء كثير من ذلك مع مديد الاسف وتلك هي العقدة المزمنة في أصل الازمة الفكرية التي عانى ويعاني منها مغرب الاستقلال .

وربما لم يكن بالشيء الجديد القول ان الوضع الثقافي لم ينل من العناية والرعاية في اوائل عهد الاستقلال ما كان يجب ان يناله ، ومرد ذلك الى انه لم يدمج ادماجا ولم يستعمل كسلاح للتعبئة في مرحلة بناء الاستقلال ، اما لماذا لم يقع ذلك ، فتلك قصة اخرى تجرني الى السياسة وتخرج بي عن موضوع الثقافة الذي حددته لنفسي في هذا العرض، وكنتيجة لهذه الهفوة فان امر الثقافة لم تجر عليه عملية ربط بين عهدين وحقبتين ، ولم يعن فيه بالتعريبة الثقافية بالقدر الذي عني بتعريبات اخرى في قطار عهد الاستقلال ، وبلغة السكك الحديدية مرة اخرى .

وساعدت « نشوة » الاستقلال ، و «النشاوة» على الانصراف الى اشياء اخرى ربما كانت اكثر نفع وايرادا من الثقافة .

وفي غمرة هذه النشوة ظهرت معايير ومقاييس لمجموع جوانب الحياة العامة في البيئة المغربية لعهد الاستقلال ، وجاء ترتيب الثقافة في حاجياتها لا ليحتل المرتبة التي كان ينبغي ان يحتلها ، فكان طبيعيا والحالة هذه الا يتحقق عنصر « الاستمرارية» في الثقافة حتى اذا خفت حدة « نشوة الاستقلال » وتحتم تصنيف عوامل النهضة العامة لعهد الاستقلال ظهر نوع ان لم اقل انواع من التجاذب والجاذبية في امر الثقافة وانتمائها واختياراتها في المضامين والمفاهيم وفي الاسلوب بل وحتى في لغة الكتابة والتعبير .

وبما انه كان ولا بد لثقافة عهد الاستقلال من ان تتطلع الى مصب يمكنها ان تتأثر بمجرياته ، فانها

أولت الأسبقية الى الشرق العربي مثلما وقع وحدث لثقافة ما قبل الاستقلال الا ان الوضع الثقافي العام في الشرق العربي كان هو الآخر قد دخل مرحلة قيل عنها انها مرحلة تجديد حيث بدا في اوائل الخمسينات يحاول ان يكيف نفسه تكييفا تمت باكثر من وصف وحمل اكثر من شعار ، بيد انه سرعان ما زج به في بحر لجي من الاتجاهات والمذاهب التي الت ببلاد المشرق العربي الى وضعية دقيقة وخطيرة من المتناقضات الفكرية ، كان من الطبيعي ان تطفو بسيماتها وعلاماتها فوق سطح المجتمعات العربية عموما .

ولذلك فانه يحق القول ان الثقافة في المغرب بعد الاستقلال لم يكن لها في تطلعها نحو الشرق العربي نفس الحظ السعيد الذي حظيت به اختها قبل الاستقلال حيث كان الوضع الثقافي يتوفر على استقرار ملحوظ ، واختيار واضح ، وخط مستقيم ، وقيادة فكرية واعية ، وذلك بالرغم عما كان يرمي بها الوضع السياسي في الشرق العربي خلال تلك الفترة . تارة باللمز واخرى بالغمز — من انحراف وفساد .

وتلك مميزات وخصائص كان لها ولا بد من ان تكون ضمن ما يتوارد على ثقافة المغرب في عهد الاستقلال من مؤثرات خارجية بدات انعكاساتها تبدو سلبا وايجابيا فيما يكتب وينشر ، وكان الجانب السلبي فيها يتميز بالخلط والحيرة والارتباك والاهتزاز وعدم وضوح الرؤيا في الخط العام لثقافة عهد الاستقلال وهذا ما يبدو جليا في الساحة ليرسم ظلاله المشوشة على ما يظهر من انتاج يشخص ويجسم ازمة في الكل لا ازمة في الجزئيات فحسب كما يراد وضعها وتصورها وتصويرها ايضا ، فلا غرابة ان لاحظت انعدام النمو في سوق الاستهلاك الثقافي بالقدر الذي كان يجب ان يكون عليه الوضع الثقافي في عهد الاستقلال .

فالانتاج الذي يعد وينشر لم يستطع في اغلبيته ان يتجاوب مع الجماهير المغربية لانه احيانا يتعمد التعالي عن تفكيرها وواقعها وبيئتها ، واحيانا في التعالي فانه يستخدم في مخاطبتها لغة يصعب استجلاء اسرارها حتى على المتعلم ذي المستوى المتوسط فبالاحرى القارىء المبتدىء وهو يفعل كل ذلك لمجرد التعالي ومحاولة منه للظهور بمظهر يمكن اضفاء اي نعت من النعوت عليه ، الا انه انتاج يعرف مراتبه ويضبط وسائله .

ويعرف هو نفسه ليعرفه الناس ، اذ كل انتاج فكري لا يحدد هويته لنفسه بكل ضبط وفي منتهى الدقة يكون غير قادر على اداء رسالته وخصوصا في بلد ما يزال في مرحلة النمو الذي اثبتت التجارب ان التعقيد والتمييع يلحقان افدح الاضرار بمسيرته في مختلف الميادين ، وهما نقيصتان اثبتت الاوضاع والاحداث والتجارب كذلك ان اعداء تقدم البلدان النامية يستخدمونهما بعد ان يفلحوا في تربيتهما كسلاح في محاولة منهم لعرقلة مسيراتها لمقاومة التخلف واستئصال اسبابه وجذوره .

وهكذا فان ما تتعرض له الثقافة في البلاد العربية عموما وفي بلدان العالم الثالث بصفة اعم من ضحالة وحيرة وارتباك وانعدام في الهوية وضباب في الرؤية مرده اولا وقبل كل شيء الى فقدان الذاتية الفكرية او محاولة تكوينها من عناصر غريبة عن الجسم القومي الذي يعد رفضها له امرا طبيعيا ومنطقيا .

ولئن كانت سنة التطور تقضي بالتجديد والتحويل والتطعيم والتفتح والتجاوب مع كل تراث انساني فان ذلك لا يعني مطلقا نسخ ثقافة باخرى : والتعبير عن الاحاسيس والمشاعر لشعب بمقلد رسم صور غيره من الشعوب الاخرى ، فلكل مقام مقال ، ولكل بيئة مقوماتها وخصائصها ومعدنها الذي لا مفر من الاعتماد عليه في كل بيئة فكرية بمعناها الواسع .

واذا كان الالتزام الثقافي يعتبر من بعض الوجهات ضرورة فان الثقافة في بلدان العالم لن تكون غير ملتزمة بطبيعتها وبالنوعية الخصوصية في مهمتها ، ومن ثم فان قضية الالتزام غير واردة لان كل ثقافة غير ملتزمة فان عدم التزامها يرجع الى انها فاقدة لذاتيتها وشخصيتها ولانعدام الرؤيا في غايتها التي ينتج عنها طبعا ضعف الوسائل في الاداء وحسن التبليغ .

ولعل اصل ازمة الفكر في المغرب انما تكمن او لعلها تكمن في عدم الالتزام بالاستمرارية بين عهدين والابتعاد عما نسميه بالذاتية الفكرية المغربية لتبلور في اطارها نمو ثقافي واضح المضمون ،

ستقيم الفكر سلس اللغة ، متفتح المنافذ عن كل ما
ن شأنه ان يطعمه من دون ان يمسخه او يحوله الى
ار وكلمات متقاطعة واشكال من اللوغارتم ثم يقال
جماهير « هاكم اقرأوا ثقافتيه » .

ذاك هو اصل الازمة بكل بساطة ، وبالمقابل
ل بساطة فان التغلب على هذه الازمة هو نقض
لها الذي ما فتئت مغازل مختلفة تنسجه منذ
خوات ، وفي تكاثف الجهود من اجل صياغة ثقافة
ربية عربية اسلامية ذات هوية اولا ، وتتمتع
رونة وقابلية للاخذ والعطاء ثانيا ، وواضحة الرؤيا
لثا ، وقادرة على التجاوب مع الجماهير رابعا ؛
كل يقين فان مراعاة هذه الامور والتغيد بها لهما
مران الكفيلان بابراز واخراج الصور الحية لثقافة

يمكن تصنيف الوانها تصنيفا مثلما تصنف انواع
الزهور في المرهرية بلغة الشعراء .

وبعد : فتلك في نظري هي حكاية ازمة الفكر
بمنتهى البساطة وبعيدا عن كل تعقيد يزيدها تعقيدا
كلما وضعت في غير هذا الاطار المبسط والبسيط .

وما احوجنا الى ان نقتنع ونعبر عن اقتناعنا
بسلوك جدي ياخذ كل قضية من قضايانا الفكرية
والاجتماعية والسياسية بمأخذ جدي وخصوصا في
هذا الزمن الذي يلهث وراء زحفه المتخلفون -
عسى ان يلحقوا به ، اما العابثون فانهم لن يلحقوا
به ، لانهم عابثون .

احمد زياد

● صدر بتطوان كتاب « تنبيه الاكياس للاقتصاد في المآتم والاعراس » لمؤلفه المرحوم الفقيه سيدي محمد بن التهامي افيلال . وقد اشرف على طبعه الاستاذ حسن عبد الوهاب . والكتاب دعوة اصلاحية تهدف الى التحذير من بعض البدع والتقاليد المنتشرة في المجتمع المغربي والمنافية لتعاليم الاسلام .

ابن خلدون والتربية

للدكتور أحمد الشرباصي

تحدث ابن خلدون عن التربية والتعليم حديثا له قيمة وأهمية في كتابه المشهور « مقدمة ابن خلدون»

ويرى ابن خلدون أن تعلم القرآن الكريم هو الاساس في التربية والتعليم ، وفي ذلك يقول : « اعلم ان تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، اخذ به أهل الملة ، ودرجوا عليهم في جميع أمصارهم، كما يسبق فيه الى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الاحاديث ، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات » (2) ، وهذا النص يؤكد لنا خصوص التربية العربية الاسلامية على أساس من الدين .

ثم يبين ابن خلدون اختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في تعليم الاولاد ، فأما أهل المغرب فمذهبهم الاقتصار على تعليم القرآن فقط ، واما اهل الاندلس فيجعلون الاساس تعليم القرآن ، ويصنفون رواية الشعر والاخذ بقواعد العربية وتجويد الخط ؛ واما أهل افريقية فيجمعون بين تعليم القرآن والحديث وقوانين العلوم وتجويد الخط ، واهل المشرق يقاربون أهل افريقية (3) .

ويشير ابن خلدون الى الفوائد الاخلاقية التي يثمرها التعليم ، فيقول : « وقد يقال : من أخذ نفسه بتعليم الحساب اول امره انه يغلب عليه الصدق، لما في الحساب من صحة المباني ومناقشة النفس، فيصير بذلك خلقا ، ويتعود الصدق ويلازمه مذهبا» .

ويعلق الدكتور وافي على ذلك بأن « نظرية القواعد الخلقية للعلوم » التي يظن انها من نظريات المحدثين من علماء البيداجوجيا قد قال بها ابن خلدون قبل أن يظهر هؤلاء بأكثر من أربعة قرون .

ويأخذ ابن خلدون بمبدأ التدرج في التعليم ، حيث يعطي المعلم تلميذه مسائل الفن من الفنون (4) مختصرا أولا ، ثم يذكر له ذلك جانبا من المفصيل مع لون من التطويل ، ثم يعود به الى الاستقصاء والاستيعاب . يقول في ذلك : « اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيدا اذا كان على التدريج شيئا فشيئا ، وقليلا قليلا ، يلقى عليه أولا مسائله من كل باب من الفن هي اصول ذلك الباب ، ويقرب له في شرحها على سبيل الاجمال ، ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه ، حتى ينتهي الى آخر الفن ، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك

---

(1) كتاب الغزالي والتصوف الاسلامي ، ص 79 ـ 81 . طبعة دار الهلال سنة 1965 .
(2) مقدمة ابن خلدون ، ج 4 ص 1239 ، طبعة الدكتور وافي .
(3) يراجع التفصيل في المرجع السابق ، ص 1240 ـ 1243 .
(4) المراد بالفن هنا المادة من مواد العلوم ، كالفقه والنحو وغيرهما .

علم ، الا انها جزئية وضعيفة ، وغايتها انها هيأتـــه بهم الفن وتحصيل مسائله .

ثم يرجع به الى الفن ثانية ، فيرفعه في التلقين ى تلك الرتبة الى اعلى منها ، ويستوفي الشـــرح لبيان ، ويخرج عن الاجمال ، ويذكر له ما هنالـك ى الخلاف ووجهه ، الى ان ينتهي الى آخر الفـــن تجـــود ملكتـــه .

ثم يرجع به وقد شدا (5) فلا يترك عويصـــا ولا مهما ولا مقلقا الا وضحه ، وفتح له مقفله ، فيخلص ى الفن وقد استولى على ملكته . هذا وجه التعليم مفيد ، وهو كما رأيت انما يحصل في ثلاث تكرارات ، قد يحصل لبعض في اقل من ذلك بحسب ما يخلق لـــه ويتيســـر عليـــه » (6) .

ويحمل ابن خلدون على أولئك المعلمين الذين مدون الى اساليب التعمية والتعقيد مع تلاميذهم ؛ قول : « وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد ـي ادركنا ، يجهلون طرق التعليـــم وافادتـــه ، حضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من علم ، ويطالبونه باحضار ذهنه في حلها ، ويحسبون لك مرانا على التعليم وصوابا فيه ، ويكلفونه وعسي لك وتحصيله ، ويخلطون عليه بما يلقـــون لـــه من يات الفنون في مبادئها ، وقبل ان يستعد لفهمها ، ن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجا » .

ولذلك لم يكن عجيبا أن يطالب منذ البدايـــة ـافر الملكة والحذق والخبرة بقواعـــد التدريس لتفنن فيه عند المعلم ، فيقول : « الحذق في العلم لتفنن فيه والاستيلاء عليه انما هو بحصول ملكة في حاطة بمبادئه وقواعده ، والوقوف على مسائلـه ، ستنباط فروعه من اصوله ؛ وما لم تحصل هـــذه ملكة لم يكن الحذق في ذلك المتناول حاصلا ، وهذه ملكة هي غير الفهم والوعي » .

ثم يقول : « ان تعليم العلم صناعة » فلها اصول واعد لا بد من التمرن بها (7) .

—×—

ويؤكد ابن خلدون أن الشدة في التعليم مضرة ، وانها تذهب بنشاط النفس ، وتعود التلميذ الكذب والخداع وسوء الاخلاق ، يقول : « ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخـــدم سطا به القهر ، وضيق على النفس في انبساطهـــا ، وذهب بنشاطها ، ودعاه الى الكسل ، وحمـــل على الكذب والخبث ، وهو التظاهر بغير ما في ضميـــره خوفا من انبساط الايدي بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقا ، فـــدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن ، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله ، وصـــار عيالا على غيره في ذلك ، بل وكسلت النفس عـــن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عـــن غايتها ومدى انسانيتها ، فارتكس وعاد في اسفـــل السافليـــن » .

ويعني ابن خلدون بالتجربة في التعليم والتربية ، ويلفت النظر الى الاهتمام بالتجربة في المواد العملية قبل شوق العلوم النظرية ، فيقول : « النفس الناطقة للانسان انما توجد فيه بالقوة ، وان خروجها من القوة الى الفعل انما هو بتجدد العلـــوم والادراكـــات عن المحسوسات أولا ، ثم ما يكتسب بعدهـــا بالقـــوة النظرية ، الى ان يصير ادراكا بالفعل وعقلا محضا ، فتكون ذاتا روحانية ، وتستكمل حينئذ وجودهـــا ، فوجب أن يكون كل نوع من العلم والنظر يفيدها عقلا فريدا ، والصنائع ابدا يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة ، فلهذا كانت الحنكة في التجربة تفيد عقلا ، والملكات الصناعيـــة تفيـــد عقـــلا ... » (8) .

وقال ابن خلدون ايضا عن التجربة في المـــواد العملية : « اعلم ان الصناعة هي ملكة في أمر عملـي فكري ، وبكونه عمليا هو جسماني محسوس ، والاحوال الجسمانية المحسوسة نقلها بالمباشرة أوعب لهـــا وأكمل ، لان المباشرة في الاحـــوال الجسمانيـــة المحسوسة أتم فائدة ، والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل ، وتكرره مرة بعد أخـــرى ، حتى ترسخ صورته ، وعلى نسبة الاصل تكون الملكة ، ونقل المعاينة واعب وأتم من نقل الخبـــر والعلـــم ،

---

(1) يعني أخذ طرفا من العلـــم والادب .
(2) المرجـــع السابـــق ، ص 1233 .
(3) المقدمـــة ، ج 3 ص 985 .
(4) المقدمـــة ، 2 3 ص 971 .

فالملكة الحاصلة عنه اكمل وارسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر ؛ وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته » .

— x —

ويدعو ابن خلدون في التربية والتعليم الى مبدا المناقشة بين المعلمين والمتعلمين ، ويعد ذلك اساسا مهما في طلب العلم ، ولذلك يعيب على طائفة من التلاميذ أنهم لايناقشون ولا يحاورون : « تجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من اعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفوضون ؛ وعنايتهم بالحفظ اكثر من الحاجة ، فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعلم ؛ ثم بعد تحصيل من يرى منهم انه قد تحصل تجد ملكته قاصرة في علمه ان قاوض او ناظر او علم » (9) .

وينوه ابن خلدون بتعريب العرب العلوم عن الامم ونقلها الى اللغة العربية ، وانهم جردوها من تلك اللغات الاعجمية الى لسانهم ، واصبحت اصول الكتب التي عربوها نسيا منسيا عندهم ، واصبحت العلوم كلها بلغة العرب ، ويقرر ان التمكن من اللغة العربية يسهل عليه فهم المعاني في مختلف كتب العلوم ، حتى ولو كان اعجمي الاصل ، لانه بدأ به على المعلم ، والمران على اللغة العربية وممارسة الكتابة بها يفضيان بالانسان الى تمكن الملكة عنده ، كما يشاهد في علماء الاعاجم الذي تعربوا واجادوا العربية (10)

ومن الطرائف في حديث ابن خلدون عن التربية والتعليم ما يذكره عن طريقة اهل الاندلس والمغرب ، اذ كانوا يتبعون في تعليم الكتابة طريقة « محاكاة الخط في كتابة الكلمات جملة ، ويكون ذلك من المتعلم ، ومطالعة المعلم له الى ان تحصل له الاجادة ، وتتمكن في نيابه الملكة » . ويعلق على ذلك الدكتور وافي بقوله : « ان ان هذه الطريقة امثل طريقة من الوجهة التربوية لمسايرتها للواقع من جهة ، لطبيعة العقل الانساني من اخرى ، فالواقع ان الكلمة هي التي لها مدلول في ذهن الطفل ، اما الحرف فلا مدلول له ، والعقل الانساني ينتقل بطبيعة من ادراك الكل الى ادراك اجزائه (11)

— x —

ونظرة ابن خلدون الى مواد العلوم نظرة فسيحة واسعة ، وقد يشهد لذلك أننا نراه يتحدث عن بعض العلوم التي نستطيع أن نسميها اليوم «علوم الفضاء» ، فهو حين يتحدث عن علوم النظر في المقادير يقول : « ورابعها علم الهيئة ، وهو تعيين الاشكال للافلاك ، وحصر اوضاعها وتعدادها لكل كوكب من السيارة ، والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ، ومن رجوعها واستقامتها ، واقبالها وادبارها » . ثم يقول : « ومن فروع الهيئة الازياج ، وهي قوانين لحسابات حركات الكواكب وتعديلها ، للوقوف على مواضعها في قصد ذلك » (12) .

وهو ايضا يعدد علوم النظر في المقادير ، ويذكر منها علم الهندسة ، وعلم الحساب ، ويقول : « وعلم الموسيقى ، وهو معرفة نسب الاصوات والنغم بعضها من بعض ، وتقديرها بالعدد ، وتمرته معرفة تلاحين الغناء » .

وقد ينبغي لها هنا ان نتذكر ان حجة الاسلام الغزالي قد عقد في كتابه « الاحياء » بابا طويلا عن السماع ، ابان فيه بتوسع الاثر العميق للالحان في نفس الانسان ، وذكر فيه اقوال العلماء ، ثم اورد الادلة على جواز اباحة السماع للغناء والالحان (13).

وليس هذا هو الشبه الوحيد بين الغزالي وابن خلدون في حديثهما عن التربية والتعليم ، فقد اشتركا واشترك معهما غيرهما في عدة امور منها : ان العلم اهم غرض ، وان العلم بالتعلم ، وان العنصر الديني مهم في التربية ، وعماد ذلك هو القرآن الكريم وانه يجب التلطف والتدرج في التربية ، وان العلم للعمل ، وان المعلم يحتاج الى مهارة وخبرة ، وان

(9) المقدمة ، ج 3 ص 987 .
(10) المقدمة ، ج 4 ص 1252 .
(11) ج 3 ص 950
(12) ج 4 ص 1086 .
(13) الاحياء ، ج 6 ص 136 — 199 .

جربة العملية مهمة في التحصيل ، وان العلـ.وم
باوتة الدرجات ، وانه ينبغي مراعـــاة النزعـــات
طريـــة .

واعود لاذكر ان هذه المجة عن علمين من اعلام
ربية العربية ، وهما الغزالي وابن خلدون ، لم يرد
ا الا اعطاء نموذج مختصر لجهود شخصين ازدان
تاريخ التربية عند العرب ، ومن الممكـــن عنـــد
ساع المجال أن تستعرض جهود غيرهما من أعـلام
ربية العربية ، وان نقارن بينهم ، وان نتبين كيـف
هؤلاء الاعلام في تكييف الاسس التاريخية التـــي
اها لنا التراث العربي التربوي ، لنزداد ايمانا بأن
لافنا قد خلفوا لنا ما نستطيع أن ننتفع به . وان
تمد منه ، وان نفاخر غيرنا عن طريقه .

نحن وتراثنا التربوي

وبعد هذا نستطيع ان نمضي على طريق الانتفاع
ه الاسس التاريخية في حاضرنا او مستقبلنـــا
ربوي . واذا كان هناك من يقول : ان تراثنا فيـه
شيء ، وينبغي ان نعود اليه ونقتصر عليه ، وكان
اك من يقول : انه ينبغي لنا أن نعد تراثنا القديم قد
نتقد اغراضه ، ويجب ان ناخذ من غيرنا ممـــن
يقونا كل شيء ، فان القول العدل الفصل هـــو أن
ل : ان في تراثنا اشياء ينبغي أن نعتز بها ونحرص
ها ، ونحتاج من غيرنا الى أشياء لا خير اذا اخذناها
ه ، والحكمة ضالة المؤمن .

لا يليق بنا ان نحبس انفسنا في محراب تراثنا
ربوي القديم الذي وقفت نهضته منـذ قـــرون .
لت واقفة عدة قرون ، كما لا يليق بنا ان نهجر هذا
حراب ، ونولي وجوهنا على الدوام شطر غيرنا ،
تمد منه كل شيء تاركين تراثنا الجليل الضخـــم
رضا للضياع . ولكن اللائق بنا هو أن نوجد توازنا
، النزعة السلفية الغالية في المحافظة على القديم ،
نزعة المتلدة الغالية في متابعة الغرب .

واذا كان التطور سنة الحياة ، فان هذا لا يمنع
يكون عصر قد مضى راقى — في جانب أو جوانب —
عصر لاحق يقبل بعد ذلك .

وفيما يلي أمور يمكن ان نلتقطهـــا من طريـــق
تفـــاع بتراثنا :

1 — اذا كانوا قد قالوا ان سقراط قد نزل بالفلسفة
من السماء الى الارض ، ووثق صلتها بشؤون
الانسان الاجتماعية والسياسية والخلقية ، واذا
كانت الفلسفة قد انتقلت من البحث فيما وراء
الطبيعة الى حياة الانسان ومطالبه ، فان التربية
اولى من الفلسفة بأن تسلك طريقها العملي نحو
اعداد الفرد والجماعة ، اعدادا جسميا ونفسيا
وعقليا ، وروحيا وقوميا وانسانيا ، ليتكـــون
المجتمع العاقل الفاضل المتاصل .

2 — تجب العناية بجعل التربية في العالم العربـي
وسيلة لتنمية الشخصية ، وضبط السلوك ،
وحسن المعاملة ، وانشاء العلاقات الكريمة بين
ابناء المجتمع ، وتعميق روح التعاون والتضامن
والمساواة .

3 — يجب ابراز الشخصية العربية ، وروح القومية
العربية في المدرس ، والمنهج ، والكتـــاب ،
والتميـ.ذ . والمدرســـة .

4 — يجب العناية كل العناية بالتربية الدينية علمـا
وعملا وخلقا . ولنذكر انه قد جاء في كتـــاب
(تطور النظرية التربوية » هذه العبارة :

« الفلسفة الناجحة يجب أن تتكيـــف طبقـــا
لقوانين الطبيعية المناسبة للحياة الروحيـــة ،
وما دمنا نتفق على ان هذا الكون الـذي نعيش
فيه تتخلله نغمة الهية ، وتربطه وحدة اخلاقية ،
فلتكن طرق المعيشة التي نسير عليها ونبغـي
لها النجاح متفقة مع القوانين الاخلاقية ، وعلى
التربية قبل كل شيء ان تقود النشـــيء الـى
الطريق الصحيح ، حيث يشع من وراء السحب
ذلك القبس العلوي المنير ، ممثلا في كل ما هو
حق ، وكل ما هو عدل ، وكل ما هو جمال .

وهكذا بدا كثير من الناس يعتقدون بحاجـــة
التربيه الى الدين ، ويقولون ان التربية اذا كان
يهمها أن تدعم صرحا المدنية الشامـــخ ، وان
تقف في طريق أمواج البربرية المتدافعـــة ،
فلتتخذ من الدين صخرة ترتكز عليها » (14) .

ولنتذكر ايضا أن المفكر الفرنســي « اميـــل
دور كايم » حينما حاول أن يقيـــم التربيـــة

1) تطور النظرية التربوية للاستاذ صالح عبد العزيز ، ص 185 ، الطبعة الثانيـــة .

الاخلاقية على اساس عقلي غير مرتبط بالناحية الدينية ، لم يستطع الاستغناء عن الدين ، بل قال في كتابه « التربية الاخلاقية » :
« اذا اكتفينا — حين نريد اخضاع الاخلاق او التربية الاخلاقية للعقل — بان نجرد الحقيقة الاخلاقية من كل ما هو ديني ، دون ان نعوض عن ذلك شيئا ، فان هذه العملية نفسها ستؤدي بنا حتما الى تجريد الاخلاق من بعض عناصرها الذاتية ، ولا يتبقى لنا حينئذ مما يصلح ان نطلق عليه اسم الاخلاق الا لون ضئيل شاحب. ولتفادي ذلك الخطر يجب الا نكتفي اذن بما نقوم به من فصل ظاهري ، بل يجب ان نذهب بعيدا: وان نقصد رأسا الى لب المبادىء الدينية ؛ لكي نبحث بين ثناياها عن الحقائق الاخلاقية المخبأة ، فنخلصها لكي نعرف كنهها تماما ؛ ونحدد طبيعتها الذاتية ، وبذلك يتسنى لنا ان نعبر عنها بلغة العقل ، وخلاصة القول انه يجب علينا الكشف عن الرموز العقلية لهذه الافكار الدينية التي ظلت مدة طويلة تجر في ركابها اهم الافكار الاخلاقية » (15) .

وليس معنى الاستشهاد بهذا النص اننا نوافق « دور كايم » على كل آرائه .

وينبغي ان لا ننسى ان نغرس الاطفال مجال خصب لغرس المبادىء الدينية بعبارة ودربة ، فلنبدأ بهم ، على ان يتسع نطاق التربية الدينية شكلا وموضوعا ، وثقافة وفكرا ، بتتابع مراحل الدراسة .

5 — ينبغي أن يكون هنا حرص موصول دائم — في التربية والتعليم ، على الربط بين العلميات والروحيات ، في المواقف المناسبة ، وبالطريقة الحكيمة ، خلال تدريس مختلف العلوم والمواد. وتلزم العناية بايضاح الصلة العميقة بين الدين والعلم ، ليكون الدين تزكية للعلم ، ويكون العلم تأكيدا لمبادىء الدين وحقائقه ، وينبغي ان لا تقتصر هذه العناية على مدرسي الدين والاخلاق، بل تشمل كل المدرسين بالمقدار الذي يناسب موادهم المختلفة .

6 — تلزم العناية بتوثيق العلاقة بين القومية العربية والعقيدة الدينية ، او بتعبير آخر : يلزم العناية بتوضيح الروابط التاريخية والفكرية بين العروبة والاسلام ، على اساس أن العروبة وعاء الاسلام ، وان الاسلام روح العربية ، ومما يستعان به على تحقيق ذلك الانتفاع بالقرآن الكريم في ربط الفرد العربي بالبيئة العربية من ناحية تاريخها وأماكنها وآثارها ، والانتفاع به كذلك في توطيد اللغة العربية ، وتوحيد كثير من مفرداتها في الاستعمال بين ابناء العروبة ، والانتفاع به كذلك في تثبيت مجموعة من القيم الروحية والمبادىء الاخلاقية التي تحتاج اليها الامة العربية ، واذا كان المسلم ينظر الى القرآن على انه دستور عقيدة ودين ، فان العربي — ولو كان غير مسلم — ينظر الى القرآن على انه وثيقة عربية باقية ، حفظت على العربية لسانها وبيانها والنمط الاعلى من اسلوبها وتعبيرها .

7 — ينبغي الانتفاع بالعنصر القصصي في القرآن الكريم ، وفي السنة المطهرة ، وفي السيرة العاطرة ، في جوانب من التربية والتعليم .

8 — ينبغي الانتفاع بالتاريخ المشترك للامة العربية، والادب العربي ذي الصبغة القومية العامة في التربية والتعليم ، ويترتب على ذلك توحيد المواد القومية في جميع الوطن العربي كالتاريخ والجغرافية والتربية القومية وسيرة الاعلام .

9 — يجب التزام التدريس باللغة العربية — بصفة اساسية — في جميع المدارس القومية والمدارس الاجنبية ، بحيث تكون اللغة العربية في كل هذه المعاهد هي اللغة « الام » ، ولا يجوز ان تدرس اي مادة من المواد القومية بغير اللغة العربية ، وان تكون هناك رقابة دقيقة وشاملة ومستمرة على المدارس الاجنبية حتى تطمئن دائما على تحقيق ذلك .

(10) يجب استكمال تعريب التربية والتعليم في كل المراحل الدراسية ، بما في ذلك الكتب الكتب والمصطلحات وطرق التدريس ، ولا

---

(15) التربية الاخلاقية « لاميل دور كايم » ، ترجمة الدكتور السيد محمد بدوي ، ص 10 ، طبع دار مصر للطباعة .

يتعارض هذا التعريب مع التمكن من اللغات الاجنبية في نطاقها ومجالها ، ولا مع الاستعانة بالخبرة العلمية أو التربوية اذا احتجنا اليها ؛ ولم يكن لدينا ما يقوم مقامها .

1) لكي تثمر التربية ثمراتها الطيبة اليانعة تجب زيادة العناية بتوثيق الروابط الروحية والعلمية بين الاستاذ والتلميذ على أساس الرعاية الحادبة المخلصة من جهة الاستاذ ، والاحترام والتوقير من جهة التلميذ ، وصلوات الله وسلامه على رسوله القائل : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ، ولم يرحم صغيرنا » .

— يجب التوسع في دراسة أعلام التربية العربية والاسلامية في كليات التربية والمعلمين ؛ بحيث تدرس حياتهم وكتبهم ومذاهبهم الفكرية ومناهجهم العلمية وآراءهم في التربية والتعليم . وكذلك نختار من كتبهم ما يصلح ليكون مقررا لمطالعة الطلاب .

— ينبغي ان تشيع التراث التربوي العربي الاسلامي في كل تاريخنا العربي ، لنستخلص منه منهجا تربويا عربيا متكاملا ، تظهر فيه الشخصية العربية التربوية بكل ملامحها وعناصرها ومقوماتها ، على أساس أن توفق بين اسس التربية في تراثنا العربي ومقتضيات او متطلبات التربية الحديثة التي تنشدها في الدولة العصرية العلمية التي نتوخى بنائها .

— ما زال « محو الامية » بين الكبار والصغار فرضا يطوق أعناقنا ، وتطالبنا به نهضتنا وقوميتنا وتاريخنا ، ولذلك يجب أن تتضاعف الجهود المؤيدة بالاساليب العلمية الحديثة للقضاء على الامية في ارجاء العالم العربي ، بلا تفرقة بين الكبار والصغار ، ولا بين الذكور والاناث .

(15) لا بد من انصاف عادل وشامل لرجل التربية والتعليم ، اذ لا يجوز بحال من الاحوال أن يتخلف ماديا أو ادبيا او اجتماعيا عن اي زميل له في الوظن ، لانه ينهض بأشرف الاعمال ، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام ما معناه : «ليس منا من لم يعرف لعالمنا حقه». ويجب كذلك أن يكون هناك مامن لمستقبل المعلم وشيخوخته ، وهذا هو واجب الدولة اولا ، ثم واجب الهيئات المسئولة من رجال التربية والتعليم .

ولنتذكر ان عبد الحميد الكاتب قد قال يخاطب معاشر الكتاب في عصره ، وهم أقرب الفئات الى المعلمين والمربين على عهدهم : « وان تبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه ، حتى يرجع اليه حاله؛ ويثوب اليه امره ، وان اقعد أحدكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه ، فزوروه وعظموه وشاوروه ، واستظهروا بفضل تجربته ، وقدم معرفته ، وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه ، أحفظ منه على ولده واخيه » (16) .

—×—

اما بعد ، فما اجدر هذه الامة العربية المؤمنة بان تقيم دعائم نهضتها وعزتها على اسس سليمة قويمة من التربية الواعية البصيرة ، والعلم الصحيح النافع ، فقد صدق الاحنف حين قال : « كل عز لم يوطد بعلم فلى ذل مصيره » . كان الله جل جلاله لامتنا على الدوام . وعلى الله قصد السبيل .

احمد الشرباصي

) صبح الاعشى ، ج 1 ص 86 .

المنظمة العربيـــة للتربيـــة والثقافـــة والعلـــوم
جوائـــز الادب الفلسطينـــي

● تعلن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عن الجوائز الثاليـة للادب الفلسطيني :

الرواية او المسرحية التي تعبر عن تلاحم النضال العربي الفلسطيني مع النضال العربي في مواجهـة الاستعمار والامبرياليـة والصهيونيـة الدوليـة :

— الجائزة الاولـى	600 دولار
— الجائزة الثانيـة	400 دولار
الجائزة الثالثـة	200 دولار

مجموعـة القصص القصيـرة :

الجائزة الاولـى	600 دولار
— الجائزة الثانيـة	400 دولار
— الجائزة الثالثـة	200 دولار

الشعـــــــر :

— الجائزة الاولـى	600 دولار
— الجائزة الثانيـة	400 دولار
— الجائزة الثالثـة	200 دولار

وتدعو المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الادباء الفلسطينيين الى ارسال انتاجهم الذي يرشحونـه لهذه الجوائـز الى ادارة الثقافـة بالمنظمة (109 شارع التحرير ـ ميدان الدقي ـ القاهرة) في موعد غايته منتصف اغسطس / 1977 ●

مكتبة دعوة الحق

- بديل البديل — للمرحوم علال الفاسي
- جامع القرويين — للدكتور عبد الهادي التازي
- مولاي عبد السلام بن مشيش — للدكتور عبد الحليم محمود

بديل البديل

تأليف الأستاذ المرحوم علال الفاسي

عرض وتقديم الأستاذ عبد الرحيم بنسعدية

ضمن منشورات دار الكتاب بمدينة الدار البيضاء صدر كتاب « بديل البديل » للأستاذ المرحوم علال الفاسي وهو عبارة عن الرد الذي خص به الفقيد العلامة الفرنسي روجيه جارودي .

والكتاب بالرغم عن صغر حجمه يعتبر دراسة مفيدة جدا بذل فيها الفقيد جهودا علمية مضنية لاستجلاء الحقيقة الاسلامية وتحديد معالمها عندما اتجه بالمقارنة والمقابلة بين المبادىء الاسلامية وبين المواقف والآراء التي ابداها جارودي في الشيوعية والاشتراكية والراسمالية .

ولا شك أن من شان هذه المقارنات التي اشتمل عليها « بديل البديل » أن تحدد المفهوم العام للاسلام في بناء الاقتصاد والمجتمع وتميزه عن غيره من المفاهيم الوضعية التي كثيرا ما تختلط به او تشوه من قواعده ، كما ان من شان هذه المقارنات التي اقامها المرحوم علال ان تبرز اهمية الاقتصاد الاسلامي ، وتدفع كل شك وتردد حول جدوى مبادئه السامية وامكانية تطبيقها في العمل .

= * =

من هو روجيه جارودي الذي اختار الاستاذ علال الفاسي الرد على كتابته ، انه من الشخصيات الفرنسية الملتزمة سابقا في الحزب الشيوعي الفرنسي ، لبث عضوا رسميا فيه مدة ثمانية وثلاثين عاما ، قضى العشرين عاما الاخيرة منها في عداد قادته الممتازين الى جانب طوريس واراجون وغيرهم من رجال الفكر الفرنسي .

وهو ايضا من الكتاب الفرنسيين الذين قرأ لهم الاستاذ المرحوم علال الفاسي كل ما كتبوه سواء في لغتهم الاصلية او الترجمة العربية ...

وجارودي من الذين كتبوا عن الحضارة العربية باعجاب واطمئنان واقرار بأن التراث العربي الاسلامي فيه ما قد لا يحتاج معه العرب لغيرهم ، اذا ارادوا البحث عن جذور لفكر يساري عربي ، فهو من هذه الجهة يتفق مع لوبون في تقدير حضارتنا وتاريخنا .

وكتابة جارودي منسجمة واضحة تجذب القارىء الى الاستمرار في مطالعتها بالفرنسية دون سأم او ملل وكان قارئها يتلو رواية متصلة الحلقات ، ومع الانقلاب الذي حصل له في تفكيره فان اسلوبه لم يتغير ، وانما تغير منطقه التاريخي وحبه في الاجتهاد والتأويل .

وقد سبق للمرحوم علال أن تعرف على جارودي مرتين زاره في احداهما وتناقشا عن الوضع الاستعماري للمغرب أثناء الحماية ، فكان من الشيوعيين الذين يبحثون عن التوفيق بين مقاومة الاستعمار والابقاء على نوع من الرباط مع فرنسا .

= * =

لقد بقي روجيه جارودي متعلقا بالحزب الشيوعي طيلة ماضيه ، ولو انه بدأ ينظر الى مقولات الشيوعية الارثوذوكسية بعين الشك منذ أن بدأت الوطنيات تطفى على الدولية في نظر معظم المفكرين الماركسيين اللينينيين وفي ممارستهم ، لقد كان تيتو اول منذر بالخطأ الستاليني في تطبيق ثورة اكتوبر وافكار ماركس واول محاولة لجعل الممارسة في شكل

تسيير ذاتي يشترك فيه الكل ولكن ضمن القيادة العليا للحزب وللرئيس التاريخي للثورة اليوغسلافية ، ولكن هذه المحاولة الجدة اصطدمت بالمعارضة القاسية من الستالينية ومن حالة التخلف الاقتصادي والاجتماعي التي كانت فيه يوغسلافيا ، فبرز التناقض الاصيل بين الفكر والممارسة ضمن الشيوعية الوطنية كما هو ضمن الشيوعية الدولية ، وبقيت ثنائية الحكم والشعب ، والحزب ، والقادة تفعل فعلها في اعاقة التطور الذي بدأته المحاولة التيتوية الكبرى ، وكان صدور كتاب جلاس (الطبقة الجديدة) انذارا بالخطر الذي يهدد الشيوعية من ممارستها ، ثم ظهرت الانتفاضات الاخرى في الديمقراطيات الشعبية ؛ وظهر كما يقول جارودي ان هناك فرقا اساسيا بين الشيوعية كحركة وممارسة وبين الشيوعية الروسية؛ فلا غرابة ــ يقول ــ ان تحاول الصين المتحررة من كثير من رواسب الحضارة البورجوازية الغربية صنع حضارة بديلة من حضارة روسيا واوروبا معا .

= ❊ =

يتساءل جارودي : هل تستحق الاشتراكية ان توضع في عدل واحد مع الراسمالية ؟

فيجيب : ان لا ! والفرق في نظره ان هذا الشكل التعسفي في الاشتراكية هو لاسباب تاريخية فقط ــ قيامها في اقطار متخلفة ــ تداخل مشكل بناء الاشتراكية ومشكلات النضال ضد التخلف ــ فاصيبت الاشتراكية بعدوى الراسمالية ، اما الراسمالية فان لها تلك الوصمات من ماهيتها .

ويلاحظ الفقيد علال على جارودي هنا بالذات انه اذا كانت العدوى قد فعلت فعلها في الاشتراكية حتى اصبحت وصمات الراسمالية تقيدا لها ، الا يتحقق المثل القائل : العادة طبيعة ثانية، ان الاسباب التاريخية لا تعبر من واقع الاشياء .

ويعل جارودي يشعر بهذا حين يرجع ليقول :

ان الثورة التي ننشدها اليوم لا يمكن ان تتشبه بثورة الماضي ، انها هدم الثنائية وبنائية اشتراكية التسيير الذاتي، لا راسمالية ولا بيروقراطية ستالينية .

طبعا ان هذه المواقف التاريخية التي تاتي متسلسلة كافكار جديدة في كتابات جارودي تجعله خارج الفكر الشيوعي كما يفهمه الحزب في روسيا وفي فرنسا فلا غرابة ان نرى القرار التاريخي باخراج جارودي من الحزب يعلن بكل بساطة ضد قائد من قادة ذلك الحزب .

= ❊ =

هل تحول جارودي حقا الى رجل لا شيوعي ، غير ماركسي ؟

سؤال طرحه المرحوم علال ثم يجيب عنه بان جارودي ينفي آلاف المرات عن نفسه خروجه عنهما ، ولكنه وجد حرية كاملة في ان يقدم الماركسية كما يتناولها هو وكما يرى وجوب فهمها من الجميع في هذا العصر ، ان تحدي الشيوعية التاريخي ورفضه للثنائية في الحكم وفي الحزب في فرنسا وفي العالم الاشتراكي ، وان ظهور آراء ماركوز التي وافقت في تحليلها تحليلات ماركس نفسه هي بين اشياء اخرى التي شجعت جارودي لان يعلن رأيه الصريح ، بل لان يعلن انه اكتشف الماركسية الحق والمسيحية معا حين اكتشف نفسه .

ويبدو ان جارودي كان امينا مع نفسه ومع رفاقه عند ما تحرر من أسرار المذهب ونفض عن عقله تلك الغلالة السوداء التي حالت بينه وبين جلال الحقيقة . فانطلق في اثرها غير عابيء بعقاب الحزب الشيوعي الفرنسي ولا بتقمة الدول الشيوعية . ولا بالبيروقراطية الستالينية ، لان هذين اديسا الى ولكنه اوضح ان تغيير البنى لا يكون بالراسمالية ، تحلل مجتمعي وانساني ، لفصل سؤدد السوق الملتهمة في آلاتها العمل والارض والمال .

وفي هذا الصدد يقول المرحوم علال : « وكم نحن سعداء ان نرى مفكرين في مستوى جارودي يصلون الى ادراك حقائق بعد تجارب الراسمالية والستالينية التي ما تزال قائمة في كل الاقطار الاشتراكية ولو بغير اسمها ... حقائق نعتبرها نحن في مقدمة المبادىء التي نؤمن بها كمسلمين ، والتي هي احدى اسس البنى الاقتصادية الاسلامية :

[ ] فاستنكار مبدأ المشروع الحر الراسمالي الذي يجعل من المال بضاعة يتفق مع القاعدة الاساسية في الاسلام الا وهي اعتبار المال وسيلة لا غاية ، والتي يستنبطها الغزالي من الحديث الشريف : « الدراهم والدنانير خواتم الله في الارض»

2) اما آلية تراكم الرساميل التي يعبر عنها جارودي باتاحة امكانية تحويل كل ما هو ضروري للحياة ولا سيما وسائل الانتاج والتبادل الى ملكية خاصة ، كما يتيح امكانية حصر احتكار هذه السلطة بعدد متضائل بافراد من الاشخاص ، فهذا عمليا مما علل به القرآن الكريم ضرورة قسم الغنائم التي كانت في عهد نزول القرآن احدى اسباب التملك الاساسية وذلك بقوله تعالى «كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم»

ومما يجعل الاستاذ علال الفاسي في وفاق مع جارودي ذلك الاحصاء الذي قام به هذا الاخير والذي يسجل ظاهرة التملك في العالم الراسمالي حيث يذكر فيه بانه في انجلترا كان 5 ٪ من السكان عام 1960 يملكون 75٪ من الملكية ، و 96٪ من الاسهم ؛ و 1٪ منهم يملك 81 ٪ من الاسهم ، وحسب تقرير اللجنة الفرعية لمجلس الشيوخ (حول التضال ضد الترستات) في الولايات المتحدة فان 200 شركة كانت تحوز في عام 1950 على 49 ٪ من مجمل الاسهم ، وفي عام 1957 على 57 ٪ وتسقي 86 ٪ من مجمل الارباح ، وقد تكهنت صحيفة «الايكونوميست» الانجليزية في عددها الصادر في 13 يوليوز 1968 استنادا الى راي اقتصاديين « ثقات » بان 300 شركة دولية لا اكثر ستهيمن في غضون عشرين عاما على الحياة الاقتصادية في العالم الراسمالي .

3) يقرر جارودي كنتيجة لمبدا المشروع الحر – ان تصبح القيم الانسانية قيما بالمعنى البورصي للكلمة ، اي السباق الاعمى على الربح للربح والنمو للنمو ؛ وهي حقيقة ثابتة قطعا ، اصبحت بها المسلمة المقدسة والضمنية في آن واحد لمجتمعنا هي : كل ما هو ممكن تقنيا مرغوب وضروري ، وليس كمثل هذه المسلمة اداة ومضرة اليوم ، ولكن هذه المسلمة ليست فقط من صفات العالم الراسمالي بل تشمل حتى العالم الاشتراكي الذي يبيح صرف مدخولاته العظيمة فيما يعطيه الاولوية من السباق للتسلح ، او تسخير البحث العلمي لما يضر بالانسانية ، ولذلك فان الاسلام حينما يبيح مبدا الملكية خاصة او عامة انما يريد منهما ان تكون اداة التوازن بين الوحدات الانسانية ، فلهما وظيفتها الاجتماعية . وهي خاضعة للمصلحة العامة.

4) ويصل جارودي الى حقيقة اسلامية خالدة حينما يعلن ان الثورة (التغير) لا يمكن ان تتحدد اليوم بتغيير البنى فحسب ، وليست المشكلة الاساسية مشكلة عدم التغيير او مشروعيته ، بل مشكلة مضمونه واتجاهه ، اذ الثورة الاصيلة الوحيدة هي تلك التي تتيح للجميع ان يحيوا حياة اغنى ، اي اكثر خلقا وابداعا ، ويقول بعد : ان الاشتراكية والحرية غير الممنوحين (من الخارج) والمنتزعين من قبل الشعب انتزاعا : تقتضيان ان يترافق تغييير البنى بتغيير الضمائر .

والمرحوم علال يورد تعقيبا على هذا القول بما جاء في الآية الكريمة « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » ، ويقول بان النفس هنا تعني الضمير وهو الباعث الانساني على العمل .

= ❊ =

ان جارودي يعترف بعجز المسيحية والماركسية معا عن الوفاء بوعودهما : المسيحية لانها جردت الانسان من مسؤوليته التاريخية ، ومن مسؤولية خلقه وابداعه ، والماركسية لا تستطيع هي الاخرى ما دامت مشدودة بالمادية الميكانيكية وبالوضعية ، ان تتيح للانسان امكانية الانسلاخ عن قدره ليصبح مبدع تاريخه وخالقه . غير ان الاسلام بجعله الانسان مكلفا اعطاه مسؤوليته التاريخية الناتجة عن حريته في اختيار احد النجدين واقتحام العقبة التي تجعله صانع تاريخه .

ويؤكد جارودي بان الالحاد ليس الاساس الضروري للعمل الثوري ، وليس من الصحيح تاريخيا بادىء ذي بدء أن المادية التاريخية والالحاد كانا مرتبطين بالعمل الثوري برباط داخلي .

= ❊ =

من خلال ما تقدم نرى بان الحلول التي توصل اليها جارودي عبر بحثه الطويل عن الحقيقة ليست في الواقع سوى فروعا من اصول اخطتها الشريعة الاسلامية في جميع جوانب الحياة ، فاعتبار المال وسيلة لا غاية وتحريم تركيزه بين ايدي قليلة وتقريو مبدا الوظيفة الاجتماعية للملكية تعتبر كلها من امهات القيم الاسلامية التي يتفرع عنها رفض صيرورة المال بضاعة ومنع احتكار الثروة وتقييد حق الملكية .

وقد ابرز العلامة الفقيد علال الفاسي هذا التقابل بين حلول جارودي واصول الشريعة في صورة اخاذة تشكل بحق اجتهادا رائدا في هذا الباب ... وارتسمت من خلال تحليله الرائع « للبديل » ملامح المجتمع الذي استهدفه الاسلام .

جامع القرويين

تأليف الدكتور عبد الهادي التازي

عرض وتقديم الاستاذ عبد القادر العافية

يعد هذا الكتاب بحق جوهرة نفيسة تقتنيها كتبة المغربية ، بل مؤسسة ثمينة تعتز وتفتخر بها كتبة العربية ، لانه في الحقيقة عبارة عن بحث مي رصين حول موضوع هام في حياة الثقافة سلامية بهذا الجناح الغربي من العالم الاسلامي .

ولقد صدق مقدم الكتاب الدكتور احمد مختار بدي حيث قال : « ان موضوعا مثل هذه وضوعات الحضارية المتشعبة يتطلب من مؤلفه كثير من الجهد والقراءة المتصلة لاستخراج كل ما طلبه من معلومات ولقد أعان الله مؤلف هذا كتاب فاستطاع أن يطلع على جميع المصادر صيلة التي تفيده في بحثه .. والواقع أن الدكتور د الهدى التازي بذل كثيرا من الجهد ، واحاط ضوعه بمزيد من العناية ، حيث اتبع منهجية ثيقة واعية ، وطريقة متبصرة ذكية .. وبذلك اخرج كتابا هاما عن تاريخ اقدم جامعة اسلامية في سالم .

والدكتور عبد الهدى التازي في قيامه بهذا عمل الهام الموفق يخدم بذلك الثقافة الغربية سلامية ويبرز الدور الذي قامت به ثقافتنا صيلة في الحفاظ على الاسلام ، والتبشير به ، لدفاع عنه ، وبث اشعاعه الفكري ، ورسالته حضرية في ربوع افريقيا واوروبا وآسيا ..

وهو بعمله هذا يؤرخ لاعظم مؤسسة مكرية شمال افريقيا ، وفي غرب العالم الاسلامي وحوض حر الابيض المتوسط .

والمتتبع لمصادر الكتاب ومراجعه يرى ان الدكتور التازي قد حاول عملية استقصاء كل ما يمت الى موضوعه بصلة ، وهو بعد استثمار المصادر العتيقة التي تتحدث عن مدينة فاس وعن القرويين وعن الحياة السياسية والعمرانية لبعض الدول المتعاقبة على المغرب ، بعد ما استوعب ذلك لجأ الى مصادر حديثة ، ومعاصرة عربية واجنبية ، كما لجأ الى الوثائق غير المكتوبة كالمعملات والنقوش ، والزخارف ، والثريات ، والفوانيس ، والاساطين الرخامية ، والساعات والكراسي ، والمنابر ، والقبب والابواب والاقواس . . وحاول ان يقرأ كل البحوث والمقالات في الصحف والمجلات ، والتقارير ، والاخصائيات ثم قام بعملية تصوير توضيحية لكثير من الآثار والنفائس من الفنون والتحف ، وخطوط العلماء وتوقيعاتهم وخطوط الملوك والامراء والقضاة واعضاءاتهم ..

فالقارىء في الحقيقة يجد نفسه امام موسوعة عن القرويين تعطيه التاريخ الحضاري والثقافي ، وتطلعه في نفس الوقت على التطور الفكري والفني والمعماري الذي عرفته هذه الجامعة .

ولا ابالغ اذا قلت ان كتاب جامع القرويين هو اشبه ما يكون بفلم وثائقي يجعل القارىء يشاهد احداث التاريخ الفكري للقرويين في حركة حية ناطقة حتى لتكاد تسمع أصوات العلماء وهم في محاضراتهم ومناظراتهم ومحاوراتهم الخاصة وهيئتهم المميزة لهم ..

وحتى لتكاد ترى الطلبة وهم فى حلقات دروسهم يكتبون ويسألون ويستفيدون ، أو فى مآويهم يقرأون ويطالعون ويتسامرون .

وكان هذا الفلم الوثائقي حاول مخرجه ببراعة نادرة ان يطلع المشاهد على خدبا الحياة الثقافية عبر العصور والازمان التى مرت بها جامعة القرويين فهو ينتقل من فترة الى فترة ، ومن ظاهرة الى ظاهرة ولا يغفل حدثا كان له اثر على مسير الحيرة الفكرية ، ولا يهمل مشهدا من المشاهد التى يكون من شانها ان تثير فى القارىء الحماس الوطنى ، والوعى الثقافى والنزوع الاسلامى ، والغيرة الوطنية .. وكان مخرج ومصور هذا الفلم الوثائقي يريد من القارىء أن يعيش احداث القرويين الجامعة فى مختلف اطوارها وتطوراتها ، سواء فى مبناها او معناها ..

فى اتساع هيكلها ، ورحابة افقها العلمى والفكرى والحضارى .. بالاضافة الى دقة تصوير مبلغ هيمنتها وشموخها كمنارة عملاقة تنير بشعاعها ارجاء افريقيا واوروبا . ويمتد بعض شعاعها الى باقى انحاء المعمور ..

ومما لا شك فيه ان الدكتور عبد الهدى التازى بذل مجهودا علميا ومنهجيا حتى استطاع ان يقدم لنا جامعة القرويين خلال عصورها المتعاقبة كقلعة حصينة مانعة تتكسر عندها آمال الكائدين للاسلام والعروبة ، وتتطلع اليها فى نفس الوقت افئدة المحبين للعلم والمعرفة والنبل والكرامة . فهى اذن مركز العلم والثقافة ، وهى مركز الجهاد والوطنية ، وهى منبع الروح التى تسرى فى قلوب الملايين من المسلمين فى انحاء شتى من المعمور .

فالمؤلف قد صور لنا بأمانة الادوار الهامة التي قامت بها القرويين فى نشر العروبة والاسلام .. وفى بث العلم والمعرفة ، والوعى الثقافى ..

فهى قد نافست معاهد بغداد ، والقيروان ودمشق والقاهرة ، وقرطبة واشبيلية وغرناطة .. وهى فى نفس الوقت لها اتصالات وروابط ثقافية وروحية تربطها بمختلف معاهد العالم الاسلامى ، تتمثل فى الرحلات غير المنقطعة منها واليها .. وفى الاجازات الممنوحة لطلابها وعلمائها .. وفى الاجازات والشهادات التى تمنحها للواردين عليها ؛ والمستفيدين من حلقات دروسها .. وتتمثل فى المؤلفات العديدة التى دبجتها اقلام علمائها ، والمناهج الرصينة التى اتخذتها اساسا لمنهجية التدريس بها حيث اصبح ذلك نموذجا يقتدى فى كثير من المعاهد والمدارس .

وقام علماؤها بالتقريظ والتعليق ، واحيانا بالنقد والتنبيه .. على ما يرد عليها من مؤلفات ورسائل . وبالتالى تجلت تلك الروابط فى تفتحها وتبادلها واخذها وعطائها ..

فالقرويين فى كتاب « جامع القرويين » للدكتور التازى هى قلب المغرب النابض بالحياة ، وهى رمز عزة ، ومصدر فخار ، ومثال مجد ..

فالكتاب اذن جدير بالدراسة والعناية ، وعلى ناشئتنا أن تفتح اعينها على هذا المصدر الثرى الذى يؤرخ للحركة الفكرية والحضارية التى عرفتها بلادنا من خلال جامعة القرويين .

بل الكتاب جدير بأن يقرر كمادة لا يستغنى عنها فى الدراسات الجامعية تعرف المواطن المسلم اين ما كان بمآثر آبائه واجداده ، الفكرية والحضارية والبطولية ..

هذا وارى ان الكتاب غني عن كل تلخيص لانه فى طبعته الانيقة ، وفى منهجيته الرصينة ، وفى ابوابه وفصوله الشيقة ، يقدم نفسه بنفسه ، ويسهل على القارىء تناول محتوياته الشهية ، بالرغم من انه يقع فى ثلاثة مجلدات ، وفى تسعمائة صفحة من القطع الكبير .

ومما يزيد القارىء ارتباطا بالكتاب ومدته جزالة اسلوبه ، ووضوح منهجه ، وجمال تصميمه وبراعة تخطيطه وتنظيمه ، ونفاسة صوره ورسومه ..

فالكتاب انيق ، ونفيس ، ومفيد .. بالرغم من أن مؤلفه قد ابدى من التواضع فى مقدمته ما نقدر به تواضع العلماء ، ويجعلنا فى نفس الوقت نزداد ارتباطا بالكتاب وتعلقا بصاحبه .

واذا كانت لى من ملاحظة على الكتاب فهى ان موضوعه متشعب ومتشعب ، وممتد عبر قرون وسنين عديدة ، وكل هذا كان من شانه أن يجعل من مؤلفه جوهريا خبيرا يختار ويتقي ويضم الجوهرة

ـ اختيا ليخرج لنا في النهاية بعقد فريد يقلـــده
د القرويين » أو جيـد المغـرب على الاصـح »
.لطبع أن عملية الانتقاء تركت الوانا من المادة كنا
ثر أن تهذب وتنظم في سلك عقد الكتاب لكن « ما لا
رك كله لا يترك جله » أو كما قـال الدكتـور في
دمته : « وقد حفز بي التعجيل بنشره اقتناعي بان
نظار الحصول على الاحسن قـد يفـوت الفرصة
راك الحسن » .

والحقيقة ان هذه الخطوة المملاقة التي خطاها
.كتـور عبد الهادي التـازي في اقدامـه على

تأليف اول موسوعة عن جامعة القرويين لتعد بحق عملا جادا وبناء في ميدان التعريف بتاريخنا الفكري والحضري الذي ما يزال كل موضوع من موضوعاته يحتاج الى جهود مجموعة العلماء المختصين .

ولذلك فاننا نقدر الجهد الذي بذلـه المؤلـف بمفرده في مؤلفه القيم والنفيس ، والله سبحانـه وتعالى نسأل أن يكثر من أمثاله خدام الثقافـة والحضارة الاوفيـاء .

تطوان : عبد القادر العافية

● أصدر الاستاذ محمد المعـزوزي العامـل الملحق لدى الوزير الاول كتابا بعنوان « البداية في القيادة والولاية » يبحث في خصائص ومقتضيـات الوظيفة الاجتماعية للادارة الحديثة . يقع الكتـاب في 885 صفحات من القطع الكبير ●

القطب الشهيد
سيدي عبد السلام بن مشيش

تأليف : الدكتور عبد الحليم محمود عرض وتقديم : الاستاذ زين العابدين الكتاني

يترجح عندى ان كتاب « القطب الشهيد سيدى عبد السلام ابن مشيش » (1) آخر كتاب اصدره العلامة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر فى مجال التعريف باقطاب الاسلام ورجال التصوف الاوفياء الصالحين المصلحين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه

والكتاب الجديد صدر اخيرا عن سلسلة « مطبوعات الشعب » بمصر بالحجم ما دون المتوسط (يقع فى اكثر من مائة صفحة) ويشتمل على فصلين يتناول فيهما بالدرس فى الفصل الاول « بين ابى الحسن الشاذلى وعبد السلام ابن مشيش » ، اما الفصل الثانى فهو « حول حياة ابن مشيش » ، وينتهى الكتاب بملحقين ، الاول : « حول اسم الجلالة » والثانى بعنوان : « حكم ووصايا » هذا بالاضافة الى المقدمة والاهداء الذى افتتح بهما الكتاب وقد ورد فى الاهداء ما يلى :

« الى سليل بيت النبوة ، الى الحسن الثانى ملك المغرب اهدى هذا الكتاب مع أجمل تحياتى واطيب تمنياتى » .

وفى مقدمة الكتاب شرح شيخ الازهر الدافع الى الكتابة فى هذا الموضوع فذكر انه ابدى رغبته لزيارة مقام هذا القطب أثناء حضوره للمغرب بدعوة من صاحب الجلالة للمشاركة فى الدروس الحسنية ، وقد حقق له امير المؤمنين هذه الزيارة التى كانت حافزا قويا للعزم على الكتابة عن ابن مشيش ، خصوصا وقد سبق له أن كتب عن الامام الشاذلى ؛ ثم لان الكتابة عن ابن مشيش ضرورية بالنسبة لمن يكتب عن المدرسة الشاذلية على وجه العموم ، ولمن يكتب عن الامام الشاذلى رضى الله عنه على الخصوص . .

واستمر المؤلف يشرح كيف توصل الى ذلك بما وصله من مخطوطات من المغرب مما اضافه الى ما يوجد فى كتب لطيفات ، وما يتوفر عليه ، مشيرا الى ان المزيد من النصوص لا يمكن ان يتوفر لغيره ، ولكن على الباحث من اقطاب المدرسة الشاذلية اعتبر هؤلاء الامداد الموثق للتيار الصوفى النقى الصادق الذى رسمه القطب الشهيد . فمن هو مولاى عبد السلام ابن مشيش او ابن بشيش كما اختار له شيخ الازهر من اسمائه الواردة فى عدد من الوثائق الخاصة به .

ولد مولاي عبد السلام ابن مشيش حوالي 55 هـ — 1163 م بقرية الحصن من جبل العلم ليم تطوان واستشهد بها عام 623 هـ — 1226 م، علم بها ايضا على جماعة من اساتذته ابرزهم ابو د عبد الرحمان العطار المعروف بالزيت ، وهذا سيخ هو ايضا عمدته في التربية والسلوك واسطته يتصل بائمة التصوف من المشارقة لمغاربة وبمدارسهم .

ومن المعلومات التي نتوفر عليها نجد :

اولا : ان ابن مشيش كنت علومه ومعارفه سبية اولا وعلى العادة ، وكانت تربيته على قوى من اول يوم ، وانقطاعه الى الاعمال سالحة ، من الاشتغال بالعلم والعبادة والجهد زة الخاصة التي اورثته من العلوم لوهبية مما له كثير ممن كتبوا عنه . ولذلك نجد صلاته على يي صلى الله عليه وسلم المعروفة بـ : المشيشية ، (2) مشهودة ومتلقاة بالقبول من اهل لم والمعرفة على حد سواء (3) .

وهي من اوضح الشواهد على طول باعه في لوم الطاهرة والباطنة على حد اصطلاح القوم — يرفع من شانه ، ويجعل مدرسة ابن مشيش رسة واضحة المعالم ، عميقة الجذور ، وهو ما مما تفتخر به المدرسة الصوفية المغربية ، متز به قبل غيرها .

ثانيا : المدرسة الشاذلية ورائدها الامام ابو حسن الشاذلي وذلك مما دفع بشيخ الازهر الى ول : بان الذي يريد المزيد في معرفة ابن مشيش ليه بأقطاب المدرسة الشاذلية فانهم الامتداد وفق للتيار الصوفي النقي الصادق الذي رسمه ابن يش الشهيد رضي الله عنه .

ويزيد من اهمية الكتاب ان المؤلف بلور شخصية ابن مشيش في مدرسته وفي تلميذه الخاص ابي الحسن الشاذلي ، فاوضح ان هذه المدرسة هي الامتداد الحقيقي لمعرفة ابن مشيش باعتباره الامتداد الموفق للتيار الصوفي النقي الصادق الذي رسمه رضي الله عنه ، مؤكدا بأن هذه المدرسة هي منهج الامام الشاذلي ، خصوصا عندما يؤكد علميا بانه له طريق ، وليست له طريقة ، لانه كان مبتعدا عن الناس ، لا يعطي عهودا ، ولا يكلف اورادا ولا احزابا ، فلم يؤسس طريقة ، وانما كان يرسم في كل لحظة من لحظات حياته الطريق ، وطريقه هو الطريق الشرعي باختياره الخاص الواضح المعالم والاهداف ، والذي حافظ على وضوحه حتى الآن .

وجوهر هذا الطريق — كما يقول المؤلف — هو الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الانتهاء عما نهى الله عنه ، والقيام بما فرض الله تعالى .

ومن جهة اخرى فاذا كان الشيخ عبد الحليم محمود قد حاول ان يقدم شخصية ابن مشيش للشباب العربي ، وفي هذا الوقت بالذات فانه لم يتس ان يسر الى الشباب ببعض الفيوضات الصوفية الرائعة ويقدمها في مفهوم علمي صرف يزيل عنها الغموض الذي يحتاج الى شروح وحواشي كما يقولون ، فروى لنا في نفس الكتاب عن ابن الحسن الشاذلي ان شيخه ابن مشيش خاطبه بما يلي :

اولا : يا ابا الحسن ، انك اذا اردت ان تسأل الشيخ عن اسم الله الاعظم ليس الشأن أن تسأل عن اسم الله الاعظم ، انما الشأن ان تكون انت هو اسم الله الاعظم ، يعني ان سر الله مودع في قلبك . . (4) .

---

(1) آخر دراسة مغربية صدرت في الموضوع للاستاذ عبد الله كنون في ، العدد 25 ص : 199/195 ، بمجلة ، البحث العلمي ، .

(2) من اوسع الكتب في شرح هذه الصلاة ، كتاب الالمام والاعلام بنفثة من بحور علم ما تضمنته صلاة القطب مولاي عبد السلام ، لمحمد بن عبد الرحمن بن زكري المؤلف سنة 1127 هـ 1715 م والمطبوع بالمطبعة الحجرية بفاس سنة 1316 هـ 1898 م .

(3) اعتبرها الاستاذ عبد الله كنون في كتابه ، النبوغ المغربي ، من روائع المنتخبات الادبية ، الجزء الثاني — ص : 12 ، واوردها بالنص في فصل ، التحميد والصلاة ، .

(4) نفس المصدر ص : 122

ثانيا : واوصى ابن مشيش الشاذلي بقوله : لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فانه لئيم ، ولا من يؤثر نفسك عليه فانه قل ما يدوم ، واصحب من اذا ذكر ، ذكر الله فالله يغنى به اذا شهد ، ويتوب عنه اذا فقد ، ذكره نور القلوب ، ومشاهدته مفاتيح الغيوب ، (5) .

ثالثا : واوصاه ايضا بما يلي :

ارجعوا الى الله في أوائل التدبير والتقدير ، تحظوا منه بعدد التيسير ، ويحال بينكم وبين التقصير . . وكل ورع لا يصحبه العلم والنور قلا تعد له اجرا ، وكل سيئة يعقبها الخوف والهرب الى الله فلا تعد لها وزرا . . ، (6) .

---

(5) نفس الكتاب ص : 124

(6) نفس الكتاب ص : 142 .

وبعد ، فقد حاولت التعريف بهذا الكتاب الجديد الذي يتصل برجل فذ ، من رجالات المغرب ، ومن الذين اسسوا مدرسة واضحة المعالم ، اصيلة ، لا زالت باقية يعتز بها ابناء المغرب ، ويفتخر بها رواد التصوف والمعرفة بل ورجال الفكر في كل انحاء الدنيا . .

والذي ارتكز عليه في اختيار مثل هذه المواضيع هو جعل اخواني الشباب يطلعون على حتى يدركوا أن المغرب ظل دائما رائدا يحمل الاصالة في يد ، والمعرفة في اليد الاخرى ، ومن طريق هذه الرسالة ظلت دولته قائمة ، ورسالته واضحة وما ذلك على همتهم بعزيز وهم ينطلقون اليوم لمواصلة هذه الرسالة .

المستشار مؤتمن ، فماذا

استشير فليشر بما هو صانع

لنفسه .

حديث شريف

في الماركسية والدين

تأليف: الدكتور رشدي فكار

عرض وتقديم: الأستاذ أحمد تسوكي

في البدء كان الكلمة ، ومن بعد الكلمة جاء الحوار ، ذلك هو المنطق الفكري والوجداني لكل حركة فكرية حضارية .. وتلك هي القاعدة — التي تعم بلا استثناء — التي حكمت مسار الحضارات البشرية المختلفة .. وجاء الاسلام ليزكي هذا المنطلق ويظف هذه القاعدة اعظم تزكية واروع توظيف ، فجعت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم منطوية على اكبر قدر من امكانية الحوار ، تفتح صدرها ولا زالت — للرأي الآخر : بالمناقشة والجدل بالجدال ، من هنا كانت بداية الدعوة :

« **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن** » — سورة النحل الآية 125 .

هذه الآية الكريمة هي الكلمة الاولى التي يقع عليها القارىء عينيه من كتاب الدكتور رشدي فكار الذي صدر مؤخرا في الرباط بطباعة فاخرة وغلاف ملون بعنوان « في الماركسية والدين » .

وموضوع الكتاب — الماركسية والدين — يثير دهشة في القارىء ، ولكنه يثيره ويحفزه بالطبع، خاصة وان مؤلفه الدكتور رشدي فكار ، أحد علماء اجتماع المعاصرين الذين يتحلون برؤية شمولية للواقع الاجتماعي وبسعة أفقه واطلاعه الواسع واجتهاده المكثف من اجل خلق نظرية اجتماعية عربية خالصة تستمد اصولها وقواعدها من الماضي الحضاري العريق للأمة العربية ، وقد اعلنه آراءه الثاقبة وحواره الذي فتحه مع الايديولوجيات والمذاهب والعقائد المعاصرة ليحتل مكانته كأستاذ زائر بالجامعات العربية والاوروبية وعضو مشارك في أكاديمية العلوم بفرنسا وعضو الهيئة العالمية للكتاب بالفرنسية بباريس ، وهو يشغل الآن منصب استاذ بجامعة محمد الخامس بالرباط .. بالاضافة الى مشاركاته العديدة في المؤتمرات والملتقيات الدولية التي تعقد حول علم الاجتماع وتياراته واتجاهاته المعاصرة ..

ويأتي كتابه الاخير « **في الماركسية والدين** » ليطرح فيه قضية لازال الجدال قائما حولها منذ سنوات عديدة .. وأكاد اقول منذ اجيال عديدة عندما طلع كارل ماركس على أوروبا في القرن التاسع عشر بنظريته حول المادية الديالكتيكية التي اخذ عطاءها المذهبي من نظرية الفيلسوف هيجل .. ونظرية ماركس تقوم على اساس الصراع بين الطبقات الاجتماعية من اجل السلطة ، لتستقر هذه السلطة اخيرا بأيدي البروليتاريا كما اسماها ، وهي طبقة العمال . واذا علمنا أن نظرية ماركس ظهرت بعد العصر الصناعي الاول خاصة في بريطانيا ادركنا العوامل الموضوعية والذاتية معا التي مهدت لهذه النظرية وخلقت لها التربة الصالحة لكي تخصب فيها آراء وافكار كارل ماركس حول صراع الطبقات وديكتاتورية البروليتاريا .. وقد الغى ماركس وهو

يبني نظريته كافة العوامل التي تقف وراء تكوين الحضارات ونشوئها ، ومن بين هذه العوامل عامل الدين الذي قال عنه ماركس انه « افيون الشعوب ! » .

وقد اعطت الوقائع والاحداث التي عرفها العالم بعد ماركس الدلالة على خطأ رأيه وعدم صواب احكامه ، فقد كان ماركس يعتقد — بل ويتنبأ — بان شرارة ثورة البروليتاريا ستندلع في بريطانيا — وهي في ذلك الوقت معقل الصناعة ، وكان عليه ان ينتظر سنوات كثيرة لتنتهي هذه الشرارة في اكثر المجتمعات تخلفا في ذلك الوقت وهي روسيا !

وظلت علاقة الماركسية بالدين احدى القضايا الهامة والاساسية التي تثير النقاش الحاد والجدال بين المفكرين ، سواء منهم هؤلاء الذين تبنوا وجهة نظر الفكر الماركسي الملحد أو أولئك الذين دافعوا عن قيمة الدين في حياة الانسان وفعاليته في تطور الحضارات البشرية ..

وكتاب الدكتور رشدي فكار « في الماركسية والدين » يشكل اجابة اصيلة على الاسئلة المعلقة دائما في العلاقة بين الدين والماركسية ، او بتعبير اصح بين الدين والالحاد ، فالماركسية في حقيقتها ليست سوى دعوة صريحة الى الالحاد متوسلة ومتذرعة بالعلم والاستقراء والتاريخ والمنطق ..

في التمهيد الذي اسماه المؤلف : « اشكالية اساسية أم اشكالية ثانوية وتجريدية يطرح المؤلف : اشكالية المواجهات بين الدين والفكر النشيط المعاصر مجسدا في الماركسية وما حولها ، أهي اشكالية اساسية وحيوية أم اشكالية ثانوية وتجريدية ؟ ثم يتساءل المؤلف : هل من بأب رفاهية الفكر ان يتعرض الباحث لهذا الموضوع ؟ ويعود المؤلف ليطرح افتراضين حول هذا السؤال — القضية : الافتراض الاول يقوم على اساس أن هناك « موضوعات اكثر فورية تتطلب تعبئة الفكر وتحريك القلم » والافتراض الثاني ينهض على أساس أن هذه القضية « لها الصدارة ، ولا بد من طرحها واعطائها ما تستحق من الوقت والطاقة عند المفكر الانسان الملتزم بقضايا عصره » . ويستبعد المؤلف الافتراض الاول لانه : لا وجود له الا عند فئة معينة تعاني من الوصاية الفكرية ذات اليمين أو ذات اليسار .. ومن هنا يبقى الافتراض الثاني الذي اكتسب مشروعية وجوده واولويته من خلال الواقع الملموس في الحياة الفكرية » كما يقول المؤلف ، ومن هنا ينتقل بنا المؤلف الى البحث الاول في كتابه وهو بعنوان طرح الاشكالية واهم ما يستوقفه المؤلف في مبحثه الثاني من كتابه هو ارتداد ماركس نفسه عن الالحاد ارتدادا صريح العبارة عبر عنه بنفسه في اقواله :

*** الالحاد لا معنى له ، لانه انكار للاله بلا مبررات ، المفهم الا اذا كان الهدف ان يحل الانسان محله**

ويضيف ماركس :

*** الاشتراكية ليست في حاجة الى مثل هذه الشطحات التجريدية الجوفاء والمضاربة على الاله ..**

*** ان الالحاد قد عاش وقته ، انه تعبير سلبي لا يعني شيئا بالنسبة للاشتراكيين الاصلاء .. ان المعنى لديهم ليس هو انكار الاله وانما تحرير الانسان ..**

ويعلق المؤلف على هذه النصوص الصادرة عن ماركس نفسه قائلا :

« لقد شكلت هذه التساؤلات حول الارتداد الماركسي عند ماركس اطارا هاما للتأمل واعادة النظر حاليا على مستوى امكانية الحوار مع الدين ، انطلاقا من مبدأ الاجتهاد والوعي بماركس من خلال ماركس ، لا من خلال المغالطات والاشكاليات والمضاربات الاهوائية التي تتم باسمه لدى من يتقمصون رداء الحقد والمكابرة على الدين ورجاله ».

ويخص المؤلف مبحثه الثاني من الكتاب عن : الالحاد والتباس المفاهيم ، وفي هذا المبحث يرصد المؤلف حركة الالحاد ومذاهبه لدى عدد من المفكرين ، لينتهي الى القول :

« ان الالحاد حسب تصورنا له — ملتبس في جوهره ، يستغل في تبرير مواقف الاتهام او يتخذ كرداء لتغطية افلاس المعرفة النسبية حينما تتجه الى المكابرة والعناد ، فالالحاد ، ان كان يلتزم بالانكار في البداية ، فالانكار بدوره يتم على مستوى حتمية الذات قبل انكار حقيقة الاله .. تفي اعتقادنا ،

، من ينكر الاله انما انكر معرفته ، بابعاد ذاتـــه ناصرة ، واثبت جهله بنسبية احكامه ، فما نحن كر وعقل وتعقل الا انتاجـا مكتسبـا للمعرفـة حروطة زمانيا ومكانيا وجسديا — ص 29 .

لقد حذر سان سيمون — كما يذكر المؤلف فى فحة 32 — مرارا حتى وهو على سرير المـوت ، المجازفة فى رفض الدين باسم العلم : ليس هدف علم ورائة الدين ، ولا هدف الدين ايقاف تقـدم علم ، وانما تجمعهما ارضية الوفـاق والحـوار ، ن كلمهما لازم وضرورى لتحرير واسعاد الانسان ».

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى البحث الثالـث ذى خصصه للحديث عن : الارتداد الماركسى عبر حوار والاجتهاد ، ويستشهد المؤلف فى هذا البحث حوار الجاد والمفتوح الذى اداره المفكر الفرنسى عاصر روجيه جارودى عبر مؤلفاته وردوده على اركسيين الذين لازالوا يتبنون آراء وأفكار ماركس الدين حيث كان شابا لتتسم آراؤه وافكاره واحكامه لاندفاع الى انكار وجود الاله ثم ارتداده فى أواخر ياته عن آرائه وافكاره واحكامه فيما يخص الدين..

ويذهب المؤلف — فى البحث نفسه — الـى قول بان : ماركسية الحوار والاجتهاد الآن تعطى براهين على صحة ما نتبناه ، سواء عنـد الشراح اركسيين القائلين بمرونة الماركسية ، او الشراح ختصين فى الماركسية من غير الماركسيين ، ومن احد منهم ، القائلين صراحة بارتداد الماركسية لا ند الماركسيين بعد ماركس وانما عند ماركس فى د ذاته كما وشحنا سلفا ، تؤكد ذلك لا من خلال جازفة أو تحريف منا لافكاره ، وانمـا من خلال عتكاتم بماركس على ماركس » — صفحة 38 ..

ويختم المؤلف هذا البحث بقوله :

« ليعلم الجميع ان ماركس كأى مفكر يخطىء ويصيب وربما قدرة تفكيره فى تطوره وارتداده ، لا يعادلها الا جهل تفكير محنطيه فى ركوده وجموده ، ماركس عاش عصره بعمق ، اما أصحاب الشعارات الفوريـة باسم الماركسية الجاهزة فمأساتهم انهـم عاجزون عن معايشة عصورهم ، فاحتكموا الى التفويض بدلا من الوعـى ، وبانـوا يمضغون الرفض بعد ان تقيأه ماركس ، وغـاب عنهم ان عبقرية الانسان لا يمكـن اشباعها بالمستهلكات ، ورفع الشعارات ، وانما بالتصدى لعمـق الاشكاليات ، وأى اشكالية اجدر بالتصدي لعمقها ، من اشكالية مصير الانسان وغائيتـه » — صفحة 39

والخلاصـة ؟

ان « الخلاصة » هى مبحث فى كتاب الدكتـور رشدى فكار : فى الماركسية والدين ، بل هى أهم مباحثه على الاطلاق ..

« علينا اولا ان نثق فى ذاتنا ، واننا امة ذات رسالة ورسالة خالـدة لاسعـاد الانسـان لا على الارض العربية فحسب ، وانما فى كل مكان » . . هذه الفقرة البسيطة فى مبناها ، العميقة فى المعنى .. تبنى منطلقا صحيا سليما للانسان العربى لتحقيـق نوقه وتطلعه الدائم الى عالـم افضل مزودا بعقيدته الراسخة وشعوره الدينى العميق ..

وقد اتيح للمؤلف سنة 1975 فرصة طـرح بعـض الاشكاليات الملتبسـة فى واقعنـا الفكـرى والحضارى ، وانيط بـه التحكيـم بيـن الاسـلام والراسمالية والماركسية ، ووصل التحكيم فى نهايته الى نتيجة واضحة وهى :

*** على التيارات الفكرية العربيـة المعاصرة كى تكون فعلا فى خدمة الانسـان العربى لبناء امته الاسلاميـة العربيـة أن تعيد النظر قدما لديهـا وعلى مستويـات ثـلاثـة (ص 45) ..**

*** مدى معرفة هذه الامة باصالـة تراثها وعطائه الاسلامي ..**

*** الابتعاد عن المجازفـة بالشعارات التمذهبية التى تعنى كل شىء ولا تعنى أى شىء محدد ..**

*** التعرف على الواقع العربى المعاصر كما هو اولا لا كما يجب أن يكون ..**

هذه هى المستويات — او المواقع — التـى يجب على التيارات الفكرية المعاصرة أن تنطلق منها حتى تكون فعلا فى خدمة الانسان العربى ، هـذا الانسان — كما يقول المؤلف :

« العربى المسلم البسيط المجسد لهذه الملايين، وقد عايشناه فوق تراب قريته فى كثير من اقطـار امتنا العربية المسلمة ، ولمسناه فى حشوده الكبرى ،

ومصيرانه في مغرب العرب .. ومشرقهم ، انسان اصيل حقا ، معطاء معتز بارضه ودينه اعتزازه بقبر ابيه وجده فالارض بالنسبة له ليست فقط مجرد طبيعة تستغل وانما هي محتواه وكيانه ، والدين ليس فقط عقيدته وانما قوته وتعبئته ووجدانه ؛ ومحور ذاته ، من اجله يستشهد ، وفي سبيله يضحي دون تردد ، هو حاضر دائم في وعيه من خلال ذكره لاسم ربه ، يشده في حالة مرضه ، وترحاله وتقاله ، وسلامه ، ومولده ، وزواجه ومماته فضياع الدين او اذابته ، تعني ضياعه واذابة ذاته » ، صفحة 47 .

هذا عرض سريع ومبسط لكتاب الدكتور رشدي فكار : في الماركسية والدين ، اثرى به المكتبة العربية من جهة واثرى به الحوار العلمي الموضوعي بين الدين والماركسية .. عرض لكتاب سوف تهتم به الاوساط الثقافية في العالم العربي وسوف يثير نقاشا وجدالا واسعين وعريضين ، ومن هنا تأتي احدى قيم هذا الكتاب الذي يحسم بهدوء و رصانة بروده اعصاب ، قضية طال النقاش حولها من طرف المفكرين ، شرقيهم وغربيهم : كتاب ستعتز به المكتبة العربية بصفة عامة والمكتبة المغربية بصفة خاصة ..

وقد احببت قبل ان انهي عرضي وتقديمي لهذا الكتاب ان اوجه سؤالين الى مؤلف الكتاب :

1) هل من الممكن اعطاء القارىء فكرة عن ظروف اخراج هذا الكتاب ؟

2) خصصتم في كتابكم مبحثا عن الالحاد والتباس المفاهيم ، وافضتم في تفسير وتحليل وتعليل هذا الموضوع .. هل يمكن اضافة افكار اخرى الى نفس الموضوع ؟

نقدم للدكتور رشدي فكار الجواب عن السؤالين مشكورا ، فكان جوابه عن السؤال الاول :

الحديث عن فكرة اخراج هذا الكتاب يدفعني الى العودة الى دراسة سابقة لي كتبتها بالانجليزية عن المفكر هربرت سبنسر الذي عرف واشتهر بانتزامه بالفكر المادي وانكاره — للاله — الى الاديان — وقد تمكنت معتمدا على بعض الوثائق الخاصة بالايام الثلاثة الاخيرة من حياة هـ. سبنسر أن أؤكد وعلى لسانه نفسه ارتداده عن الالحاد بل وتحفظه باسم النسبية على قانون النشوء والارتقاء الذي بذل في اخراجه — تحت شعار المبادىء الاساسية للكون — الجهد الكبير .. وهكذا بالنسبة لكارل ماركس ايضا ، طرحت في بداية الستينات دراسة مركزة نشرتها لي احدى المجلات الاجتماعية في سوسيرا ، وبناء على وثائق خاصة بالفترة الاخيرة لنشوج ماركس ، كيف ان ماركس بعد ان رفض الدين بل وصدره في الايديولوجيات الاستلابية — كما هو معروف — تراجع عن رفضه ، او بعبارة اكثر دقة والتزاما بمضمون فكر ماركس — امضى وثيقة ارتداده عن الرفض قبل وفاته ..

وكان جواب الدكتور رشدي فكار كالتالي حول السؤال الثاني :

● باختصار ، وبتركيز وفي نفس الوقت في اطار مبسط للغاية يمكن للقارىء ان يستوعب من خلاله هذه القضية لقول : اعطيت المفاهيم الاساسية للالحاد وفي نفس الوقت انطلاقا بما التزم به من مبدا الحوار وعدم التشنج ، واجهت هذه المفاهيم مواجهة علمية وموضوعية لاصل في النهاية الى انه من الصعب — اللهم الا اذا كان من باب العفوية والمجازفة — الدفع عن الالحاد .. بمعنى انكار الاله وبكل ما يتعلق بوجود الاله .. وختم د . رشدي فكار كلمته لي فقال : ان الهدف من هذا الكتاب هو الشعور العام السائد الآن لدى الانسان العربي بعدم الخوض في تفاصيل القضايا الهامة التي تحتاج فكريا وايديولوجيا الى حسم ، خاصة وان هذا الانسان لم يعد لديه من الوقت والصبر ما يؤهله للدخول في تفاصيل قد تصل به — باسم رفع الالتباس — الى مزيد من الالتباس عبر نفس التفاصيل ..

واخيرا .. وليس آخرا ، ان الدكتور رشدي فكار اسم لامع على كافة الواجهات الفكرية على مستوى التنظير او على مستوى الممارسة ، بذل جهدا كبيرا تترجمه — عمليا — اعماله ومؤلفاته التي وصلت حتى الآن الى ستين مؤلفا ، بالفرنسية والانجليزية والعربية ، بين مؤلف ودراسة وبحث وترجمة وتعليق ، محور كل ذلك هو اشكالية الانسان وغائيته في الكون من الناحية الانتروبولوجية والسوسيولوجية ، الى جانب الاتجاه الاصلاحي الحواري في الاسلام ..

وفكر هذه مكانته ، وهذا هو حصاده الفكري ، وهذا وزنه في المحافل الفكرية الدولية ، حمل عددا من المنظمات التربوية والثقافية والفكرية والاجتماعية والاسلامية والانسانية جمعة عامة على ترشيح اسمه في قوائم المرشحين رسميا لجائزة نوبل في الاداب للاعوام القادمة ●

كتب مغربية

الدستور المغربي مبادئه وأحكامه

تأليف الأستاذ أحمد مجيد بنجلون

● أول جملة تطالع قارىء مقدمة كتاب الدستور المغربي مبادئه وأحكامه » للاستاذ أحمد مجيد بنجلون وكيل جلالة الملك لدى المجلس الاعلى تعس تاريخ المغرب السياسي والفكري وتبلور عبرية المغربية كلها في شتى ميادين النشاط سياسي . تقول هذه الجملة : **المغرب بلد مسلم ، ومن أجل ذلك وبسبب ذلك و ديمقراطي بطبيعته كما هو بلد ديمقراطي قريته وبطموحه وبغريزته** » . ويمكنك أن تطوي تاب وتفكر ما شاء الله لك أن تفكر في مضامين ه الجملة ومعانيها ودلالاتها .

وما هو الدستور المغربي — اذن — ان لم يكن ارا لهذا المبدأ الخالد واعترافا بهذه الصفة ميزة ؟ . وما هو نظام المغرب — اذن — ان لم ، انعكاسا أمينا وصادقا لهذه العقيدة التي باتت عنا المميز ، ليس اليوم ، أو في الامس القريب ، كن منذ ثلاثة عشر قرنا مما يجعلنا أول دولة في الم — بلا استثناء — تتمتع بهذا المركز الفكري سياسي والحضاري الفريد من نوعه .. أي كز يا ترى ؟؟ . الحفاظ على المبدأ والنظام عبر رون والاحقاب ؛ تغيرت الازمان والاحداث ، وبقي ظام والعقيدة راسخين وسوخا قويا ، أما النظام ي المكية الدستورية أي بعبارة أخرى المكية رتكزة على الشعب بالدرجة الاولى ، واما العقيدة ن الاسلام ولا شيء غير الاسلام . وعلى هذا ساس ، فالحديث عن الدستور المغربي انما هو ليل علمي وقانوني لهذه المعاني جميعا .

وكذلك فعل الاستاذ احمد مجيد بنجلون في به القيم . فقد استوفى الموضوع حقه من الدرس تحليل الهادىء الرصين مركزا بالدرجة الاولى على عبرية المغربية المعاصرة وجهود جلالة الملك غفور له محمد الخامس — طيب الله ثراه — ووارث ه جلالة الملك المنصور بالله الحسن الثاني .

يقول المؤلف :

« .. واذا كان للمغرب غداة استقلاله دستور يعتبر من أحسن الدساتير طموحا واجداهم نفعا واليقهم تناسقا وتوازنا فان ذلك يرجع الى الارادة الابية التي عبر عنها غير ما مرة ملكنا الراحل طيب الله ثراه ، وذلك قبل ان ننعم بالاستقلال ، والى الوعد السامي الذي اخذه على نفسه ملكنا المحبوب جلالة الملك الحسن الثاني ادام الله نصره على ان يكون وفيا بما التزم به محمد الخامس تغمده الله برحمته وذلك لايمانه بجدواه وصلاحيته ، ان الدستور المغربي لهو في الحقيقة مرآة للتجاوب والتلاحم الذي يطبع علاقات العرش بالشعب ولذلك تميز بالجودة في الشكل والفاعلية في الجوهر واليقظة واحترام المبادىء والسماح الذي بدونه لا يمكن لاي عمل بشري أن يأتي أكله المفيد ويحقق النتيجة المرجوة » .

الكتاب مقسم الى خمسة أبواب .

يتناول الباب الاول الموضوعات التالية :

— النظام البرلماني

— السيادة للامة

— منبع السلطة

— ما هي الغاية التي ترمي الانمظة عادة الى تحقيقها .

وتندرج موضوعات الباب الثاني تحت عنوان : « طموحنا وديمقراطيتنا » ، ويشتمل بالاضافة الى المقدمة على أبحاث في :

— الحريات العامة والحريات الخاصة .

— الديمقراطية اليقظة .

— المرحلة الاعدادية للدستور .

ويبحث الباب الثالث في النظرية الحديثة في مفهوم كلمة الدستور ، والمسطرة التي اتبعت لتهييء دستور 1970 .

ويتناول الباب الرابع الدستور المغربي بتفصيل واستيعاب اذ يركز على المبادىء العامة ،

والملكية ، ومجلس النواب ، والحكومة ، وعلاقات السلطة بعضها ببعض ، والقضاء ، والمحكمة العليا ، والجماعات المحلية ، والمجلس الاعلى للانعاش الوطني ، التخطيط ، والغرفة الدستورية ، ومراجعة الدستور .

ويركز الباب الخامس من الكتاب على موضوع وسائل الانجاز وديمقراطيتنا ويتناول العناصر التالية:

— المجالس الجماعية
— اختصاصات المجالس الجماعية
— اختصاصات رئيس المجلس الجماعي والسلطة المحلية
— نقابة الجماعة .

بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني

تأليف الاستاذ قدور الورطاسي

● صدر عن «دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر» بالرباط كتاب للاستاذ قدور الورطاسي بعنوان : « **بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني** » يقع في 430 صفحة من القطع الكبير ويحتوي على ثلاثة اقسام ، القسم الاول عن قبيلة بني يزناسن وأدوارها في التاريخ ، والقسم الثاني عن الكفاح السياسي والمسلح الذي خاضته القبيلة في ظل العرش العلوي المجيد الى أن عاد جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه من المنفى واعلان استقلال الوطن ، أما القسم الثالث فقد خصصه المؤلف لتراجم طائفة من رجال الكفاح الوطني والعلم والثقافة ببني يزناسن . ويتضمن 12 ترجمة مركزة ومدعمة بالمراجع .

وقد قدم للكتاب الاستاذ المحقق محمد ابراهيم الكتاني بكلمة استعرض فيها باختصار اطوار مواجهة المتورات الاستعمارية الصليبية ودفاع المغاربة عن وطنهم وقيمهم ومقدساتهم .

يقول الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني في المقدمة:

« كان بعض اصدقائنا ايام كفاحنا الوطني الباسل بالمغرب يقول: ان الامة المغربية وان كان لها من تاريخها الوطني امجاد رائعة ، لا تكاد تشاركها فيها امة اخرى من الامم — فان اروع امجادها الوطنية واحفلها بمواقف البطولة الخالدة والمعجزات العديمة المثيل ، هي التي قامت بها ايام الحماية الاجنبية البغيضة في مدة تقارب الخمسين سنة .

ذلك ان الامة المغربية — التي لم تفقد استقلالها في تاريخها الطويل — كانت تعتمد في المحافظة على هذا الاستقلال ، أو في بسط نفوذها وتوسعة رقعها على شجاعة ابنائها وعلى قوتها الحربية في البر والبحر ، ناهيك انها اول امة اكتشفت البارود .

ولكن الثورة الصناعية في اوربا ، وما واكبها من تطور عميق في المعدات الحربية والتنظيمات العسكرية وتكالب دولها المسيحية على احتلال بلاد المسلمين ، كل ذلك ادى الى فقد المغرب اسطوله البحري اولا ثم انهزامه في معركتي ايسلي وتطوان ، وما نشأ عنهما من انهيار اقتصاده ، وضياع هيبته ، وتغلغل النفوذ الاجنبي فيه ، وطمع الطامعين فيه ، ثم الاستيلاء على الاقاليم الشاسعة التابعة له في الجنوب ، ثم اقتطاع اجزاء من صلب المغرب في الجنوب والشرق ثم سقوطه اخيرا تحت نير الحكم الاجنبي البغيض .

واذا نحن تجاوزنا الحديث عن المقاومة مسلحة التي استمرت ازيد من ربع قرن – او ازيد نصف عهد الاحتلال البغيض – فان المقاومة سلمية التي قاوم بها المغاربة العدو المحتل لمما عو الى الاعجاب والاكبار .

فقد احس المغاربة – غداة الاحتلال – احساسا يقينا انهم في حاجة اكيدة الى العلم ، ولكنهم لم يجدوا امهم الا هذه المدارس الاستعمارية التي اسسها ستعمر ليكون فيها شبانا ممسوخين قد انقطعت لاتهم بأمتهم واقتطعت جذورهم من مجتمعهم لانهم يكادون يعرفون لغتها ولا دينها ولا امجادها اريخية ، وانما يعرفون عنها – بدل ذلك كله – جموعة ضخمة من العيوب والنقائص يلصقها بها ستعمر كما يعرفون من لغة المستعمر وآدابه اريخه وامجاده المزعومة ومحاسنه المدعاة ما عملهم على احتقار امتهم واعظام عدوها المحتل .

ولكن المغاربة قبلوا التحدي ودفعوا بابنائهم ى هذه المدارس لتعلموا منها ما ينقصهم من علوم حياة التي لا غنى عنها .

وقاموا في نفس الوقت بتأسيس مدارس حرة زاحمة تلك المدارس الرسمية الاستعمارية ، قى فيها ابناؤهم تعليما عربيا مغربيا وطنيا متطورا سعر المستعمر بخطر هذا التعليم الوطني على سه بل وعلى وجود المستعمر نفسه فتصدى قاومة هذا التعليم والبطش بالقائمين به بطشا ديدا ، واستمرت هذه المعركة عنيفة طوال عهد ستعمار كله ..

وقامت الحركة الوطنية تعارض المستعمر حداد ، سلاحها (التضحية) ليست التضحية ى يندفع صاحبها الى القيام بعمل قد يؤدي به الى وت العاجل ، ولكن (التضحية) الدائمة المستمرة ال العمر كله بأعوامه وشهوره واسابيعه وايامه اليه وساعاته ودقائقه وثوانيه ولحظاته والتي زمها المرء من تلقاء نفسه راضيا مختارا في صحة به وسلامة ادراكه ، لا يحتمل تبعتها وحده ولكن يشاركه في حمل هذه التبعية الضخمة المستمرة زوجه واطفاله وحتى الذين ما يزالون اجنة في بطون امهاتهم منهم .

وقد وفق الله لهذه (التضحية) الدائمة المستمرة الشاملة ثلة من المكافحين الوطنيين الذين نذروا انفسهم (لتحدي) المستعمر ومواجيته بالعداوة والبغضاء ولكن احدا من هؤلاء لم يفكر في تسجيل احداث هذه الحياة اليومية بتفاصيلها الدقيقة الى ان وفق الله لذلك صديقنا رفيق الكفاح الاستاذ قدور الورطاسي في كتابه القيم : (بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني) .

وقد تفضل فاطلعني عليه وطلب مني كتابة تصدير له ، فلما قرأته وجدته يقدم نفسه بنفسه ، وكل ما استطيع ان اقوله الان في حقه ما كنت اقوله عنه لطلبة جامعة القرويين العامرة عندما كنت مكلفا بتسيير حلقاتهم السرية اثناء الكفاح الوطني ، ان على كل واحد منهم ان يجعل من الاخ الورطاسي قدوة في كفاحه ونشاطه التي استطاع ان يبث الوعي في بني يزناسن كلها ويجندها في صف واحد لمقاومة المحتل، وذلك ما تتحدث عنه صفحات هذا الكتاب .

جزى الله الاخ الورطاسي خير الجزاء على كفاحه ايام الكفاح ، وعلى تسجيله لهذه الصفحات التي ادى بها واجبا وطنيا مؤكدا ، ووفق رجال الكفاح الوطني القادرين على تسجيل ذكرياتهم عن مساهمتهم في التضحية و (التحدي) الى تسجيلها انقاذا لها من النسيان ، وحتى تستطيع الاجيال الناشئة والتالية ، والدارسون والباحثون التعرف على بعض ما قامت به الامة المغربية المجيدة من كفاح بطولي عظيم » .

وعلى الرغم من ان الكتاب يؤرخ لاقليم واحد من اقاليم المملكة ابلى البلاء الحسن في الذود عن المقدسات فانه لا يخلو من لمحات وصور تاريخية على جانب كبير من الاهمية تبرز بوضوح اطوارا من ملحمة العرش والشعب .. ومن هنا يكتسب اهميته وقيمته ومكانته لمتميزة في المكتبة المغربية .

أيامنا الخضراء (ديوان شعر)

للشاعر الاستاذ أحمد عبد السلام البقالي

● أصدر الشاعر الاستاذ احمد عبد السلام البقالي ديوان شعر تحت عنوان : « أيامنا الخضراء » عن المطبعة الملكية بالرباط . ويضم قصائد وطنية ووجدانية كتبها الشاعر خلال الثلاثين سنة الاخيرة .

وقد قدم الشاعر ديوانه بكلمة تحليلية جاء فيها :

« هذا الديوان ليس لي وحدي ..

قصائده كتبت في بحر الثلاثين سنة الماضية .. وربما كتبها عشرة او عشرون شخصا معنويا سكنوا جسدا واحدا ، ثم غادروه لساكنه الجديد.. هذا الساكن ـ الذي هو انا الان ـ والذي ورث ركاما هائلا من تجارب سابقيه ، يختلف عنهم في السن الزمني ، والعقلي ، والعاطفي .. ويخالفهم الراي في بعض ما كانوا يومنون او يكفرون به .. الا انه لا يحاكمهم على ما اجترحوه من آثام ، ولا يقسو عليهم فيما يصدره من احكام .. لانه اقرب الناس اليهم ، واعرفهم بحقيقتهم ، واكثرهم تقديرا لظروفهم ، وفوق ذلك اقواهم ايمانا بانهم صدروا في كل ما كتبوه ، عن شاعرية حقة ، ونقاء في الضمير ، وصدق في الوطنية وجهاد من اجل الحرية والعدالة الاجتماعية ، وايمان بمبادىء الحق والخير والجمال .

ولا يعني هذا انني انتصل من مسؤوليتي على ما كتبته في اي مرحلة من مراحل حياتي ، الا انني اومن بأن قصائد الشاعر ينبغي ان ننظر اليها كلوحات الرسام ، كل واحدة على حدة .. لان كلا منها وليد ظروفه ، ومعاناته ومخاضه ..

وهناك شبه آخر بين قصائد الشاعر والواح الرسام ، فالقصائد تزداد قيمتها التاريخية والاجتماعية بقدر ما تزداد القيمة التجارية للالواح الزيتية بتقادم عهدها او بموت صاحبها ..

وقد ترددت طويلا قبل ان اقبل ، شاكسرا ، عرض اخي الكبير ، مؤرخ المملكة ، الاستاذ عبد الوهاب بن منصور ، الذي يعمل على جعل المطبعة الملكية باعثا لتراثنا القديم والحديث ، لطبع هذا الديوان .

هل ما يزال للشعر قراء في غير النوادي الادبية ، وخلف جدران الجامعات ؟ وهل بلادنا في حاجة الى دواوين ؟ .

وماذا سيكون راي النقاد الموضوعيين والمغرضين فيه ؟

وبحثت عن الاجوبة من حولي ، وفي داخلي ، فخرجت بالنتائج التالية :

ـ نعم .. ما يزال للشعر سوق وقراء رغم التزييف والتشويه الذي طرا عليه في جميع انحاء العالم .. ولن يزال .. بل سيتسع وينمو في وقت

ات فيه المادة تضيق خناقها على الفرد ، وتثير
ه حاسة الهروب والانعتاق .. وهناك دليل على
ا فيها تزخر به الصحف والمجلات من محاولات
عرية لعديد من الشباب الناشيء ليس هذا مكان
اقشاتهـا ..

— نعم .. بلادنا في حاجة الى كل ما يمكن ان
ود به المواهب من دواوين . فيكفي ان ينظر
ثقف الى الوراء ، ليجد اننا فقط بدانا الخروج من
حراء شاسعة الاطراف من القحط الثقافي ،
جذب الفكري ، والفني ، والابداعي ، بحيث لا يرى
مد البصر الا سرابا .. فكل قطرة من سحائب
لهام ستجد أرضنا في أشد ما يكون الظمأ الى
شافها .. وكلما كثرت القطرات زاد الارتواء ،
لتالي الاعشاب والاخضرار والثراء الثقافي ..

وكل انتاج فني او أدبي لا ينبغي ان يشترط
ه الا الجودة والابداع .. فبلادنا في حاجة الى
قالة الداعية للاصلاح ، والقصيدة الثائرة على
ساد ، بقدر ما هي محتاجة الى قصة الطفل ،
نشيد المدرسي ، والقصيدة الغزلية ، والرواية
يالية العلمية .. والمسرحية التاريخية ..

هذا هو الالتزام في نظري ..

الالتزام بالعطاء الثر في كل ميدان ، حتى
تطيع اللحاق بركب الحضارة .. وحتى لا نبقى
ات وقوارض تعيش على فتاتها ، وتقتات على
شبهـا ..

اما الذين يضيقون دائرة العطاء الفكري والفني
م الالتزام ، ويفرضون عليه السير في خط معين
دوران في فلك طائفة او طوائف ذات طموح
داف محدودة العمق ، مجهولة القيمة والمصير
بعد التاريخي ، فهم يساهمون في خنق حرية
ان والاديب الذي لا يستطيع الابداع داخل ما
ضونه من اقفاص ، ولا يعرف السير على ما
ونه من جمال ..

وليس موقفهم هذا ظلما للفنان والاديب الذي
حسن انتاج ما يفرضون فقط ، بل وحرمانا للوطن
ير والاكبر من مواهب هؤلاء المبدعين الذين
م عليهم بالصمت لانهم لا يتقنون الرقص على ذلك
قاع . يقول (الفين طافلر) في كتابه (صدمة
ستقبل) :

« ان التقدم الذي حدث في العالم في مدى
الخمسين سنة الماضية يعادل ما حدث في بحر
الخمسة آلاف سنة التي سبقتها .. »

ويضرب أمثلة عديدة لذلك منها :

« ان التسعة والتسعين في المائة من الاطباء
الذين عاشوا على الارض منذ آدم حتى الان ، ما
يزالون على قيد الحياة » .

ويصف سرعة التغير المذهلة التي يعرفها العالم
اليوم بقوله :

« ان سكان الارض حاليا عبارة عن مسافرين
في قطار يجري بسرعة مذهلة في منحدر حاد ، بدون
سائق في ظلام دامس ، واوجههم الى الخلف ،
واعينهم معصوبة » .

هذا العالم الذي يعنيه (طافلر) ما هو في
الحقيقة الا بلاده ، الولايات المتحدة ، التي تمثل
راس السهم في هذا الانطلاق العجيب .. فهي تزخر
بالاف مختبرات البحث العلمي في سائر ميادين
المعرفة .. وبمئات الآلاف من العلماء العاكفين على
كشف اسرار الكون ، يدقون على ابواب المستقبل
الغامض ويحاولون فك الغاز المجهول ..

وقد كتب لي ان أعيش في هذا المجتمع الذي
يصفه (طافلر) اربد من عشر سنوات من حياتي
ـ طوال الستينات ، وبعضا من السبعينات ـ وعشت
كثيرا مما تحدث عنه من (عبورية) و (تغير) و
(سرعة زوال) سواء بالنسبة للوجود المادي للاشياء
كالآلات والادوات اليومية والمخترعات ، او بالنسبة
للعادات ، والتقاليد ، والقيم الروحية ، والمبادىء
الاخلاقية ، والمقاييس الحضارية ، والاجتماعية ،
والجمالية .

فسيارة العام القادم تنزل الى السوق في
منتصف هذا العام .. وبذلك تصبح سيارة هذا
العام قديمة .

ومجلة هذا الاسبوع تحمل تاريخ الاسبوع
القادم ليعيش القارىء في وهم انه يقرأ اخبار
المستقبل .

ومشاهير الفنانين ، والممثلين ، ومعبودي
الجماهير ، يشار اليهم بانهم (نجوم سابقون) لانهم

لم يظهروا على الشاشة الصغيرة طيلة الاسبوع الفارط .

والعدوية لعنة على العذارى .

الى غير ذلك مما لا يتسع له المجال هنا ..

وقد عشت في رعب دائم من الغيلة ، والتويث والحرب الثالثة ..

وشعرت في كثير من الاحيان بانني كأس من ورق سأسحق ويلقى بي في سلة المهملات حال الاستغناء عني .

وككاتب وشاعر ، وقفت مبهورا امام السيل الجارف الذي تفرزه آلاف المطابع من الكتب في كل ميدان في اليوم الواحد .. وشعرت بتفاهة ما اكتب، وما يمكن ان اكتب او أقرا في جميع السنوات الباقية من حياتي واحسست بانني قطرة في بحر .. لا حول لها ولا طول .

وحمدت الله على انني لم اولد في مدينة كبيرة .. والا لكنت اصبت بالعقم من عامي الاول .. فالمدن الكبيرة تسحق سكانها بضخامتها وكثرة ما تتطلبه من انتباههم ووقتهم ، بحيث لا تترك لهم مجالا للاختلاء والتأمل والخلق والابداع .. بعكس القرى والمدن الصغيرة ، فهي توحي للفرد بالثقة بالنفس ، والقدرة على استيعاب محيطه ، وبالتالي تكسبه جراة الجاهل على اقتحام ما يتهيبه ابن المدينة الكبيرة .

وبعودتي الى المغرب ، عاد الامن والطمانينة الى نفسي .. وبدات انظر الى ما كتبه (طافلر) عن المجتمع الغربي على انه وصف للحياة على كوكب آخر ..

ورتبت قيمي ومقاييسي واسبقياتي بحيث تتيح لي التكيف السريع مع مجتمعي .. ووجدت ان هناك مبادىء وقيما لا تتغير .. وان جوهر الحياة ابقى من ان تعفى عليه تيارات التغير والتطور العارضة.

وبتأملي الحياه الامريكية من بعيد ، أدركت انه رغم جنون السرعة ، وتدفق التقاليع ، وتعاقب الاضواء والالوان والاصداء بشكل يبهر العائمين على سطح الحضارة ، ويفجر عقولهم ، فان ردود فعل القلة الواعية كثيرا ما كانت تفاجىء مصممي الانماط السلوكية ، والنماذج المستقبلية بثورتها على ضحالة الحضارة الورقية العابرة ..

ويبدو ذلك بوضوح في اقبال الشباب والشيوخ على السواء على روائع الادب والفن الكلاسيكيين في المسارح ، ودور الاوبرا ، والمعارض، والمتاحف الكبرى ، في عواصم الغرب ..

الموهبة الحقة ترفض الفناء .. فالمتنبي وشيكسبير لم يتوقف تأثيرهما لتوقفهما عن الانتاج .. والتراث الثقافي مثل روح الزهر ، او ماء الورد، او عسل النحل .. يتجمع بالقطرات .. ويحتاج الى وقت ..

وهو كالدوحة الفارغة ، لا يمكن انبانها في ساعات ، ولا في شهور او سنوات ، بل تحتاج الى عشرات السنين .

ولو كان في استطاعة دولة ما ان تسرع في انتاج تراثها الثقافي لكانت الولايات المتحدة ، بما لها من امكانيات هائلة ، وما تشعر به من نقص امام الشعوب ذات التراث الثقافي العريق ، اول من حاول ذلك .

وصدورا عن هذه الفلسفة ، وبدافع من الشعور بالمسؤولية الادبية والواجب الوطني ، واستجابة لغريزة حب البقاء ، رأيت ان اقدم هذا الديوان الذي اعتبره جزءا لا يتجزأ من حياتي الى المطبعة .. ذلك الجهاز الذي سيضمن له العدد والبقاء المادي ، على الاقل ، اذا لم يضمن له الشهرة والخلود ..

فاذا كنت قد اضفت ، بعملي هذا ، الى تراثنا الثقافي قطرة واحدة ، فساذهب قرير العين بأن وجودي لم يكن سدى » .

ديوان المجلة

- مولاي يامن زرعت القلب عندكمو
- على عتبات النور
- برهان التحدي
- ثلاث قصائد من موريتانيا

مولاي يا من زرعت القلب عبقرسو

شاعر المغرب العربي الكبير
الاستاذ مفدي زكريا

رق النسيم ، وراق الشدو والنغم ... لاي عيد ، من الاعياد ابتسم ؟
اين القوافي التي تهوي على قدمي ... سكرى . . فتسري بها للمنتهى الكلم ؟
واين دفق لساني ، وهو منهمر ؟ ... واين سحر بياني ، وهو منتظم ؟
واى شعر ؟ وفي الحمراء ، مجتمع ... من المفاتن ـ بالاهات ـ يضطرم
آذار ـ يبلو ـ مع الذكرى ـ سرائرها ... بين النخيل ، فيزهو السيف والقلم
ويسرح المجد ، والدنيا تطارحه ... لحن السموات ، والآمال تلتطم
والرمل يحكي ـ لصناع البنا ـ عجبا ... يعنو له الحاضر العملاق ، والقدم
سلوا عن (العلويين) الأباة ، وعن ... (موحدين) ، وما شادوا ، وما رسموا
وعن حماة (رباط) في معاقلها ... خشاهم الموت . . ما هانوا ولا انهزموا
سلوا (المنارة) عن (آمدال) يبرو لكم ... زيتونها مجد من سادوا ومن حكموا
سلوا (البهية) تذهلكم روائعها ... فقي تضاعيفها الافلاك والقمم
والذكريات التي عاشت تهدهدنا ... ضميرها اليوم ـ هذا الفرد العلم
ذروا فؤادي ، وان لم تسخ قافيتي ... يعزف هواه . . فان الشعر دونكمو !
انى تعلمت ـ والآيات شاهدة ـ ... نجوى الفؤاد المعنى منذ عرفتكمو
كفرت بالشعر ـ منذ فاضت خنافسه ... وداس حرمته من ليس يحترم
وقال كل دعي من قداسته ... فحررت من نسبي للشعر احتشم

لا بأس . . ما دام في هذي الثرى أبدا ... مستنقعات . . وفيها الصرح ، والهرم
في منطق الطير . . ما يكفي مباغمة ... سلوا سليمان . . فهو الحاذق الفهم

*
**

يا أيها المولد الميمون طالعه ... كم فيك ، والعرش ، في أصلابنا ذمم
عيد الأبوه . . والاحفاد ، لي شرع ... كلاهما النور ، والايمان ، والكرم
تهمي النبوة ، ما فاضت جداوله ... الا وفي دفقها الاخلاق والشيم
ودوحة المجد ، ما رفت جدائلها ... الا ورف لها في الصفوة الرحم
وفي رسالات طه ، لم يزل (حسن) ... كاليم ، تزخر في اعطافه الحكم
وفي حمى المغرب الميمون طائفة (1) ... قامت على الحق ، مزلت لها قدم
شهادة ، من رسول الله ، صادقة ... كم عطر الكون من قول الرسول ، فم
كم للرسول ، احاديث بمغربنا ... فاضت بها بركات الله والنعم
هذا الرسول الذي بالفتح بشرنا (2) ... فأشرق الفتح ، وانجابت به الظلم
لبث الثلاثين عاما . . كل ثانية (3) ... والعيد ، عيدان ، والأفراح تزدحم
عيد الرسول ، وعيد العرش ، لا عجب ... أن كان ذاك ، وذا ، تسمو به القيم
في مغرب علوي ، من خلائقه ... الله ، والملك المحبوب ، والحرم
أسرى به (رجل الدنيا ، وواحدها) ... للانهايات ، يخشى باسه العدم
فجاء بالمعجزات البيض في زمن ... طغى به الزور ، واستشرى به النهم
وراح بالهبوات الخضر ، مختبرا ... صدر الصحارى ، فزكت سعيه الأمم
وفجر الارض ماء . . وانبرى قدما ... يعلي السدود ، فيجري سيلها العرم
فازيلت في الحمى ، جناته ، وريت ... تباهة ـ بجمال الله ، تبتسم
والعقل اخصب ، والاذهان فارعة ... والعرش وحد ، والجمهور ملتحم
هذا الذي ، تتباري في محبته ... وتستجيب له الاحلام ، والهمم

*
**

مولاي . . يا من زرعت القلب عندكم ... تأوي القلوب حبا في ظلالكمو
وخان عهدي ، من ساءت سريرته ... فجئت للبيعل المقدام ، احتكم

---

(1) مما اخرجه مسلم في صحيحه عن سعد ابن ابي وقاص ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » .

(2) رأى سلمان الفارسي الرسول صلى الله عليه وسلم وقد شارك في حفر الخندق بغزوة الاحزاب ، كبر ثلاثا وبشر بفتح المغرب من بين البلدان التي بشر بفتحها .

(3) يقترن موعد عيد العرش مع موعد ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم كل ثلاثين سنة كما وقع هذه السنة .

رأيت طيفه تضالي ، في بطولتكم ... فعشت حرا كريما في دياركمو —
اقسمت بالله ، ان لا انحني أبدا ... نجل مني الوفا ، والعهد ، والقسم
والحق أبلج . لا تخفيه خالصة ... من النفوس ، ولا يلوي به صنم
آليت — مولاي — أن احيا جهودكمو ... ما دام في القلب نبض ، ولعروق دم
حتى نرى الوحدة الخضرا ، بمغربنا ... جبهة . حولها الاكباد تلتئم
والجرح ، ياسوه . اخلاص . ومرحمة ... فينجلي الشك . والنكران ، والالم
وتبتني الوحدة الكبرى ، على هرم ... من وازع العقل ، لا وهم ، ولا حلم
والحب يطفح ، والاهداف واحدة ... مهما توزعت الآراء والنظم
مولاي — في عيدك الزاهي ببهجته ... وعيد جدك ، تاه العز والشمم
فاقبل اغنيه ، واسمع من موقعها ... تيارة الروح — حياكم بها النغم
واسلم — فديتك — للامجاد ، في وطن ... لباه ربك . . مذ لباه (معتصم)
واخلد لشعبك ، يا من عشت تصنعه ... يخفق لحبك ، هذا الشعب ، والعلم

مفدى زكريا

● « برادة اللجين » ديوان شعر جديد للشاعر الاستاذ عبد القادر الشاط صدر مؤخرا عن احدى مطابع فاس . يتضمن الديوان قصائد متنوعة في الوطنية والوجدانيات ومناسبات مختلفة .

على عتبات النور

للأستاذ الشاعر
عمر بهاء الدين الأميري

« في خومة صراع التناقضات ، الذي يعيشه المؤمن اليوم ، وفي مكابدة شدة الحياة ، واستصلاح الاولاد ، فلذ الاكباد ؛ يبرم الروح بسجنه الترابي ، ويجيش شعور الالتجاء الى الله ، والشوق الى قربه العلوي ... » .

على عتبات النور حر مكبل
رنا من بعيد مشرئبا الى الذرى
يريد السنى الاعلى مشوقا بروحه
وان له في الارض جذرا مؤزرا
تهزع من دفع وجذب ؛ اذا مشى
واصعد ، رنته الملمات قهقرى
فكم دفعته وثبة الروح للسما
وكم جذبته وطأة الجسم للثرى
يرى في مرارات الجهاد حلاوة
ويجرع في أوصابه العذاب كوثرا
ومن عجب يشكو ويشكر ، عمره ،
ويحيا غريبا في الصفاء مكدرا
يغص بعذب الماء ، يشرق حسرة
على وطن اذرى به الجهل وازدرى
وينفر في اعماقه جرح قومه

يبغي شقى شقيهم وتجبرا
فنال يهود الذل منهم ، ودنسوا
بأرجسهم « قدسا » عزيزا مطهرا
وبرمته حب الحياة وامرة
بمحضها الحب النصوح المخيرا
وتجفوه ، لا ترضى بما رامه لها
من المثل العليا ، وفيها جفا الكرى
ومجتمع تحتاج فيما ترى به
الا انه ظل الذليل ومن درى
هو العرض الزيف الزعاف ، وانه
يريد لها ان تطلب الحق جوهرا
ولو ملك الاقدار ؛ ردته همة
معلقة بالانجم الزهر ، اعصرا
فعاش حياة الخير والبر والتقى
وساد وشاد الوعد والمجد واثرى
ولكنه عان ، وما همة الفتى
تفيد ، اذا ما الامر جم وتعذرا
يعيش وحيدا في طوى يجزل الندى
ويؤذيه ان يجزى على البر منكرا
يقولون : صعب ، وهو رحب ، وانما
ترنحت موازين الكمال لدى الورى
بحسن اتقاد الجمر في زفراته
اوامنا ، وان الروح وجدا تسعرا
ولولا المروءات التي في تجاره
لما عف عن دنيا وكف واقصرا
فيا ليت قلوبا تسعة ، مد قلبه
وتطعمه يقذوك منه ، تبصرا
فما اشتد الا كي يشدك للعلى
وعند انبلاج الصبح قد يحمد السرى
غدا سيدوس الروح انقاض سجنه

ويصعد نحو الثور يلتمس القرى
وتفتقد الاعناق — والدمع ساجم —
ابا ، ويفص الفافلون تحسرا
ويا ربه رب القلوب وطبها
ويا صاحبه العلوي بما خير من يسرى
إغثه واشرق فى سداد اختياره
بدارا بدارا كاد يقضي تحسرا
وهب « للحياة الكل » فى عمريه من
جداك مقاما دائي القرب انورا

الرباط — عمر بهاء الدين الأميري

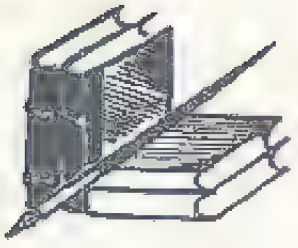

برهان العيد

للشاعر الرقيم الحموي

هو العيد ، قد وافى بأشرق غرة ... وخالج حيات القلوب بفرحة
تسلل من صف الزمان مشعشعا ... بألحان أفراح الربيع البهيجة
وأقبل في كل ركب الزهور معطرا ... يضمخ آفاق الحياة بنفحة
أطل على الدنيا ، فأشرق وجهها ... وحررت ذيولا من دلال ونقنقة
على رأسها قد شد اكليل « مارس » ... وفي ثغرها للشمس أسطع بسمة
وفي وجهها عطر المروج وسحرها ... وفي جيدها للزهر أبهج حلية
أرادانها بالمسك فاحت فأسكرت ... قلوبا لها بالحسن أصدق صبوة
فعاد الى هزل الشباب ولهوه ... من اكتسحت نوديه أنصع شيبة
ولجت به الذكرى فهاجت حنينه ... فأقبل يستمري الحياة بنهمة
وقد غنت الأطيار في كل أيكة ... وأبدت على الأغصان اللطف رقصة
وناحت فراشات المروج زهورها ... مقبلة ما بين ثغر ووجنة
ومد بساط الشعب أخضر ناعما ... تزركشه الأزهار من كل صبغة
وأسفرت الشمس الضحوك فانعشت ... بلألائها أحراج كل خميلة
وللجو من صفو السماء ملاحة ... لها بهج تكسوه أعجب زرقة
ورف الندى من بسمة الشمس فوقه ... ومر النسيم في تشنن ورقة
فهيج أشجان الزهور صبابة ... فلم تكتم الأنفاس من حر حرقه
جمال يروع القلب منه تهيس ... وينفث سحر الايذاذ برقيه
دعاني فلبيت النداء مبادرا ... وحييته بالشعر خير تحية

وناجيته نجوى محب مدلله ... وقد زف عيد العرش في خير حلة
فحرك أوتار القلوب ببشره ... وأعلن آعراس المنى والمسرة
فدب دبيب الأنس في كل ذرة ... بمغربنا ، وانجاب غيم الجهومه
وقامت على ساق الحفاوة امة ... تبايع عرش المجد : عرش الاعزة
تردد غابات الجبال هتافها ... وتشخو به في السهل كل مدينة
فينعش في صخرائنا كل رملة ... تعز به ، وكل حي وخيمة
وأطلسنا يحصي مفاخر حاضر ... ويملي عن الاجداد سفر البطولة
وينفح مطر المجد في كل غابر ... على حاضر يجتاز درب الابوة

❧

عزائم شعب لن تلين قناته ... لغامرها في يوم هول وشدة
تعلمت الابطال منه شجاعة ... وجربه التاريخ في كل جولة
فبرز في ساح الفخار مجليا ... ولا مهيضا في موقف او كريهة
وعزز امجاد الجدود وزانها ... براعة العصر الحديث العجيبة
غداة تنادى للمسيرة حاشدا ... فهرولت الافواج من كل وجهة
وهبت بها نحو التخوم عزيمة ... تكاد نحر الراسيات بهمة
فكانت لنا فتحا جديدا ووثبة ... ومفخرة صرنا بها خير قدوة
نصيدها فكر الهمام بنيمة ... فكانت من الالهام انفس تحفة
وأبدعها عقل حكيم مؤيد ... فصدت فضول الحاقدين بحكمة
وجلببت الأوطان خطبا مروعا ... وحققت الآمال في مثل لمحة
فعاد الى هذا الشمال جنوبه ... وضمهما عناق جمع ووحدة
فصار دعاة الحق في كل موطن ... وسيء بها نلقاه أهل الضغينة
وقد أسهر الحقد الاليم جفونهم ... وسعر في أحشائهم جمر وقدة
عجبت لهم والله كيف تنكروا ... لآصرة الارحام بعد الاخوة

وكيف رموا بالعهد خلف ظهورهم ... ولم يخجلوا من عار غدر وخسة
ولم يرقبوا فينا جوارا ولحمة ... من الدين والانساب في رأس ذروة
وكيف استباحوا بعد بأس أصابهم ... حمانا بأولياء شر وفتنة
وقد غرهم حلم الهمام وصبره ... ورافته بالابرياء الاحبة

وايثاره حقن الدماء تلطفا ... باخواننا خلف الحدود الغربية
كأني بذاك الصبر بعد نفاذه ... يعود عليهم بالخطوب الاليمة
ستنبهوا من نومه مستلذة ... ونفجأهم ـ بغتا ـ حقائق يقظة
كأن عقول الحاكمين بأمرهم ... هنالك لا تدرى لنا اى سطوة
وقد عرف الدهر السحيق وحاضر ... عزائمنا في كل ناد وحقبة
الا فاذكروا عهد الكفاح وانصفوا ... شعوبا تاخت في ظلال العروبة
ووحدها رب تدين بدينه ... على ملة الاسلام من غير فرقة
فلا تنقضوا عهد الاخاء سفاهة ... ولا تقطعوا ارحام اهل وجيرة
أيرزا دين الله في القدس عنوة ... ونحن على هذا العداء المشتت
ويندبنا قلب العروبة صارخا ... ونحن هنا في فرقة وقطيعة
وقد سر أعداء العروبة ما بنا ... وباتوا على امن هناك ونشوة

⁂

دعاكم الى الحق لصراح امامنا ... ودعوته والله أيمن دعوة
همام يعي ما لا تعون وينتحى ... بمغربنا نحو الحظوظ السعيدة
ويكلأ آمال العروبة ساهرا ... ويرعى شؤون المسلمين بعطفه
أمين على تلك الفروض موفق ... الى خير نهج مستقيم وخطة
مواهبه سر من الله قاهر ... وحكمته من فيض بحر النبوءة
وليس له ثان يقاس بقدره ... وذلك فضل الله من غير مرية
هو الحسن المحبوب من حسناته ... اضاءت بافق الغرب ليل دجنة
كفى عرشه فخرا أصالة حكمه ... وتفويضه للشعب سن الطريقة
وتوفير حق العاملين عدالة ... وانصاف مظلوم ، وصون الرعية
وبث رياض العلم في كل جانب ... وتنمية عادت علينا بثروة
مصانعها والمنشآت كثيرة ... تعززها أخرى تشاد بوفرة
وصحراؤنا ما بين يوم وليلة ... أزيح لباس البؤس عنها بنعمة

ومد اليها كل عون فاصبحت ... مرفهة ما بين ماء وخضره
وصين بها اخواننا فتوطنوا ... وكانوا على تيه طويل ورحلة
وصارت قفار الرمل دورا ، ولم تعد ... هناك اثاف حول نؤى وخيمة

وقد تسمح الثمين عيش بداوة ... وديت حياة العصر في كل اسرة
مساع كبار لا تكل جهودها ... سناك ، وبذل في سخاء وكثرة
أياد لمولانا المليك كثيرة ... معطرة في كل ناد بمدحة
يتنوء بها جيل وجيل وثالث ... وانجزها في ستة بعد عشرة
وذلك برهان التحدي ، وانه ... لكاف وشاف ، انه خير حجة
أمولاي ! ما نيل الخلود ببين ... وقد نلته في عشرة ثم ستة
فاعجزت أقواما يصلون بالهوى ... وعريتهم من كل فضل وقيمة
فباتوا كما هم مفلسين أخسة ... وقد كشفت عن سرهم كل عورة
وبارت شعارات التقدم بعد ما ... ازيح ستار الغش عنها بجذية
وأعلن عن فضل العروش جهادها ... وان لها في الوزن أرجح كفة
وان لها في كل واد فضيلة ... وان لها في السبق كل مزية
وما ضر أنصار العروش عصابة ... تقلد اهل الشرك في كل خطوة
وتدعوا الى دين الاباحة بعد ما ... تولت عن الدين الحنيف بردة
وتنفث في أرض العروبة سمها ... ولكنها باتت تضاجب بخيبة
وقد عرفت بالخبث في كل محفل ... وان حاولت اخفاء سوء الطوية
وأعلن أهل الصدق في كل موطن ... بان كتاب الله خير وسيلة
وان نجاح المسلمين ونصرهم ... بتحكيم شرع الله في كل نقطة
ومن طلب الاصلاح في غير حينه ... تقلب في ظلماء ظلم وحيرة
وضاع وضل النهج ، ثم تواترت ... عليه أفانين البلاء بشدة
وهذ بطلت في المسلمين امامة ... تحيفهم ظلم العدى بالدنية
وخالفت الأهواء بين قلوبهم ... وصاروا أسارى في حبال المذلة

**

وما نحن في ظل الامامة ها هنا ... وفيها لنا والله أوثق عروة
على عرشها شهم أبي موفق ... هو الحسن الثاني كريم السجية
نبادله حبا بحب ونلتقي ... على خير هدى من كتاب وسنة
امام أعز الله بالحق ملكه ... وزوده من كل فضل بحصة
وصفوة اقطاب الخلافة من ذرى ... بني حسن أهل الرضى والمودة
بهم شرف الرحمن في الغرب أمة ... منالت بهم ـ كيف ابتغت ـ كل عزة

وكانوا لها ظلا ظليلا ورحمة ... ومثل بدور الجو في كل ظلمة

وضموا لها شملا شتيتا بوحدة ... وصانوا شعار الدين من كل بدعة

أئمة حق اظهر الله فضلهم ... وابقى لهم في الارض أمكن دولة

وكافأ بالتنكيل من عق امرهم ... ومن كادهم من أهل بغي وشقوة

وهذا أمير المؤمنين سليلهم ... ووارث أسرار الهداة الائمة

ونجم بنى الزهراء بنت محمد ... عليها سلام الله في كل لحظة

وريحانة الاشراف من عرق هاشم ... ومنخرة الاسلام بين البرية

وراند ابطال العروبة كلما ... تلبد في أجوائها غيم غمة

وحامي تراث المسلمين ومجدهم ... ومنجدهم في كل عسرة وكربة

نبايعه والعيد عيد جلوسه ... يبشرنا بكل يمن ورفعة

**

لك أمير المؤمنين تهانئي ... وصفو ولاء لا يشاب بعلة

وتائبة من وحي عرشك صغتها ... ومن حسنه الهمت اطول نغمة

سلمت وأبقى الله عرشك شامخا ... وزادك من عز وجاه ونصرة

وبارك في شبل العرين محمد ... وكل نجوم الاسرة الملكية

وحقق امالا كبارا ترومها ... ورافقك التوفيق في كل وثبة

وقد ختم التوفيق شعري وانه ... لخير ختام جاء عفو البديهة

ثلاث قصائد من موريتانيا

تقديم الأستاذ مفدي زكرياء

عرفت الكلمة الاصيلة فى شنقيط ــ عبر الاجيال ــ شعرا ونثرا ، كيف تحافظ على سموها وشموخها ازاء التحولات التى فرضتها التاثيرات الناتجة عن التقليد احيانا وعن التبعية الصماء احيانا اخرى لتعابير غريبة ، واصطلاحات باهتة كادت أن تقطع الرحم بلغة الامجاد والاجداد ، واستعصت الكلمة العريقة الجذور فى شنقيط عن النوبان والانتماء لطفيليات يلفظها الكيان الصحيح ، والجسم الذى اكتسب حصانته من الوفاء للتراث يوم تنكر له الآخرون ، وكثير ما هم !

واذا كان الشعر فى شنقيط يسرى دافقا مع العروق ، خافقا مع النسمات معتزا باصالته ، فخورا بارومته ، فانت تقف حائرا كلما حاولت المقارنة او المفاضلة ، لان كل ابناء شنقيط شعراء ضليعون شبانا كانوا ام كهولا وشيوخا واطفالا ، ام حواء التى عرفت كيف تخلد (رسالة الخيام) عبر الليالى والايام ، واذا صح ما ادعيه لنفسى ، من حاسة ادبية مرهفة وذوق سليم (على الاقل) فقد اكون مصيبا اذا اخترت للصدارة فى شعراء شنقيط ثلاثة اعتبرهم عمالقة بلا منازع استنادا الى ما قرانه لهم وسمعته من بعض انتاجهم الرفيع ، واذا كانت المنافسة على امارة الشعر تتارجح بين الشاعرين احمد عبد القادر ، وخليل النحوى ، فان الوزارة الاولى لهذه الامارة لا تفلت ، فيما اعتقد من قبضة الشاعر الشاب محمد بن القاضى ، وعلى امل التعريف بالمستوى الشعري الرفيع فى شقيقتنا شنقيط سازود مجلتنا الهادفة (دعوة الحق) فى مستقبل قريب بنماذج حية لمختلف شعراء شنقيط فى شتى الاغراض ، واكتفى اليوم بنماذج ثلاثة : قصيد للشاعر الفحل احمد عبد القادر بعنوان (صوت الفن) وآخر للشاعر الملهم خليل النحوى ، بعنوان (ارفع الراس) وقصيد للشاعر الموهوب محمد بن القاضى ، بعنوان (ذكرى الخلود ، تحية وسلام) ولعل القراء الكرام يزكون اختيارى هذا ، مع الملاحظة ان مجلة (دعوة الحق) تحظى فى موريتانيا بالتقدير الكبير ، والاقبال اللاهف على قراءتها لتجاوبها مع القلوب المؤمنة برسالة الضمير الناصع ، والفكر السامى والاصالة النابعة من الصميم . فهنيئا لمجلتنا (دعوة الحق) وشكرا لاسرتها الفاضلة .

مفدي زكريـاء

إرفع الرأس

للشاعر خليل بن النحوي
(رئيس تحرير جريدة "الشعب" الموريتانية)

يا نشيد الخلود ما الانشاد ؟ ... ما التغاريد هدها الترداد
ما حديث النشوان ، ما صرخة الزهو ... تدوي . . وما الحديث المعاد ؟
عظمت بالغناء فيك الاغاني ... وتسامى الانشاء والانشاد
انت البستنها حلاك من المجد ... كما البستكه الامجاد
انت توجتها فمنك القوافي ... والتفاعيل منك . . والاوتاد
وتربعت فوق كرسيك الميمون : ... خلد ، وعزة ، واعتداد
لست اهديك من قريضي نشيدا ... يتغنى يراعه . . والمداد
انما استمد منك . . ومن شأنك ... كان الايحاء والامداد
ارفع الراس يا نوفمبر يركع ... حولك الحاقدون والحساد
ارفع الراس . . لا عليك اذا ما ... قرباء جفوك ، ام ابعاد
هذه الارض حولنا . . كانت الصحراء ... جرداء . . كانت الانجاد
وعيون يرنو بعيدا بها الماء ... ويصطف حولها الوراد
وجبال تناطح السحب يغفو ... حولها النور شاحبا والسواد
والضفاف التي يداعبها الموج ... وتندى من حولها الاعواد
والرمال التي تعانقها الشمس ... وتنداح بينها الآباد
والسماء الزرقاء يرنو اليها ... مستغيثا طلح ، ويرنو تتاد

هذه الارض امنا . . نحن منها وهي منا القلوب والاكباد
قد رعينا ذمامها ورعتنا ورعاها الآباء والاجداد
صلب العود في حماها فكل في حماها الاشبال والآساد
وسما العلم . . لا هي الصحراء جرداء . . لا هم الاوغاد
منك يا امنا الكثير . . ومنا لك يا امنا الندى والسعاد
ويكون الحصاد عزة شعب زرع الحسنيين : نعم الحصاد !
هذه الارض حولنا . . كم تعاني الفيافي انجدها والوهاد
تتروى من السواعد : امجاد عظام رجالها اجلاد
هم بنوها حضارة وتراثا عبقريا ، فابدعوا واجادوا
فتحوا الارض والعقول فلا الارض خراب ولا العقول جماد
وتحدوا فيها الطبيعة عجفاء وايامها عجاف شداد
كتبوا مجدها فلم يمحه الدهر وذبوا عنها وذادوا وشادوا
اصغ يا عبد : انها قصة الاجداد فاسمع — وليسمع الاحفاد
. . وتمر العهود : عهدا فعهدا طارف بعضها وبعض تلاد
واذا الفتح — دنس الله ايد دنسته — تقهقر وارتداد ! !
واذا للرصاص — يا ضيعة السلم ! — دوي ، وللغزاة احتشاد
ما لهم يصنعون مجزرة التاريخ : ظلم نظامها واضطهاد ؟ !
ويعيثون في البلاد فسادا ولهم في بني البلاد فساد
دخلاء . . فليهنأ شعبا ابيا رفض الذل رفضهم والجهاد
غرباء . . فلا سيادة ، لا عز اذا هم عزوا ، اذا هم سادوا
. . واخيرا يأتي نوفمبر : عهد ذهبي ، ويذهب الجلاد
ويعود التاريخ : وجه نقي عاد . . والفاتحون بالامس عادوا
انها عودة المظفر . . لا ، بل انه الخلق — انه الميلاد
يا بلادي : قد كان موعد خلق اذ تحررت ذلك الميعاد
عدت ، لا انت بالجنين ولا الفتح ارتداد ولا الحياة حداد
مشرق وجهك الحديث اصيل دينك الدين ، واللسان العناد
والمواثيق في يديك عتاد وسلاح . . ما مثلهن عتاد
مشعل يفتح الدروب وهل يغلق درب قد شقه الاعتقاد
ارفع الراس يا نوفمبر يركع حولك الحاقدون والحساد
ارفع الراس فالحدود تهاوى وتذوب القيود والاصفاد

وبعيدا ، خلف الظهور ، بعيدا ... يختفي البين (يقتفي) والبعاد

ويعيش الافراد فرحة شمل ... والجماعات مثلما الافراد

عانقوا فرحة اللقاء طويلا ... انها اليوم مجدنا المستعاد

عانقوها ؛ نادوا بها ، خلدوها ... وقليل في حقها ان تنادوا

انها يا نوفمبر العيد لولا ... ان ايام دهرنا اعياد

يا بلادي اهتفي بشعب ابي ... لك منه الارواح والاجساد

لك في عزه ضمانة عز ... واقتصاد . . وفي الآباء اقتصاد

انت ارض الوئام لا تضمرين الحقد ... لو اضمرت لك الاحفاد

ارفع الراس يا نوفمبر واشهد ... قد شهدنا ؛ ويسمع الاشهاد

ارفع الراس لا عليك اذا ما ... قربناء جفوك ام ابعاد

نواكشوط ـ خليل النحوي

صدى البكر

بمناسبة ميلاد الرابطة الموريتانية للآداب

للأستاذ الشاعر احمد بن عبد القادر

بين خفق الرؤى وذوب الخيال ... واقتحام المنى عيون المحال
والاغاني المجنحات سكرى ... سابحات في مركب الآمال
نبض الوتر والبراع وقالا ... كلمات بيض الحروف الصقال :
هل لهذا الوجود معنى اذا لم ... يتهم هويتي ومجالي
وانا شيد مزهري تتغذى ... من صدى أنتي وفرحة بالي
كنت حلما معللا بالأماني ... همسات تجوب درب الكلال
تارة أبصر الحياة واخرى ... البس الصمت في ضمير الليال
وانا اليوم صرخة تركب الريـ ... ـح جواد تعلو متون الجبال
وانا اليوم مشعل مبتدى ... يزرع النور في جبين الزوال
وانا اليوم فتية صاحبوا الفـ ... ـن ونالوا من وحيه كل غال
ورحيق الجمال بين يديهم ... مشرب النفوس صاف الزلال
يتعاطون برده وشذاه ... في كؤوس ظلالها كالآلال
نحتوها من كوكب تمرى ... في سماء الفنون صعب المنال
يتجلى في الشعر جدول سحر ... ضفتاه من روعة وجلال
فرحي الانفاس يحمل فضا ... ابدا يبتر كالشلال
وتراه العيون رسما ونقشا ... نمنمته يد البهى والكمال
مثل ما يبدع السحاب اذا ما ... عانق الارض بعد قطع الوصال

بالندى والغصون تهتز هونا وحلى الورد والضيا والظلال
هللى مورتان ما ذاك الا ومضة من سراجك المتلال
هللى يا بلاد ما نحن الا قطرة من معينك السلسال
وابشرى صفقى لوثبة نبع ظل يسقى مواكب الاجيال
حاول الغرب حبسه ذات يوم عن مجاريه عبر هذى الرمال
وانبرى يمضغ السدود ويجرى لا يبالى بشانيه لا يبالى
وتسامى اصالة وشموخا فى رحاب الخلود ثر النوال (1)
نهضه ترفع المعارف جسرا ذهبيا يرقى بها للمعال
فكرها عزمها صواعق نار تتصدى للمسخ والاذلال
وانتقام من الجمود وضرب لنوايا المستعمر المحتال

* * *

فتعالى اقلامنا تسبر العصر ودنيا الالوان دنيا المقال
ريشة الفن سلم وسلاح ودليل خفى وعى الرجال
انها عالم الحقائق سحبا بين خفق الرؤى وذوب الخيال

احمد بن عبد القادر

---

(1) ثرت العين كثر ماؤها .

ذكرى الخلود .. تحية وسلام

للشاعر الاستاذ محمد بن العاصي

نشوى تعربد تلكم الاحلام ... حبلى تبجح خلفها ارحام
نشوى تصفق لمائيات حقة ... وغد صدوح موقه اعلام
تلك الطبيعة غضة مسحورة ... والارض ترقص والانام ركام
هذى العصور تضمخت اردانها ... ولها على عبد الخلود زخام
وتضوعت ذكرى تنثر بينها ... فتخاذل الاشذاء والانعام
عذرا مخباة يشد ازارها ... عزم ، نهوض ، ثورة ، اقدام
معنى الحياة يشع فوق عذارها ... تتجاوب الاعوام والايام
فيك الحضارة تتلهب صروحها ... وعذابهم التاريخ فيك سوام
فيك الاصالة درة صدفية ... والنبضة الكبرى عليك وسام

* * *

ذكرى الخلود تحية وسلام ... انت المنى ، انت الذرى ، والهام
اجراس اندلس عليك صوارخ ... وصلاح يعبر والحمراء ضرام
هذا ابو بكر يزمجر انفة ... والشمس تحرق زحافه اقدام
وسنابك الخيل العتاق بنادق ... تردى الجحافل كلها اقحام
وجمال يزهو فى جمال مفاخر ... عز تشاد بها العلى وتقام
ورذائل التاريخ وهى عداؤه ... صرعى مبعثرة الرفوض حطام

والعالم العربي في أحضانه ... طفل مدل في المهاد امام
والعالم العربي بعد ضياعه ... زحف عظام يصطفيه عظام
والثورة العظمى يصم ازيزها ... سمع الوجود يحثها الصمصام

* * *

وطني تبجح فالعراك لطام ... والحظ يمرح والضحى بسام
انظر فهاتيك العوالم أطرقت ... في صحنك الفضي لهن مقام
ذكراك ترفل في ايادٍ جمة ... يكسو رباها الزهور والانعام
عذرا تبختر عشرة تسمو بها ... نحو المعالي ستة اعوام
والقائد الفذ المفدى سحر ... لم يثنه ضعف ولا احجام
يعدو مسيرة عالم متفتح ... شعب أبي مسلم مقدام
انعم صباحا فالثعالب عشعشت ... وتدهور الارجاف والاظلام
انعم فشنقيط الاصيلة تقتفي ... خطواتك الجلى لها اقدام
وحناجر التاريخ تعلي نغمة ... تصغو لها الانشاد والانغام

* * *

نغم القصيد يفل اذ يعتام ... بحر الخواطر والضغوط ضخام
والشعر يخجل عن مدى قيثاره ... قد صاغها من كبره الايلام
والشاعر الموهوب يخرس من صدى ... زحف الخواطر كله استسلام
والواقع المشهود خير معبر ... ان خيم الاحجام والافحام
يا قائدا قهر الصعاب بعزمه ... وتعثرت في شاوه الاقوام
انعم صباحا فالزعازع ادبرت ... وتعرت الاصباغ والاوهام
فلقد دخلت على قتارة ليلنا ... تتفاعل الآهات والالام
والغرب ينفث فيه من ارجائه ... سما تلبد حوله الآثام
وبطولة الآباء ثم مناقة ... واللوح يصرخ والتراث رمام
واليعربية في مآسي وأدها ... شمطا مضيعة الحريم تضام
والعلم يرسف والماجد عطل ... ثكلى فلا عمل ولا اسلام
فنفخت نفخة طارق في صبحنا ... وطفقت في جمع اللثام فهاموا
يمناك زيتون وغصن اخضر ... والراحة اليسرى قنى وحسام
وعصرت فيه فارة مسكية ... فتنفس الازهار والاكمام

وعجبت من هذا وذا تاريخنا ... فتراجع الانكاس والاقدام

التضحيات قلائد في نحره ... والمنجزات على ذراه سنام

ومصارع الاغراب تحت شعابه ... غصت بها القيعان والاكام

فلم تمضي في نهاية زحفنا ... فالدرب صعب والمقام امام

كيف المقام وارضنا مخنوقة ... قسم بأن وحوله اتسام

كيف الهناء والشعب بين ممزق ... أين الزمام وكلنا النعام

القادسية ثم تمضغ حقدها ... والقدس يرسف والطغاة نيام

والوحدة الكبرى قضاء راغم ... تسمو المروءة فيه والاسلام

محمد بن القاضي
« جريدة الشعب الموريتانية »

● قصة قصيرة :

مجنون الداخل

للاستاذ
أحمد عبد السلام البقالي

قال صديقي ، وهو يمد لي كاس النعناع والشيبة :

« سمعت قصتك ، هدية راس السنة ، واريد ان احكي لك قصة واقعية مثلها ، الا انها في نظري ، اقوى وافصح عن ارادة الله .. وقد وقعت في نفس الفترة الزمنية .. اي في نهاية الاربعينات ومنتصف الخمسينات .. وعشت احداثها وانا طفل صغير ، فعلقت بذاكرتي ، وبقيت صورها ناصعة حية لا تبليها الايام .. فقد كانت تلك اول مرة ارى فيها رجلا يموت .. يموت امامي وانا انظر اليه بلفظ انفاسه الاخيرة .. منظر لن انساه ما حييت ..

كان رجلا قويا ، فارع الطول ممتلئا .. رايته يخرج من المحكمة يتمايل ويترنح كدوحة توشك على السقوط .. لا بد انه كان يعاني من ضيق شديد في يده ، فقد كان يتنفس بصعوبة كبيرة .. ولم يكد يصل امام باب الجامع حتى هوى على وجهه ، وكان انفجارا حدث بداخله كان قنبلة فتتت أحشاءه ، فغار من فمه دم خاثر اسود ..

كانت دار جدي لاصقة بالمحكمة الشرعية ، وكان جدي رحمه الله ، احد العدول بها ، فكنت اصعد الى السطح واطل بداخلها من خلال فتحاتها الزجاجية فاجدها كنيدة تحل تعج بالمتداعين والمتقاضين من رجال القرى المجاورة ونسائها ، وخصوصا يوم امتلاء سوق المدينة ، يوم الخميس ..

وكنت ، وانا طفل في العاشرة ، اقضي عطلتي الاسبوعية ، وهي مساء الخميس وصباح الجمعة ، بدار جدي استنشق نسيم الحرية بعيدا عن جو الرقابة والانضباط بدار والدي ، التي كانت عبارة عن معسكر (اسبرطي) ، فقد كانت مسيدا قرآنيا بدون توقف ..

وكنت احيانا اقف على عتبة الباب اتفرج على البدو وهم يملأون مدخل الجامع المواجه للدار يأكلون او يعدون فلوسهم ، او يتبادلون (جوزات طابة) — علب النشوق — فيفرغون منها على ظهور ايديهم ، ويستنشقونها في التذاذ تدمع له عيونهم ، وهم يتحدثون ويتضاحكون .. حتى اذا نادى باسمهم عون القاضي اكفهرت الوجوه ، وانقلب الحديث الهادىء الى صراخ وجدال وتبادل للتهم حتى يختفون في داخل المحكمة ، والعون يحاول تهدئة الهياج بالتصبح احيانا وبالتهديد اخرى ..

واذكر اول مرة رايت فيها قاضي المدينة بوجهه الوردي في غير احتقان ولحيته الحمراء وكانها محناة ، وعينيه الشهلاوين ، وهو مجلل بالبياض من قمة رأسه الى جواربه ، فبهرني منظره الملائكي .. كان خارجا من الجامع يتقدمه عونه ليخلي طريقه ، ويضع بلغته على عتبة الباب ..

ورايته بعد ذلك في احتفال ليلة المولد بالجامع الكبير يلقي درسا في شرح الهمزية ، وقد تربع على

ته الخضراء ، واصطفت امامه ثلاثة شمعدانات
ددة الشموع ، انعكس ضوؤها على وجهه فزاده
ة وجلالا .. وتصاعد دخان العود من المباخر ،
اتحة الند من أعواده المركوزة بحيطي الحصير
زين بأغصان الريحان والعطرشة وكان يتكلم بصوت
قت مما جعل الصمت يخيم على المسجد الكبير
م اكتظاظه بالناس ..

وصعب علي بعد ذلك ان اتخيل وجوه الملائكة
قديسين دون استحضار ذلك الوجه المنور
ياني .. حتى ذلك اليوم المشئوم ، يوم الخميس ،
ي شاهدت فيه ذلك المنظر المروع الذي هزني
ا غلام صغير ، من أعماقي ، وازعج رقادي ليالي
اما كثيرة ..

خرج الرجل القروي يترنح من باب المحكمة ،
. ثلث لك ، يتبعه غلام في مثل سني ، عرفت فيما
. انه ابنه ، وسقط على باب الجامع يتخبط في
ه وكأنه ذبيحة أو قربان ..

وتجمع الناس حوله ، فتعاونوا عليه ، وحملوه
، داخل حوش المسجد حيث مدوه على حصير
صدره ما يزال يهتز ، وشفتاه ترتعشان ..

والقى الغلام بنفسه على صدره ، وقد امتقع
جهه من الذعر ، وراح يحركه من كتفيه وينديه
تحب ، والناس لا تدري ما تصنع ، فقد كان
لمره يفطر الاكباد ..

وفي هذه اللحظة خرج جدي من الجامع حيث
، يصلي الظهر ، فأفسح الناس له لينظر الى الرجل
ريح .. ودون ان يقول شيئا اسرع الى الدار
ليه بصلة ، وشقها نصفين ، واسرع نحو الحلقة ،
سك بالغلام من تحت ابطيه وابعده برفق عن صدر
ده ، وجثا الى جانبه يشممه شق البصلة ، ويجس
دره ورسغيه ، ووريديه .. ثم بدأ يقرأ آية من
آن حتى اذا أتمها انحنى على اذن الرجل وهمس
ا الشهادتين عدة مرات ..

وبعد ان تأكد من صعود روح الرجل الى بارئها ،
يده الرحيمة الناعمة ، فأسبل جفنيه وأرسلني في
ب ازار من الدار ، فعدت به في الحال ، فغطاه ،
شف الى الطفل المذعور فأمسك بكتفيه وضمه اليه
نا على ظهره مصبرا ، وهو يقول : « انا لله وانا
ه راجعون .. لا حول ولا قوة الا بالله .. »

ودخل الجامع احد الوكلاء المعروفين فتقدم للسلام على جدي ، ووقف يتبادل معه الحديث في همس :

— قتله المجرم .. عدو الله ، يا سيدي .. اشهد بها أمام الله يوم القيامة .. ذبحه ، بدون سكين ، من تحت الجلد ، وطعنه في القلب ، دون ان يريق قطرة دم ..

وحين استفسره جدي قال :

— دخل هذا البريء المسكين على القاضي .. خشبة جهنم ، دون ان يعرف لماذا ارسل في طلبه من السوق ، فوجد العصيدي في مكتبه ..

فرفع جدي سبحته تعبيرا عن فهمه للموقف .. فاستأنف الوكيل :

— ويظهر ان الضحية لم يكن يعرف العصيدي ، ولا سمع بأفاعيله التي سارت بها الركبان في سرقة الاملاك عن طريق تزوير الملكيات وعقود البيع .. وفاجأه القاضي بالتوبيخ والتهديد بالحبس والغرامة اذا لم يخرج للعصيدي من أرضه . وبهت الرجل وهو ينظر الى القاضي يقرأ عليه عقد بيع جميع ما يملك من ارض للعصيدي ، وأسماء العدول والشهود و (خربوشاتهم) على العقد . وخرج في الحال من مكتب القاضي مطعونا ينزف من الداخل .. الله ياخذ فيه الحق !

وأمن جدي على دعائه .. ثم فطن الينا ، انا والغلام ابن الضحية ، فأمسك بيدينا وادخلنا الدار في انتظار الاجراءات الرسمية .

+ × +

ومرت عشر سنوات ..

وجاء الاستقلال .. وتعاقبت الاحداث بسرعة ، فغادرت قوات الاحتلال المدن والقرى ونزل المجاهدون من الجبال للاشراف على الامن في مدينتنا .. وكان على راس الجماعة التي نزلت بالمدينة شاب فارع الطول ، قوي البنية بدا لي وجهه مألوفا جدا ، فاستوقفته للسلام عليه فعرفني هو الآخر ، وعانقني بحرارة ، وحين طلبت منه ، وأنا محرج ، ان يذكرني باسمه ، وأين تعارفنا ، اجاب :

من الطبيعي أن تنسى ، لانك لم ترني الا لمدة ساعتين منذ عشر سنوات ، وفي ظروف جد قاسية.

وذكرني بقصة موت والده ، أو اغتياله على يد قاضي المدينة ، واضاف :

— انا لا يمكن أن انسى أبدا موقف جدك النبيل .. فقد كانت يداه الرحيمتان ، ووجهه النوراني مصدر عزاء كبير لي في ساعات يتمي الاولى.

وقال لي ان اسمه عبد السلام الرملي ..

ودعاني الى زيارته في معسكرهم بظاهر المدينة، فلبيت مسرورا ، لرغبتي الشديدة في سماع اخبار معارك رجال التحرير ضد قوات الاحتلال من جهة ، ولشوقي لمعرفة قصة حياته الشخصية بعد أن اصبح يتيما وفقيرا في أقل من خمس دقائق ..

وعلى مائدة العشاء افاض في الحديث عن جولات القتال والكر والفر بينهم وبين عدو يمتلك احدث آلات الفتك والتدمير وجميع وسائل الاغراء والتهديد ، وهم لا يملكون الا ايمانهم برسالتهم وعزمهم على طرده من بلادهم ..

وكان يتحدث كرجل عاش في فترة قصيرة عمرا كاملا ، وجمع عددا هائلا من التجارب ، وصقله الاحتكاك بالناس ، وايقظ حواسه حضور الخطر الدائم .

وسألته عن مشاريعه بعد انتهاء معركة الاستقلال، فاجاب بانه سيذهب الى الجزائر ، كبقية المجاهدين، لاتمام تحرير البلاد .. فما دام الاستعمار دخلنا من جهة الجزائر ، فلا بد أن نخرجه منها حتى نامن خطر عودته ..

وحين سألته ان يقص علي ما جرى له شخصيا بعد وفاة والده المأساوية ، اكتفى بأن تنهد وقال :

— اخرجونا من دارنا التي كانت تتوسط ارض الوالد ، فذهبت انا وامي الى دار جدي وعشت هناك حتى بدأت حركة التحرير ، فانضممت اليها ..

ولمست من اختصاره الحديث بهذا الشكل انه يطوي نفسه على جرح لم يندمل بعد .. وان هناك بداخله ركنا مظلما لا يريد الكشف عنه ، فاحترمت مشاعره ، وغيرت الموضوع ..

وتركته وخرجت ، وقد أوجست خيفة من ان يكون عبد السلام يعد خطة انتقامية شرسة ضد القاضي القاتل الذي كان ما يزال يزاول مهنته بالمدينة ، دون جماية سلطان الاستعمار هذه المرة .

وفكرت في ابنائه وبناته الابرياء .. واعيتني الحيلة ، ففوضت الامر لله ، وتركت له تصريف الامور كما يشاء ..

وصدق حدسي ..

فلم تكد تمر يومان حتى بدأت بوادر العدالة الالهية تأخذ مجراها .. كان اليوم يوم جمعة .. وكان الجامع الكبير ممتلئا بالمصلين يقرأون القرآن بصوت واحد ..

ودخل القاضي من باب الى جانب المحراب ، فسكت الناس .. وتقدم هو في جلبابه وسلهامه الابيضين وصعد درجات المنبر ، وجلس على درجته العليا .. وما كاد يستلم العصا من المأموم حتى قام رجلان في ملابس عسكرية من الصف الامامي فوقف احدهما يخاطب المصلين :

— ايها الناس .. ليبق الجميع جالسا في مكانه .. لقد جئنا لنقبض على القاضي لتقدمه للمحاكمة .. فقد وصلت قيادتنا شكاوي كثيرة بمظالمه منذ تولى القضاء في هذه المدينة .. ونعدكم بأنه سيحاكم بتمام العدل وبأنه سيعطي حقه كاملا في الدفاع عن نفسه .. فمن اراد منكم الادلاء بشهادة له أو عليه ، فليصعد الى قيادة المجاهدين غدا في الساعة الثالثة مساء . وسيصلي بنا اليوم الفقيه سيدي عبد الله ..

ونزل القاضي من فوق المنبر بمشقة كبيرة .. فقد كان يبدو جليا أن ركبتيه تصطكان بعنف ، مما جعل الرجلين المسلحين يساعدانه على النزول ، ويرفعانه من تحت ابطيه ليسلماه لمسلحين آخرين كانوا ينتظرون خلف الباب الذي يدخل منه القاضي.

وما اقفلت خلفه الباب الخضراء الصغيرة حتى فقد قواه ، وسقط على الارض على وجهه بلهث ، وقد امتقع وجهه ، وحال لونه الى زعفران .. فاضطر الرجال الى حمله بينهم من يديه ورجليه كخروف مذبوح ، والخروج به من الممر الطويل المعشب الى الشارع حيث كانت سيارتهم تنتظر ..

وذهل الناس داخل المسجد فلم يدروا كيف
سرفون ، كان بعضهم لا يكاد يخفي امتعاضه لما
ث ، لمجرد مبدا اخراجه من المسجد في تلك
حظة المقدسة ، وبتلك الطريقة المزرية .. وكان
عض لا يكاد يخفي سروره بما حاق بالقاضي الظالم
، كان ينتظر تصفية حسابه معه مدة طويلة ..

وترددت انا في ان اذهب لحضور المحاكمة ..
بل ان يستقر رايي طرق باب داري احد رجال
- السلام الرملي ، وابلغني تحيته ورغبته الاكيدة في
سوري المحاكمة كاحد الشهود ..

ولم املك الا ان اذهب ..

وفي الطريق الى المعسكر لحقت بطائفة كبيرة
الرجال والنساء والاطفال يقودهم الوكيل العجوز
ي حضور مقتل والد عبد السلام على باب الجامع ،
عشر سنوات خلت .. كان السرور باديا على
به وهو يوزع النصائح والتعليمات على موكليه
سابقين الذين حول القاضي الظالم مجرى العدالة
هم ، فعاشوا طاوين انفسهم على انتظار يوم الثار
موعود ..

وفي حديقة المعسكر الواسعة جلس الناس
ت الاشجار فوق العشب الاخضر ، فقد كان الوقت
ها .. وجلست هيأة المحكمة المكونة من قاضي
لي معروف باستقامته . والى يمينه ويساره عدلان
عدول المدينة المعروفين بالوطنية ، كان سبق
اعتدت عليهما سلطات الاستعمار بالضرب والسجن
فصل من وظيفيهما الرسميين في التعليم والعدل..
قف خلفهم حرس من رجال عبد السلام الرملي
ملون البنادق ، وآخرون يحملون المرافات ..
لس الرملي ، قائد الكتيبة ، على الارض بين
اعة المدعين ..

وامر القاضي باخراج المتهم ، فجيء به من
خل الدار .. وفوجئت بمظهره لدرجة انني لم اميزه
كان قد شاخ في مدة اليومين الذين فصلاهما
نقلا .. شابت لحيته الحمراء ، واحمرت عيناه ،
كمش وجهه وبدنه ، وتقوس ظهره بشكل ملحوظ
ويظهر انه اصيب بذهول فلم يعد يحس بما يحدث
له ..

اجلسه الجنديان فوق حصير على الارض جانب
المنصة ، وهو صامت لا يبدو عليه انه رأى احدا من
الحاضرين .. واشار القاضي الى الوكيل فقام هذا ،
واخرج من قب جلبابه ورقة فتحها ، ثم رفع اطراف
الجلباب عن سرواله ودس يده في جيبه واخرج حقا
فتحه واخرج منه نظارة بالية وضعها على عينيه وثبت
خيوطها على اذنيه ، ووقف يتلو صكا طويلا من
الاتهامات ضد القاضي ، ويشير الى صحة كل قضية
على حدة ، فيقوم هذا او هذه لمثول امام المحكمة ،
ويدعى الشهود فيدلون بشهاداتهم ، ثم يواجه القاضي
الجيلي العجوز المتهم ، ويطلب منه الرد ، وهو صامت
منكس الراس لا يدري احد امن الذهول ام من الخجل
والعار .

واقتربت امراة كان يبدو عليها انها تعقت
القاضي القاتل بشكل جنوني ، اقتربت منه واخذت
ترد اسئلة المحكمة له :

— اجب . ! اجب . ! اجب ايها الظالم
الملعون ! حين حرمتني من اولادي ، ورميتني في
الشارع بدون رحمة ولا شفقة ، ولا نفقة .. ارضاء
لزوجي القاسي ، وما قدمه لك من رشوة ، كنت احمر
الوجه قويا مرفوع الراس . والآن ما ذا اصابك ؟

وارتمت عليه فامسكت بتلابيبه وطرحته ارضا ،
وغرزت اظفارها في وجهه ، وانقضت باسنانها على
حنجرته كذئبة جائعة .. وقفز عبد السلام الرملي من
بين المدعين ، فامسك بالمراة ورفعها عن وجه القاضي
المتهم الذي ايقظه هجومها من ذهوله ، فتحول تعبير
وجهه الى رعب ، ثم الى استسلام ، وابتعد عبد
السلام بالمراة وهي تصرخ وتندب ، وهو يحاول
تهدئتها :

— اهدئي يا امي .. ستاخذ المحكمة ، بعد
الله ، حقك ، وحقوق جميع المظلومين ..

وانفجرت المراة باكية بحرقة شديدة ،وهي تقول:
— مهما فعلت المحكمة فلن تستطيع رد
شبابي الضائع ، وحب اولادي الذين كرهني ابوهم
اليهم .. ورماني بكل ساقط من التهم .. لم يبق لي
الا الانتقام ..

قصبرها عبد السلام :

— اقول لك ان المحكمة ستاخذ حقك ..

وما عليك الا أن تنتظري ..

— ماذا تعرف انت عن حقي ؟ ماذا تعرف عن كمة الظلم والباطل الذي انزله علي عدو الله هذا ؟

فامسك عبد السلام بكتفيها بقوة وهزها بعنف وعطف وقد ظهر التاثر على وجهه :

— اسكتي .. واسمعي .. لا تقولي ذلك .. فانا اعرف حرفة الظلم ، وربما اكثر منك ... فقد قتل ذلك القاضي المجرم والدي .. وايتمني في صباي ونزع جميع املاك ابي واعطاها لمزور معروف من معارفه ..

واخرج من حزامه مسدسا رفعه لمراه ثم قال :

— وانا معي هذا .. وقد قتلت الكثير من النصارى وحلفائهم من الخونة والجواسيس .. ولكن بعد ثبوت التهمة . ! تذكري . ان المغرب خرج من عهد السيبة الى عهد النظام والحضارة .. فعودي الى مكانك ، وانتظري الحكم مثل الآخرين ..

ويبدو ان مفعول كلام عبد السلام كان اقوى من غضب المراة ، فهدأت نفسها ، وتحولت ثورتها الى انتحاب متقطع ، وعادت تقعد في مكانها ..

وظلت الجلسة الى ما بعد اذان المغرب .. واشعل الجنود المشاعل وركزوها حول هيأة المحكمة ، ووضعوا امام القاضي فنارا .. ووقف جندي يحمل فنارا آخر الى جانب الوكيل المدعي الذي كان تعب واقفا فجلس على كرسي في مواجهة هيأة المحكمة حتى يتمكن من قراءة لائحة اتهاماته .. وكان جميع من له دعوى بين الحاضرين قد أدلى بها أمام المحكمة .. وفي النهاية طوى الوكيل العجوز الورقة على يده ، وقال :

— هذا قليل من كثير من مظالم هذا الرجل .. وهناك فظائع لا أذكرها لكثرتها ، وهناك ما ادكره ولا استطيع ان آتي بضحاياه او شهوده ..

وهنا رايت من واجبي ان اقف وأؤدي واجبي ، فرفعت يدي ، وقلت للوكيل :

— اذا سمحت لي المحكمة ، فهنالك قضية أود تذكيركم بها ..

والتفت الجميع الي ، واشار لي القاضي بالاذن ، فقلت :

— انها قضية رجل اسمه الرملي ، دخل المحكمة يوم خميس منذ عشر سنوات وخرج منها يرمي الدم من جوفه .. وكنت انت هناك حاضرا حين لفظ انفاسه الاخيرة .. هل تذكره ؟

فخلع الوكيل نظارته ، وقال :

— اذكره جيدا .. واشكرك على شهادتك .. تلك احدى قضايا اهل البادية الكثيرة وهي اضعاف قضايا المدينة التي عرضناها اليوم .. وللاسف لم يتقدم احد من المدعين او الشهود ، ربما لعدم وصول الخبر اليهم بعد .. وسوف يصل ..

وكنت اتوقع ان يقوم عبد السلام لعرض شكواه ، ولكنه لم يفعل ، ولم ارد انا التنبيه اليه .

وبعد انتهاء العرض ، تنهد القاضي الجبلي العجوز ، والتفت الى مساعديه وتبادل معهما بعض الكلمات ثم رفع راسه وقال :

بسم الله الرحمن الرحيم .. حسب ما تقدم من شكاوي ، وما وجه للمتهم من اتهامات مدعمة بالادلة والشهود ، وبما ان المتهم الحاضر لم ينف اية منها ، فقد قررت المحكمة ان المتهم مذنب ومعترف بجميع ما وجه اليه من تهم ..

وتوقف القاضي وتنهد وهو ينظر الى المتهم اسميل العيشين ، وقال :

وقبل ان تعلن المحكمة نوع العقوبة التي ستوقع على الجاني ، اود ان القي عليه بعض الاسئلة ..

وانتظر القاضي ان يقف المتهم فلم يفعل ، فقال له بصوت آمر :

— قف ..

ولم يبد عليه انه سمع ، فأشار القاضي الى الحارس المسلح الواقف خلفه ، فامسك به هذا تحت ابطيه واوقفه ، فسرت ضحكات وقهقهات بين الحاضرين اسكتها القاضي الجبلي بنظرة جدية من عينيه الحادتين المدفونتين تحت حواجب كثيفة ، ثم اتجه للمتهم ، وقال :

— هل انت مسلم ؟

وفوجىء الجميع بالسؤال .. ويبدو أن وقع
فاجأة كان أقوى على المتهم ، بحيث جعله ينتفض
يق من ذهوله واستسلامه ، وينظر الى القاضي
هنا غير فاهم القصد من سؤاله فأعاد القاضي :

— اجب يا هذا ، هل انت مسلم ؟

ولاول مرة سمعنا صوت المتهم يخرج من حلق
وح جعله يتنحنح ويعيد :

— ماذا تعنى هل انا مسلم ؟ طبعا مسلم .
فقال القاضي :

— اعني هل تؤمن بوجود الله ، وملائكته
به واليوم الآخر ؟ هل تؤمن باليوم الآخر ؟

فاجاب القاضي المتهم بغضب مكبوت :

— طبعا اومن بكل ما قلت ..

فكرر القاضي :

— تؤمن بالله وباليوم الآخر ؟

— نعم اومن بالله وباليوم الآخر .. يوم
حساب ..

— ولكن افعالك لا تتطابق مع اقوالك . ان
لا يؤمن بالله وبيوم الحساب لا يمكن ان يقترف
هذه الجرائم .. فاما انك كافر او منافق او مرتد،
ا انك لا تؤمن بوجود الله ولا بيوم الحساب .

فانفجر المتهم باكيا وهمهم :

— انا مسلم .. انا مسلم عاص .. واطمع
مغفرة الله ..

— (ان الله لا يغفر ان يشرك به) وقد
كت بالله ، وانكرت وجوده بأفعالك الاجرامية !
ين المعاملة . ومعاملاتك مع عباد الله كانت
لات رجل لا دين له . انت مدسوس على الاسلام
سلمين ..

ثم انكا الى الخلف ، واخرج من جيبه منديلا
ح به آثار الانفعال عن وجهه ، ثم توجه نحو المتهم
وقال بصوت هادىء :

— حكمت المحكمة حضوريا على المتهم
غي السابق ، محمد الحالمي ، بأقصى عقوبة
ينص عليها الشرع والقانون ، وهي الموت ! تنفذ فيه
بالطريقة التي تسمح بها ظروف رجال الامن .

ثم اضاف ، ويداه ترتعشان فوق الورق :

— وللاسف ليست هناك عقوبة ، مهما كانت
قاسية ، تستطيع اصلاح ما افسده هذا الشيطان
المريد ، وتجفيف ما اراقه من دماء ودموع ، وارجاع
ما اضاع من سعادة ، ومحو ما خلفته مسيرته
اللا انسانية من شقاء ويتم ، وثكل ، وفقر وحرمان..
الله وحده قادر على اخذ حق المساكين من ضحاياه،
الاحياء منهم والاموات .. ولا حول ولا قوة الا بالله .
وانا لله وانا اليه راجعون ..

وجمع اوراقه ووقف ، وتعالت من الحاضرين
هتافات بحياة الملك ، وعودة العدالة للبلاد .. وبكت
بعض النساء ، وتفرق الجمع تحت جنح الظلام ..

وحين خلا المعسكر ، شرع احد المجاهدين
بتدقيته ، ووجهها الى المحكوم عليه يريد تنفيذ حكم
الاعدام فيه ، لولا ان عبد السلام الرملي ، قائد
المعسكر اسرع الى اختطافها منه ، وتوبيخه بعنف .

كان الرجل يدعى (جبيلو) وكان نصيرا حليق
الراس ، يطبع تصرفاته العنف .. وكان طوال
المحاكمة يعض على لسانه ويصيح كالمطعون كلما
سمع تهمة او شهادة عن جرائم القاضي المتهم ...
وكانما فوجىء بتصرف قائده فأخذ يصيح ويضرب
راسه بقبضته :

الم تسمع حكم الله في هذا الظالم .. ؟ فماذا
تنتظر لتنفيذه ؟

فنظر اليه عبد السلام دون انفعال وقال :

— هدىء اعصابك او تدخل الحبس ..
انتهى عهد السيبة .. وسينفذ الحكم في المذنب
بالطرق القانونية فاذهب الى شغلك ..

واشار الى رجلين وامرهما بحمل القاضي الى
غرفته ، واطعامه . فحملاه من ذراعيه كتلة واهنة
ومضيا به وهو يجر قدميه على الارض ..

وجاءته الطباخة بعشائه ، وحاولت تشجيعه
على الاكل فلم تفلح وبجهد كبير ، وكثير من عبارات
الامل ارغمته على شرب قليل من المرق انعشه قليلا،
وادفا عظامه الباردة ، وجعله يستلقي طلبا للنوم ..

وبات تلك الليلة يعاني من كوابيس مفزعة .. كان شريط كامل من التهم التي وجهت اليه يمر حيا في ذاكرته كما حدث من سنين ، وكما لم يتذكره قط من قبل ، فكان يستيقظ فزعا صارخا يستغيث من شر ما فعل ، ليجد نفسه في أسوأ حال مما كان ..

وفي الصباح دخلت عليه طباخة المعسكر السمينة الطيبة القلب فوضعت فطوره امامه ، واخذت تشجعه على الاكل :

— كل أيها المسكين .. الله لطيف بعباده .. افطر حتى تقوى على حمل مصيبتك ..

وغمست الخبز في القهوة والحليب ووضعتها في فمه ، وهي تقول :

— كل لتقوى على الصلاة والاستغفار .. باب الله دائما مفتوح .. وانت طالب فافرأ القرآن ..

وكانت هذه الكلمات قوتا لقلبه المكلوم ، وروحه المثقلة بالذنوب ورغم ذلك لم يجد رغبة في فتح فمه لغير اللقمة الاولى .. فنظرت المرأة حواليها لتتأكد من خلو المكان ، وابتسمت له ، وانحنت عليه وهمست في اذنه :

— كل .. سمعت ان لجنة تحقيق آتية من العاصمة لتأخذك

وانفتح قلب القاضي ودق بسرعة وعنف ، وكان دما جديدا تدفق فيه ، فامسك بيد المرأة وسأل وكله يرتعش :

— حقا ؟

فهمست له :

— سمعتها من ساعي البريد . فاطمئن .. وربما جاء مع اللجنة احد يعرفك .. قدمت له خدمة ، او احسنت اليه ..

وكان هذا بمثابة يد انقاذ تمتد اليه من السماء .. فاحس بالرغبة في الوقوف ، ووجد في ركبتيه القوة على التمشي بضع خطوات في ضوء الامل الذي حمله اليه الطباخة الطيبة ..

وفي تلك اللحظة دخل عليهما القائد عبد السلام .. واشار للطباخة ان تخرج ، ووقف ينظر الى القاضي ، ويلعب بقضيب في يده .. ثم فاجأه بالسؤال :

— لماذا ؟

فرفع الرجل عينيه يستفسر ..

— لماذا هذا الشريط الهائل من المظالم ؟ متى مات ضميرك ؟ كيف فقدت الحاسة الانسانية البسيطة ؟ حاسة وضع نفسك مكان غيرك ؟

فحرك القاضي رأسه قائلا :

— لا ادري .. يحدث ذلك بالتدريج .. وبدا القاضي ينظر الى الناس وقضاياهم كما ينظر الطبيب العام الى المرضى وامراضهم .. بدون مشاركة وجدانية .. بدون عاطفة او انفعال .. ومن هنا تتسع الهوة ، ويدخل منها الشيطان .

وانتقل القائد الى موضوع آخر بنفس الطريقة التي القى بها السؤال الاول ، فسأل :

— هل تعتقد ان الشر وراثي ؟

فاستفسر القاضي بنفس النظرة ، فاضاف القائد :

— هل كان أبوك شريرا مثلك ؟

فاحتقن وجه القاضي ولم يجبه . فقال القائد :

— هل كان هو الآخر قاضيا ؟

فحرك القاضي رأسه بالنفي ، فقال عبد السلام:

— لو كان قاضيا لكان نسخة طبق الاصل منك .. هكذا يقول العلماء ..

ورن جرس حاد في مخ القاضي ، وهو يتوقع النتيجة التي سيصل اليها القائد من استجوابه فصدق حدسه .. قال عبد السلام بعينين باردتين :

علينا اذن ان نضع حدا لانتشار شرك .. سنقطع نسلك .

وفتح المتهم فمه غير فاهم ، فاضاف القائد :

— سنتبع بك جميع ابنائك وبناتك حتى لا يبقى بعدك وارث .

وانهار الرجل لسماع هذا ، وغامت عيناه فسقط مغشيا عليه ..

وفي تلك الليلة أرسل القائد في طلب أبناء وبنات ضي .. وأمر مبعوثه ان ينفذ المهمة بكامل السرية قل ما يمكن من الرجال ..

وجيء للمعسكر بالاولاد الخمسة والبنات لاث في سيارتين مدنيتين .. وكان ابوهم منذ ق من اعمائه وهو يعاني من ألم حاد في معدته ، سة حامية في حلقه ، وضيق شديد في صدره . سمنى على الله ان يبدأوا باعدامه هو حتى روا عليه مشهد شنق اولاده امام عينيه ..

ومن خلال حلكة ياسه الخامسة كان بريق أمل ت تتلاعب به رياح الأس العاصفة ، في ان تأتي العاصمة لجنة للتحقيق في أمره .. وكان اعلم س ينقل حركة جهاز العدالة في البلاد ، وبطئه تل ، حسا ومعنى ، هذه المره . ولم يبق له الا ان تكون الاحوال قد تغيرت بعد ذهاب سلطات ستعمار ..

وكان يطل من نافذة الغرفة المريعة حيث وقفت يارتان وخرج منهما أبناؤه وبناته في ملابس هم ، وهم خائفون يرتعشون وقد احاط بهم الرجال سلحون من كل جانب ..

وجاء القائد ففحص وجوه الشباب الثلاثة ، فتاتين ، ثم نظر في وجوه الطفلين والطفلة الصغار ، ر بادخالهم على أبيهم لتوديعه قبل تنفيذ حكم دام فيه ..

ولاول مرة سمع الاولاد بحقيقة ما يراد بهم .. قيل لهم ان اباهم أرسل في طلبهم ليراهم .. يب البنات بالهياج والهستيريا .. وامتقع وجه د البكر الذي كان يقدر الوضعية بواقعية .. وثار د الاوسط وهم بالهروب فأمسك به أحد الرجال اده الى الصف ..

وفتح باب الغرفة ، وأدخل الجميع على أبيهم ، تمت البنات في حجره يقبلنه ويبكين ووقف لاد ينظرون .. وخرج الاوسط من بينهم ليواجه ده :

— ماذا فعلنا نحن ؟ ما ذنبنا ؟ لماذا تلوننا ؟ انت سبب هذا كله .

والتفت للقائد قائلا :

— المحكمة حكمت عليه هو .. فما ذنبنا ؟ نحن ابرياء . وما ذنب الاطفال الصغار ؟ ذنب البنات ؟

وانفجر الاب باكيا ، فتدخل الجنود لابعاد ات والاطفال عنه ، اخرجوهم الى الحوش ثم ادخلوهم اصطبلا كبيرا مضاءا بمصباح كهربائي ساطع ، واقفلوا الباب خلفهم ..

ووقف الاب ينظر من النافذة الصغيرة بلهفة نحو الاصطبل الذي كان يتدلى من سقفه حبل في نهايته انشوطة عرف من شكلها وحجمها انها مشنقة .. كان يستطيع ان يميز من خلال نافذه كبيرة ذات زجاج سميك ظلال واشباح الموجودين داخل الاصطبل ..

وفي تمام منتصف الليل راى ما كان قد تخيله الف مرة ودعا الله بحرارة الا يقع ، رآه وهو يحدث امام عينيه وكانه كابوس رهيب يستحيل الاستيقاظ منه .. راى ابنه الاصغر يرفع نحو حبل المشنقة ، وتوضع الانشوطة حول عنقه ثم يتدلى بعنف ، ويتأرجح يداه ويداه مربوطتان خلفه ..

وكانما انطبقت تلك الانشوطة حول عنقه هو ، فلم يستطع الصراخ الذي كان في اشد الحاجة اليه ، فسقط فاقد الوعي .

وفي تلك اللحظة بالذات ، انفتح باب الغرفة ، وتقدم القائد عبد السلام الرملي بفنار كهربائي نحو الرجل الطريح فسلط ضوءه على وجهه ، فاذا الدم الاسود يفور خاثرا من فمه ومنخريه ، وصوت حشرجة ثقيل يصدر عن صدره ، وهو يتخبط كالحيوان المذبوح ..

وفجأة وقع شيء غريب ، جعل عبد السلام يطرف بعينيه ويقترب من الرجل المحتضر .. بدأت ملامح وجه أبيه هو — ذلك الوجه الذي ارتسم في مخيلته ساعة مفارقته الحياة ، ولم يفارقها بعد ذلك ابدا — بدأت ترتسم على وجه القاضي المحتضر .. وتسمرت عيناه على وجه ابيه الذي فتح عينيه ، وابتسم له في سعادة وارتياح .. ثم اختفى ليعود وجه القاضي الى الظهور مكانه ..

وابتسم القائد عبد السلام في سره ، واطفأ الفنار ، وقد تأكد من أن روح والده قد ذهبت الى مستقرها الاخير راضية مرضية ..

وذهب الى الاصطبل حيث كان جميع أولاد وبنات القاضي جالسين على حصير على الارض فاخبرهم بوفاة والدهم وفاة طبيعية ، واعتذر لهم عن كل ما حدث لهم ، وهم ينظرون في صمت الى الدمية القماشية المحشوة بالتبن ، والمعلقة بالحبل وهي تتارجح مدلاة من السقف .

احمد عبد السلام البقالي

من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تدشين مسجد الحي الجامعي بالرباط

تنفيذ لتعليمات صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني المؤيد بالله بنقل الاشعاع الاسلامي الى رحاب الجامعة وتوفير المناخ الفكري والثقافي الاصيل لاجيالنا المثقفة الصاعدة تراس السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والسيد عبد اللطيف بنعبد الجليل وزير التعليم العالي حفل تدشين مسجد الحي الجامعي الجديد بالرباط بحضور السيد الكاتب العام لوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية والسيد الكاتب العام لوزارة التعليم العالي والسيد عامل الرباط وسلا وعمداء الكليات والاساتذة والطلبة وجمهور من المواطنين .

وقد أشرفت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية على بناء هذا المسجد الذي يحتوي على بعض المرافق الضرورية .

واسندت الوزارة مهمة الخطابة والامامة للمسجد الى الاستاذ صلاح الدين ادلبي احد خريجي دار الحديث الحسنية والحاصل على ديبلوم الدراسات الاسلامية العليا .

وقد شرع فعلا في اقامة الصلوات بالمسجد بما في ذلك صلاة الجمعة ، ولوحظ اقبال متزايد من لدن طلبة وطالبات مختلف كليات جامعة محمد الخامس بالرباط على ارتياد المسجد لاداء الصلاة في اوقاتها .

برنامج ثقافي متنوع للاحتفال بالمولد النبوي وعيد العرش

نظمت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية برنامجا موسعا للدعوة الاسلامية والنشاط الثقافي والادبي بمناسبة عيد المولد النبوي وعيد العرش المجيد شمل مختلف أقاليم المملكة الشريفة .

وهكذا شمل البرنامج ما يلي :

(1) عدد خاص من مجلة دعوة الحق
(2) عدد خاص من مجلة الارشاد .
(3) حفل ديني كبير على مستوى الاقاليم والعمالات القيت فيه دروس ومحاضرات ، وامداح نبوية .
(4) مهرجانات لتجويد كتاب الله العزيز على مستوى الاقاليم .
(5) تنظيم مهرجان وطني للتجويد بالرباط .
(6) محاضرات في الثقافة الاسلامية القاها عدد من كبار الاساتذة والدعاة وذلك في المدن التالية :

— الرباط : الاستاذ الشيخ محمد المكي الناصري
— فاس : د. عبد السلام الهراس
— بنارة : الاستاذ محمد الامراني
— وجدة : الاستاذ يحيى العتبقي
— الناضور : الاستاذ محمد بزيد
— الحسيمة : الاستاذ شعيب الخطابي
— تطوان : الاستاذ ابو طاهر آل عزيز
— طنجة : الاستاذ ابراهيم بن الصديق
— مكناس : الاستاذ عبد السلام الامراني
— خنيفرة : الاستاذ احمد البصري
— الرشيدية : الاستاذ الوكيلي الصغير
— البيضاء : الاستاذ الحسن السائح
— اكادير : الاستاذ احمد البودراري
— مراكش : الاستاذ عبد السلام جبران
— العيون : الاستاذ احمد البودراري

(7) ايفاد بعثة من المقرئين والمادحين الى اقليم العيون
(8) مباراة ادبية بالمناسبة
(9) خطبة منبرية القيت في كافة مساجد المملكة ، ونقلت على امواج الاذاعة الوطنية يوم 13 ربيع الاول 1397 موافق 4 مارس 1977 .

مهرجان لتجويد القرآن الكريم

بمناسبة اقتران ذكرى عيد المولد النبوي الشريف بعيد العرش السعيد اشرف السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية

من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الخميس 19 ربيع الثاني (10 مارس 1977) على
جان تجويد القرآن الكريم بمسجد حسان بالرباط
سور السيد محمد محيي الدين المشرفي الكاتب
م للوزارة والسيد محمد يسف مدير الشؤون
لامية والسيد علي اركان رئيس ديوان السيد
ير وعدد من كبار موظفي الوزارة وجمهور من
متين والمؤمنات .

وقد اشتمل المهرجان على مسابقة في تجويد
آن الكريم شارك فيها طلبة دار القرآن التي
ف عليها الوزارة بالرباط وعدد من الشباب من
لف اقاليم المملكة ، بالاضافة الى امداح نبوية

ها الدعاء الصادق لمولانا امير المؤمنين الحسن
ي نصره الله بطول العمر والتأييد والتمكين .

وقد دابت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية على تنظيم مثل هذا المهرجان الاسلامي الكبير كل سنة اسهاما في حركة البعث الاسلامي التي يرعاها جلالة الملك المعظم وتنويرا للرأي العام المغربي ووفاء لكتاب الله الخالد .

دعم الجمعيات والمراكز الاسلامية

● رصدت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية اعتمادا ماليا مهما لفائدة الجمعيات الاسلامية بالمغرب وبعض المراكز الاسلامية في اوروبا وامريكا يقدر بخمسين الف درهم (50000,00 درهم) استفادت منه الجمعيات التالية :

الجمعية	المبلغ
1 ـ رابطة علماء المغرب	5000,00 درهم
2 ـ جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية	5000,00 درهم
3 ـ جمعية شباب النهضة الاسلامية	4500,00 درهم
4 ـ المنظمة العلوية لرعاية المكفوفين	3000,00 درهم
5 ـ جمعية الثقافة الاسلامية	2000,00 درهم
6 ـ الجمعية المغربية للتضامن الاسلامي	4500,00 درهم
7 ـ المركز الاسلامي بواشنطن	20000,00 درهم
8 ـ المركز الاسلامي بليبرافيل	3000,00 درهم
9 ـ المركز الاسلامي ببروكسيل	3000,00 درهم

مائة منحة جديدة للطلبة الافارقة

● تخصص وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية
يا مبالغ هامة للانفاق على الطلبة المسلمين
دين من مختلف الاقطار الافريقية لمتابعة تعليمهم
اهد الاصلية والاقامة بالاقسام الداخلية في كل
لثانويات الآتية : القرويين بفاس ، القاضي بن
ي بتطوان ، ابن يوسف بمراكش ، محمد الخامس
دانت ، المعهد الاسلامي بمكناس .

وقد خصصت الوزارة خلال الموسم الدراسي الحالي (1976 ـ 1977) مائة منحة جديدة استفاد منها 91 طالبا من موريطانيا والسينغال ومالي وتشاد .

منبران مغربيان لمسجدي بروكسيل ولندن

● في نطاق جهود وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية لمساعدة الجاليات الاسلامية في الخارج تقرر تزويد المركزين الاسلاميين في كل من بروكسيل ولندن بمنبر مغربي رفيع يمثل روعة الزخرفة والتصميم والابداع عند الصانع المغربي .

من توصيات المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة

● انعقد بالمملكة العربية السعودية مؤخرا المؤتمر العالمي للدعوة و لدعاة وفيما يلي بعض توصياته :

انطلاقا من الايمان بأن الاسلام نظام متكامل ينبثق من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وهو منهج حياة يشمل العقيده والشريعة والسلوك ، ودعوته تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة والمسلمون مكلفون بالسير على منهج سلفهم الصالح في الدعوة الى دينهم وحراسة تراثهم ولغتهم وقيمهم الرفيعة .

يوصي المؤتمر بما يلي :

(1) مطالبة الحكومات الاسلامية كلها بنبذ القوانين الوضعية والعودة الى الشريعة الاسلامية **« أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون »** .

(2) التأكيد على وزارات التربية والتعليم في البلاد الاسلامية بتوجيه مزيد من العناية بالقرآن الكريم حفظا وتجويدا ودراسة ، وأن تجعل ذلك مادة أساسية واجبارية في جميع أنواع التعليم ومراحله ربطا للأمة بكتابها العظيم وحفظا لعقيدتها واخلاقها .

(3) تنقية مناهج التربية والتعليم ووضعها على اسس اسلامية خالصة ، والعناية باعاده كتابه التاريخ الاسلامي بما يبرز امجاد هذه الامة بشكل صحيح . وتعميم الدراسات الاسلامية كمادة اجبارية في الجامعات .

(4) الاتصال بالجهات المعنية لانشاء مساجد في كل الجامعات والمعاهد والمصانع وسائر المؤسسات كما تطالب السفارات الاسلامية في الخارج بانشاء مساجد في مقارها اظهارا لشعائر الاسلام وحفاظا عليها .

(5) العناية بالتوعية الدينية في القوات المسلحة الاسلامية وانشاء المساجد في ثكناتهم واماكن تجمعاتهم واختيار ائمة قادرين على التوجيه السليم ومحاربة المذاهب الهدامة .

(6) مطالبة أمانة المؤتمر الاسلامي بجدة بانشاء مسجد في مقر الامم المتحدة اذ انه لا يليق ان يسبق اليهود والنصارى الى انشاء معبد وكنيسة لهم ويتأخر المسلمون في اقامة بيت الله ، ويأمل المؤتمر من حكومة المملكه العربيه السعودية ان تبادر بذلك .

(7) مناشدة الدول الاسلامية أن يكون سفراؤها ممن يمثل الاسلام في خلقه وعمله وان يعين بكل سفارة ملحق ديني يكون مسئولا عن شؤون الدعوة .

في مجال وسائل الاعلام :

ان المؤتمرين اذ يقدرون الاثر الخطير لوسائل الاعلام في العصر الحديث ودورها في توجيه الافراد والجماعات والمجتمعات .. الامر الذي طويت معه المسافات وتلاشت معه الحدود والذي صار سلاحا خطيرا تمارسه الدعوات الباطلة بلوغا لاهدافها وغزوا لاوطان غير أوطانها فانهم في الوقت نفسه يدركون ما تتعرض له أمتنا من غزو اعلامي خطير من الشرق ومن الغرب كل يروج لتجارته وينتصر لمبادئه وعقائده .

ومؤتمر الدعوة والدعاة يرفع صوته عاليا لاولي الامر من الملوك والرؤساء والامراء في الامة الاسلامية كلهـــا :

اولا : لتصدروا اوامركم صريحة الى اجهزة الاعلام المختلفة ليتقوا الله في الكلمة المنشورة او المسموعة او في القصة المكتوبة او المصورة .. في كل ما يصدر عنهم فيمتنعوا فيه عن الفساد او الافساد

.. فالحلال بين والحـــرام بين .. وان يطهروا وسائل الاعلام كلها من ابراز صور انشاء لكونها تضر بالمجتمع وتفتنه في عقيدته واخلاقه .

ـا : ليصدروا أوامرهم صريحة الى اجهـزة الاعلام المختلفة أن تتقى فيما تقـدم من المعين الرباني الصافي ومن الثقافة الاسلامية والمعارف الانسانية الجـادة بحيث يتميز الاعلام الاسلامي بشخصية مستقلة عن سائر أنواع الاعلام العالميـة الاخـــرى .

ـا : أن تهتم اجهزة الاعلام المختلفـة ـ الى جانب استقائها من المعين الاسلامـي ـ برد الشبه والدعاوي الباطلة الموجهـة ضد الاسلام على مستوى العالم كله ، وأن تولي الاقليات الاسلامية أهمية خاصـة وان يكون البث الاعلامي لا على مستوى البث المضاد بل ارفع منه وبتخطيـط علمي مدروس .

عـا : يراعي اختيار المناهج الصالحة اسلاميا للبث الاعلامي ، كما يراعي التوازن بين مناهج التربية وبرامج الترويح المباح بما يضمن عدم طغيان الاخيرة على الاولـى ، ويركز على وجه الخصـوص الاهتمـام بالقرآن المرتل مع برامج العقيدة والاخلاق الى جانب الاهتمام باللغة العربية الفصحى اداء ونشرا وتعليما للاقطار الاسلاميـة الناطقة بها وشقيقاتها غير الناطقة بها .. وفي كل الاحوال ينبغي التقليـل مـن اوقات الارسال بما يساعد على حسـن اداء الشعائر الاسلامية وبما يتناسب مع حاجة الطلاب الى التحصيل والمذاكرة .

خامسا : ان تنشأ في البلاد الاسلامية كليات للاعلام الاسلامي وكذلك اقسام للاعلام الاسلامي تتبع الكليات المناسبة لاعداد رجل الاعلام المسلم الصالح الذي يستطيع ان يعـد هذا الجهاز الخطير من المعين الاسلامي الصافي .. وحتى تقام هذه الكليـات والاقسام لا بد ان تسـارع الجامعـات الاسلامية القائمة بادخال مادة الاعـلام الاسلامي مع مواد كليات الشريعة والدعوة والقرآن واصول الدين بالاضافـة الى المواد الاسلامية الحديثة كالفقه السياسي والاقتصاد السياسي وكذلك مادة الغزو الفكري الحديث .

سادسا : يختار رجل الاعلام ممن يطمأن الى عقيدته وخلقه وسلوكه مع اعداد دورات علميـة اسلامية لرجال الاعلام .

سابعـا : دعم الصالح من الصحافـة الاسلاميـة القائمة ، وكذلك وكالات الانباء الاسلامية والاذاعات الاسلامية التخصصية ، وانشاء اذاعة عالمية اسلامية ، ومطابع حديثـة كاملة تصدر الكتب الاسلامية والنشرات الاعلامية ، مع استئجار مساحـات في الصحف الاجنبية لنشر الدعوة الاسلامية عن طريقهـا .

ثامنـا : اصدار صحف دورية متخصصة في كل دولة اسلامية تعرض لمشكلات العالـم الاسلامي وتدافع عن قضاياه ، وتبـرز المظالم الواقعة على المسلمين المضطهدين عامة والاقليات المسلمة بوجه خاص .

تاسعـا : بما أن المنبر لا يزال له مكان الاعلام الاول فينبغي الاهتمام الزائد بالمسجد علميا وادبيا وماديا مع التركيز على حسن اختيار الائمة والخطباء الاكفاء واقامـة دورات لهم بما يجعلهم موضع القـدوة للمجتمع كلـه .

عاشرا : العمل على رعاية الاعلام الاسلامي المتخصص للناشئة نشرا وصحافة وبثا اذاعيا وتليفزيونيا .. رعاية اسلامية كاملة .

حادي عشر : انشاء « نادي القلم الاسلامي » يضم حاملي الاقلام الاسلامية في مواجهة النوادي المنحرفة عقيدة وخلقا .

ثاني عشر : انشاء اتحاد عام للصحافة الاسلامية لتيسير تبادل الانباء والموضوعات والاحداث الاسلامية العالمية .

ثالث عشر : مواجهة خطر الكنائس والمدارس التبشيرية ومناشدة القادة المسلمين بالتخلص منها وعدم السماح بانشائها والترخيص لها وخاصة في الخليج العربي وبقية دول الجزيرة .

رابع عشر : انشاء رقابة في كل دولة اسلامية على الصحف والمجلات والافلام والمسرحيات حتى تسير على منهج اسلامي .

خامس عشر : نظرا للتعتيم الاعلامي على اخبار العالم الاسلامي فان المؤتمر يرى ان تقوم رابطة العالم الاسلامي بانشاء مركز اعلامي يستعين بمعطيات العلم الحديث في ادوات الاتصال « التلكس وغيره » ويعتمد في معلوماته على الحركات والجمعيات الاسلامية ومنظمات الشباب والطلاب والدعاة افرادا وجماعات مع وضع فروع رئيسية في اماكن مهمة لرصد الاخبار والمعلومات وتبليغها فورا الى المركز الذي يتولى توزيعها الى المنظمات والجمعيات .

المؤتمر الجغرافي الاسلامي الاول

● اخذت المملكة العربية السعودية في الاستعداد لعقد المؤتمر الجغرافي الاسلامي الاول بمدينة الرياض. وسوف يدعى لهذا المؤتمر الجغرافيون العرب والمسلمون من ارجاء العالم الاسلامي .

وقد تأسست اللجنة التحضيرية للمؤتمر وحددت الموضوعات التالية للبحث والدراسة :

- الواقع الجغرافي للعالم الاسلامي المعاصر .
- التراث الجغرافي : احياؤه ونشره .
- الجغرافيون المسلمون وآثارهم ومناهجهم في الوصول الى الحقائق الجغرافية .
- دراسة الاقليات الجغرافية في العالم .
- التكامل الاقتصادي للعالم الاسلامي ووسائل تحقيقه .

60 الف مسجد في تركيا

● صرح رئيس وزراء تركيا في حديث لمندوب مجلة « الوعي الاسلامي » الكويتية انه توجد بتركيا 60 الف مسجد تقام فيه الصلوات والجمع . وبها سبعة معاهد وكليات للدراسات الاسلامية العالية . كما ان بها 240 معهدا للامامة والخطابة تدرس بها العلوم الاسلامية والقرآن الكريم .

ومن جهة اخرى توجد بتركيا صحافة اسلامية قوية منها جريدة (الترجمان) الواسعة الانتشار في أوربا وهي تعنى بالشؤون الاسلامية والبحوث الدينية وجريدة (البرق) وهي وان كانت جريدة سياسية يومية الا انها تفرد صفحة كل يوم جمعة للموضوعات الاسلامية .

وتعتبر مجلة « الهلال » التركية من كبريات المجلات الاسلامية الجادة المتخصصة في البحوث والقضايا الاسلامية .

كما تصدر بتركيا مجلة (أوكومشناه) ومعناها (اقرأ باسم ربك) وهي اسلامية شهرية .

مركز للدعوة الاسلامية بالشارقة

● افتتح في امارة الشارقة مركز للدعوة الاسلامية . وتتلخص أهداف المركز في دعم

شهريات العالم الاسلامي

منظمات الاسلامية خارج البلاد وايجاد صلات وثيقة
ن الاقليات المسلمة فى مختلف انحاء العالم وترجمة
تب الاسلامية الى اللغات الاجنبية .

مهرجان لشعراء العالم الاسلامي

● تقرر أن يقام مهرجان للشعر الاسلامي فى
يو القادم بتركيا ، يدعى له شعراء العالم العربي
لاسلامي .

تعزيز منظمة المؤتمر الاسلامي

● صادقت الحكومة الباكستانية على اتفاقية
حماية والامتيازات الخاصة بمنظمة المؤتمر الاسلامي
ي وضعها المؤتمر السابع لوزراء خارجية الدول
سلامية الذى عقد فى اسطنبول فى شهر مايو
اضي .

16671 دولارا من الكويت للنشاط الاسلامي فى سيراليون

● قام الحاج ابراهيم محمد جالو مبعوث
طة العالم الاسلامي فى سيراليون بتسليم شيك
بمبلغ 16672 دولارا امريكيا لرئيس جمعية الرابطة الاسلامية فى مدينة « بو » بجمهورية سيراليون. وهو المبلغ الذي تبرعت به وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت للجمعية المذكورة ، وقامت رابطة العالم الاسلامي ببعث الشيك المذكور الى مبعوثها فى سيراليون لتسليمه للجمعية .

500 شخص يشهرون اسلامهم فى ساراوك بماليزيا

● اشهر 500 شخص اسلامهم بمحض اختيارهم فى مدينة ساراوك شرقي ماليزيا . وذلك اثناء زيارة وزير الحج السعودي الشيخ عبد الوهاب الواسع للمدينة .

« مفهوم الاسلام » فى بريطانيا

● صدر فى لندن كتاب جديد بعنوان « مفهوم الاسلام » يتناول التعاليم الاساسية للدين الاسلامي الذى يعتنقه مليار شخص فى العالم .

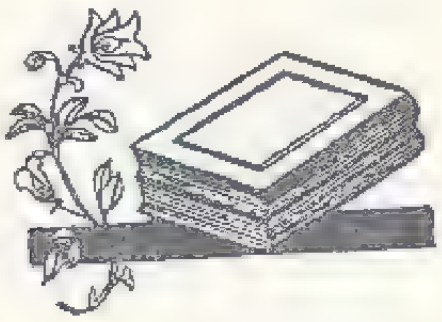

شهريات الفكر والثقافة

المغـــــرب :

● وقع المغرب على الميثاق الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وكذلك ميثاق الحقوق المدنية والسياسية .

وقد وقع هذين الميثاقين باسم المغرب السيد علي بنجلون ممثل المغرب الدائم بالامم المتحدة وكانت الجمعية العامة للامم المتحدة قد وافقت عليهما في 16 ديسمبر 1966 وخرجت الى حيز التنفيذ الاول يوم 3 يناير والثاني يوم 23 مارس سنة 1976 .

● صدر المجلد الثالث من مجلة الوثائق من مديرية الوثائق الملكية التي يديرها الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور مؤرخ المملكة .

والمجلد يضم 200 وثيقة هامة ويقع في 535 صفحة من القطع الكبير ، تشتمل على سجل حافل لبداية عهد المولى الحسن الاول .

والمجلد مقسم الى ثلاثة اقسام :

— القسم الاول : يتعلق بأهم وثائق البيعة لجلالة الحسن الاول التي وفدت على القصر الملكي من جميع أقاليم ومدن وقرى المملكة وعددها 103 بيعة .

— القسم الثاني : فتنة وزير المالية الحاج محمد بن المدني بنيس مع الدباغين بفاس ويضم 44 وثيقة في الموضوع .

— القسم الثالث : القضايا الاقتصادية والادارية والسياسية التي واجهت بداية العهد الحسني الاول وتضم 53 وثيقة .

وقد حلي غلاف المجلد بصورة زيتية بالالوان للمولى الحسن الاول الى جانب نماذج من توقيعه وطابعين شريفين لجلالته .

● مجلة « دراسات فلسفية وادبية » التي تصدرها جمعية الفلسفة بالمغرب استأنفت الصدور في سلسلتها الجديدة . يدير المجلة الدكتور محمد عزيز الحبابي وتراس تحريرها الاستاذة فاطمة الجامعي الحبابي .

● الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله مدير مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي اصدر كتابا بعنوان: « **نحو تفصيح العاميات العربية** » تناول فيه اللهجات العربية في الدول العربية ومقارنتها بالدارجة المغربية .

اثبت المؤلف في دراسته أن اللهجات العربية جميعها ترجع الى اصل عربي واحد وهو اللغة العربية الفصحى .

● بمناسبة انعقاد المؤتمر العربي الثامن للآثار بمراكش اصدرت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية مجموعة من الكتيبات للتعريف بالآثار المغربية منها :

— قصر البديع من عجائب الدنيا للدكتور عبد الهادي التازي

— المدن الاثرية المغربية القديمة لنعيمة الخطيب بوجبار

— شالة : باللغتين العربية والفرنسية

— نماذج من الفن المعماري الموحدي بالمغرب لمصطفى أعشي

— دليل مدينة مراكش

● صدر للاستاذ عبد الحي حسن العمراني كتاب جديد بعنوان : « **الشورى في المغرب** » عن احدى مطابع فاس يقع في 112 صفحة من القطع المتوسط . ويتناول الموضوعات التالية :

— الاسلام دين الحرية والشورى

— كيف عاش الشعب المغربي قبل الاسلام

— لماذا أقبل المغاربة على الاسلام

— من مظاهر الشورى الاسلامية المغربية

شهريات الفكر والثقافة

ـ نبذة عن الشورى في المغرب منذ مطلع القرن العشرين
ـ مآل الشورى بعد الحماية
ـ الشورى بعد الاستقلال
ـ لياخذ المغرب مكانته من هدي الاسلام .

● ينظم مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي مسابقة (خامسة) لسنة 77 / 1978) وذلك في المجالات التالية :

1 ـ مخطوط في اللغة العربية (لم يسبق نشره) له قيمة علمية في دفع حركة التطور اللغوي المعاصرة (تحقيق ودراسة) .

2 ـ دراسة بيانية (لم يسبق نشرها) عن اسلوب الاستدارة في الكتابة الادبية (تنظير وتطبيق).

ويشترط في التقدم لهذه المسابقة مراعاة ما يلي :

أ ـ أن لا تقل الدراسة عن مائة وخمسين صفحة (150) من الحجم المتوسط .

ب ـ يجوز اشتراك اكثر من شخص في البحث الواحد ، وفي هذه الحالة تقسم الجائزة بالتساوي بين المشتركين .

ج ـ يرسل البحث (في نسختين) الى مقر مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ـ 10 زنقة نكولا ص. ب. 290 ـ الرباط ـ المملكة المغربية .

د ـ تتألف لجنة التحكيم في هذه المسابقة من خبراء تختارهم اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة في الجمهورية العربية الليبية .

هـ ـ تقبل الوثائق والبحوث ابتداء من فاتح يناير 1977 الى نهاية يناير 1978 .

● من الرسائل الجامعية التي نوقشت في المغرب خلال الفترة الاخيرة رسالة جامعية لنيل شهادة السلك الثالث « ديبلوم الدراسات العليا » تقدم بها الطالب أحمد يزن في موضوع « النقد الادبي بالقيروان في العهد الصنهاجي » بكلية الآداب ـ جامعة محمد بن عبد الله بفاس . وكانت اللجنة مكونة من الدكتور امجد الطرابلسي مشرفا والدكتور عباس الجراري والاستاذ محمد الكتاني مناقشين .

وقد نال الطالب احمد يزن ديبلوم الدراسات العليا بدرجة مستحسن .

● شارك المغرب في المؤتمر الثالث للتعريب الذي انعقد مؤخرا في طرابلس بليبيا . وقد قدم الوفد المغربي للمؤتمر دراسة تتعلق بمنهجية التعريب كما القى عرضا عن المنجزات التي حققها المغرب في اصلاح الطباعة العربية واهمية الشكل العربي في الاعلاميات .

وكان المؤتمر الاول للتعريب قد عقد في ابريل سنة 1961 بالمغرب وكان من مقرراته اصدار معجم اللغة العربية الحية وادخال الوسائل السمعية والبصرية في تدريس العربية وتسهيل الطباعة .

وضم الوفد المغربي الاستاذين عبد العزيز بنعبد الله واحمد الاخضر غزال والدكتور التهامي الراجي .

● تدرس منظمة اليونسكو مشروع انقاذ تراث ثلاث مدن عالمية تاريخية وهي : فاس و « هيرات » في افغانستان و « سوخاثاي » في تايلاند .

● صدر للدكتور عثمان عثمان اسماعيل كتاب عن تاريخ شالة الاسلامية يؤرخ فيه للدور الحي النشيط الذي لعبته شالة في التاريخ المغربي .

وقد اهدى المؤلف كتابه الى جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله . وكتب مقدمته الاستاذ محمد الفاسي .

● (مشاريع دستورية في عهد المولى عبد العزيز) موضوع اجازة في التاريخ احرزت عليها الاستاذة فاطمة كسيدة بجامعة محمد الخامس .

● شهريات الفكر والثقافة

● صدرت بمدينة سلا جريدة اسبوعية تعتني بالشؤون المدرسية باسم (الغد) تديرها السيدة مفتاحة الفرناطي .

موريطانيا :

● (حوليات المعهد الموريتاني للبحث العلمي) مجلة دورية صدرت بموريطانيا من الحجم الكبير في تبويب ممتاز . من ابوابها المهمة بالخصوص (من اساليب الشعراء الموريتانيين : المختار ولد حامد) تناولت الصفحات 2 / 12 .

تونس :

● صدرت في تونس عن « الدار العربية للكتاب » مجموعة الكتب التالية :

مقدمة في الفلسفة الاسلامية للدكتور محمد التومي الشيباني ، طه حسين يتحدث عن اعلام عصره للدكتور محمد الدسوقي ، البنية القصصية في رسالة الغفران لحسين الواد ، التربية الاستقصائية للدكتور احمد علي فتيش ، كراسات ادبية لخليفة محمد التليسي ، مهجريات لعيسى الناعوري ، دراسات في الادب الاندلسي للدكتور احسان عباس ، وداد القاضي واليار مطلق ، لمحات عن الاوضاع الاقتصادية في ليبيا أثناء الاحتلال الايطالي للدكتور محمد مصطفى الشركسي ، البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام لمحمد رشيد ثابت ، تأملات في الاحتلالين الصليبي والصهيوني للدكتور انيس قاسم ، منطلقات فكرية لابي القاسم سعد الله ، طه حسين : نقده الادبي ومصادره الفرنسية لمفتاح طاهر ، اصول التشريع الاسلامي للهادي كرو ، حياة الطاهر الحداد لاحمد الدرعي ، الرازي من خلال تفسيره لعبد العزيز المجدوب ، الاديب المفكر ابو حيان التوحيدي لعلي دب ، ابن خلدون وعلوم المجتمع للدكتور محمود عبد المولى ، احمد الفقيه حسن : حياته وادبه لمحمد مسعود جبران .

● الكاتب التونسي عبد الواحد براهم سكرتير تحرير مجلة « الفكر » أصدر مجموعة قصصية بعنوان : « مربعات بلاستيك » .

● « في ضوء القرآن والسنة » آخر كتب الدكتور التهامي نقرة صدر عن الشركة التونسية للنشر ، وهو يتضمن بحوثا في العقيدة والاخلاق والتشريع والمعاملات والثقافة الاسلامية .

مصر :

● صدر في القاهرة العدد الاول من مجلة « الموقف العربي » الشهرية ويصدرها عبد العظيم مناف .. وقد حفل العدد بعديد من الدراسات الثقافية والادبية والفنية ..

● د. عبد العزيز مطر استاذ علم اللغة بجامعة عين شمس اصدر كتابا عنوانه .. « خواطر نادرة في لهجات الخليج العربي » ..

● نشر الدكتور احمد الشرباصي في عدد فبراير من مجلة (الهلال) القاهرية دراسة مهمة جدا عن **(دور الطرق الصوفية في نشر الاسلام : الشاذلية والسنوسية والقادرية والتجانية)** .

● « عبقرية العربية في رؤية الانسان والحيوان والسماء والارض » آخر مؤلفات الدكتور لطفي عبد البديع .

السعودية :

● صدر بالمملكة العربية السعودية في سلسلة (المكتبة الصغيرة) كتيب بعنوان : **(الغزو الفكري في العالم العربي)** .

الكتيب تناول الاستعمار الثقافي وكيف نقاوم الغزو .

● شهريات الفكر والثقافة

● أصدر اللواء يحيى عبد الله مدير الادارة عامة للسجون بالسعودية 4 مؤلفات عن الامن في قرآن الكريم وفن القيادة وآداب المرور والامن في سعودية وجولات في رياض الادب . اللواء حاصل ى ماجستير في علوم الامن ودبلوم عال في علم المرور.

عراق :

● « القمر والاسوار » آخر الاعمال القصصية روائي العراقي عبد الرحمن مجيد الربيعي صدر عن ارةالاعلام العراقيةفي 334 صفحة من القطع المتوسط.

لعبد الرحمن الربيعي ثلاث روايات « عيون في حلم » « الوشم » « الانهيار » وست مجموعات صصية : « السيف والسفينة » « الظل في الراس» وجوه من رحلة التعب » « المواسم الاخرى » عيون في الحلم » « ذاكرة المدينة » .

فرنسا :

● المستشرق الفرنسي « جاك بيرك » يعد الان مجلدا ضخما يتضمن ترجمة للعديد من اعمال د. طه حسين بجانب مجموعة من الدراسات النقدية التي تتناول معظم هذه الاعمال بالبحث والتقييم وبحث اثر الثقافة الفرنسية في فكره وأدبه .

المجلد تصدره دار « جاليمار » للنشر في باريس .

● « حتى تعرف الحياة الاقتصادية » عنوان احدث كتاب في الاقتصاد ظهر في فرنسا واشترك في تاليفه عدد كبير من الخبراء ويحتوي على معظم مشاكل الاقتصاد العالمي وكيف يمكن التحايل عليها. الجديد في الكتاب انه مبسط واي قارىء مهما كان مستواه الثقافي يستطيع ان يفهمه .

رسالة مصر الثقافية

يكتبها : صلاح محمد القاعود

● صدر مؤخرا كتاب جديد للاستاذ أنور الجندي عن : « طه حسين : حياته وفكره فى ميزان الاسلام »، والكتاب يتناول طه حسين من وجهة نظر اسلامية ، ويعتبر مدخلا لدراسة طويلة أعدها المؤلف وستصدر فيما بعد تتناول أدب طه حسين بتوسع وتفصيل وقد وزع الكتاب بأرقام قياسية .

● وافق الرئيس انور السادات على منح الفائزين بجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية لعام 1976 اوسمة من الطبقتين الثانية والثالثة ، وهم : د. مهدي علام ـ الجائزة التقديرية فى الآداب ، الشيخ محمد علي الخفيف ـ الجائزة التقديرية فى العلوم الاجتماعية ، د. محمد عمارة مصطفى ـ الجائزة التشجيعية فى التراجم ، فاروق منيب ـ الجائزة التشجيعية فى القصة القصيرة ، د. عبد الغفار حسن مكاوي ـ الجائزة التشجيعية فى الترجمة الى العربية ، عبد العزيز محمد الزكي وسعيد زايد ـ الجائزة التشجيعية فى الفلسفة الاسلامية ، الاب الدكتور جورج شحاتة قنواتي ـ الجائزة التشجيعيةفى الفلسفة الاسلامية .

● تقرر أن يكون الدين مادة أساسية فى التعليم فى جمهورية مصر العربية ، وقد قام الدكتور مصطفى كمال حلمي وزير التعليم بمقابلة الشيخ محمد متولي الشعراوي وزير الاوقاف للتنسيق حول هذا الموضوع. وقد لقيت هذه المبادرة رد فعل شعبي مليء بالسعادة والارتياح .

● « السيف والوردة » مجموعة شعرية جديدة ، صدرت عن المجلس الاعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية للشاعر الدكتور عبده بدوي ـ رئيس تحرير مجلة « الشعر » . المجموعة تضم قصائد مشبعة بروح الاسلام وتحكي عن امجاده الماضية ، وتحث على التفتح والانطلاق .

● اقيم فى القاهرة فى المدة من 29 يناير الى 6 فبراير 1977 ، معرض القاهرة الدولي للكتاب ، وقد شهد المعرض اقبالا شديدا خاصة من الشباب . وقد كانت الكتب الاسلامية والعلمية فى مقدمة الكتب التي وزعت بكميات هائلة .

● صدر عن الهيئة العامة المصرية للكتاب بحث جديد بعنوان « الحوار بين الادباء » من تأليف الدكتور وليم سليمان ، وقدم له الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف وشؤون الازهر السابق .

● عن دار الشعب بالقاهرة صدرت طبعة جديدة من المدائح النبوية [البردة ـ نهج البردة ـ تشطير البردة] فى 48 صفحة . قام بالتعليق عليها د. سعد ظلام ـ محمد صادق .

● « وجع فى قلب اسرائيل » كتاب جديد لانيس منصور ، صدر عن المكتب المصري الحديث ، يتناول فيه بالتحليل مذكرات الفريق موشي دايان

وزير الدفاع الاسرائيلي السابق ، عن حرب رمضان 1393 هـ .

● افتتحت الدورة الثالثة والاربعون لمؤتمر مجمع اللغة العربية بمقر الجامعة العربية ، وقد حضر المؤتمر جميع الاعضاء المصريين وثلاثون من الاعضاء العرب وعشرة من المستشرقين الاجانب من البلاد الاوروبية والامريكية. واستمرت دورة المجمع الى 7 مارس. وقد جاء في الكلمة الافتتاحية لوزير الثقافة عبد المنعم الصاوي :

« ان القرآن الكريم قد حافظ على وحدة العرب، فلم تخترق صفوفه الغزوات الاجنبية ، وان اللغة العربية لم تقتصر على الترجمة عن الآخرين ، لكنها اضافت الكثير لحضارات العالم » .

● « الموتى يتكلمون » كتاب جديد صدر عن المكتب المصري الحديث ، من تأليف « سامي جوهر »

● « التاريخ الاسلامي ، آفاقه السياسية وابعاده الحضارية » تأليف الدكتور ابراهيم أحمد العدوي عميد دار العلوم . صدر عن مكتبة الانجلو المصرية في 506 صفحات .

● عن الهيئة العامة المصرية للكتاب ، وفي سلسلة المكتبة العربية صدر كتاب جديد للدكتور عبده بدوي بعنوان «السود والحضارة العربية». يتناول الكتاب مقدمة عن السواد ، أسبابه وآثاره ، ثم صلات السود بالعرب قديما ، وتصادمهم مع المجتمع ، وصلاتهم بالعرب حديثا . يقع الكتاب في 370 صفحة ويعتبر متمما لكتاب سبق ان أصدره المؤلف بعنوان « الشعراء السود وخصائصهم الشعرية » .

● تقوم « دار الاعتصام » بنشر سلسلة جديدة ضمن مطبوعاتها تحت عنوان نوادر التراث ، وقد صدر منها كتابان من تحقيق الاستاذ عبد القادر احمد عطاء الاول بعنوان « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » ، الثاني « اسرار التكرار في القرآن لتاج القراء محمد بن حمزة بن نصر الكرماني . وتصدر السلسلة في طبعة انيقة ودقيقة .

● صدر عن « المختار الاسلامي » كتيب « الاسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه » لعبد القادر عودة يتناول فيه تفوق التشريع الالهي على التشريعات والقوانين الوضعية ، وبين الدور الذي يجب أن يضطلع به علماء المسلمين في الفترة الراهنة .

● يصدر اتحاد طلاب جمهورية مصر العربية سلسلة كتيبات شهرية باسم « صوت الحق » ، وقد صدر منها حتى الآن خمسة كتيبات ، آخرها « اسلامنا » . السلسلة تطبع وتنشر «بدار الاعتصام»

● « الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم ، دوافعها ودفعها » . كتاب جديد للدكتور محمد حسين الذهبي وزير الاوقاف السابق . صدر عن دار الاعتصام ايضا . ويقع في 110 صفحات .

● يدرس اتحاد كتاب مصر اللائحة الجديدة للاتحاد والتي تتضمن صرف معاشات للكتاب والادباء .. وذلك لاول مرة .

● « رحلتي من الشك الى اليقين » للدكتور مصطفى محمود ترجمها العالم اليوغسلافي عبد الرحمان هوفتيس الى اللغة اليوغسلافية .

● دفعت وزارة الثقافة المصرية 20 الف جنيه لورثة الدكتور طه حسين ثمانا لمكتبته التي تم نقلها الى متحف أحمد شوقي الذي يجري تحويله الآن الى مجمع الآداب .

● اصدر الكاتب توفيق الحكيم « مختار تفسير القرطبي » في مجلد واحد يقع في 896 صفحة . اختار توفيق الحكيم من العشرين جزءا وهي التفسير الكبير للقرطبي ، القضايا والموضوعات والاحكام ، بنص القرطبي ولفظه .